إنتحار مدرسة محترمة!

عالم «الأطفال»

يسحق أطفال العالم

لا
فواتير

لا
نماذج

لا
شروط

لا
عقود

متوفرة

الآن

SR 150
PrePaid Internet

SR 100
ريال
PrePaid Internet

INTERNET

الإنترنت المدفوع

بطاقة أثير للاتصال بالإنترنت المدفوعة الأجر

متوفرة في معارض مجموعة الجريسي
وعدد من مقاهي الإنترنت ومعارض الكومبيوتر.

للاستفسار ٨٠٠٠ ٤١٩ (٠١)، ٩٣٣٣ ٦٨٣ (٠٢)، ٦٠٦٠ ٨٨٢ (٠٣)، أو البريد الالكتروني sales@atheer.net.sa

في البدء

« هدف الصحافة:

ليس في تسويد البياض..

بل في تبييض السواد» !

العدد (٥٩) - صفر ١٤٢١ هـ - مايو ٢٠٠٠م

مجلة شهرية تصدر عن
وزارة المعارف
المملكة العربية السعودية

تأسست عام ١٣٧٩ هـ في عهد
وزير المعارف صاحب السمو الملكي
الأمير فهد بن عبد العزيز
وأعيد إصدارها عام ١٤١٧ هـ في عهد
خادم الحرمين الشريفين
الملك فهد بن عبدالعزيز

ردمد: ١٣١٩-٦٢٠٠

البند الأول

المواد المنشورة في هذه المجلة لا تعبر بالضرورة عن رأي وزارة المعارف.

البند الثاني

تبويب الموضوعات والمقالات في هذه المجلة يخضع لاعتبارات فنية.

بسم الله الرحمن الرحيم

الحصة الأولى

«روح العب بعيد».. تكاد تكون هذه «النظرية» هي المحور الرئيس لطريقة تربية الأطفال عند كثير من مجتمعاتنا العربية.. اذهب العب بعيداً أيها الطفل ودعنا نكمل حديثنا أو أكلنا أو لهونا.

ماذا سيفعل الطفل إذا لعب بعيداً، سيظل يلعب ويلعب، ويلعب لعباً محدود الفائدة أو عديم الفائدة ثم ماذا؟ ينام طبعاً!!

القضية أكبر من أن ننهر الصغار ونقذف بهم خارج مساحة «انشغالاتنا»!!

القضية أكبر من أن نرعاهم فقط بتقديم صنوف المأكل والملبس.

القضية في بناء شخصية الطفل وفكره وثقافته.

* * *

عندما نقول إن المعرفة أكثر اتساعاً فإننا نعني ما نقول، فموقعها في الإنترنت يؤكد هذا المعنى ويدفعنا لمزيد من مضاعفة الجهد ليتناسب مع هذا الاتساع الكوني الذي كفلته الشبكة العنكبوتية.

* * *

لكل من أثنى على العدد التطويري للمعرفة الذي استهللنا به شهر محرم الماضي الشكر والتقدير، فما قالوه عن المعرفة «الجديدة» سيظل تاجاً نتزين به ويجعلنا أكثر تفاؤلاً بنجاحات أكبر.. شكراً لكل من قال أحسنتم، وشكراً لمن قال ثمة خطأ لديكم.. فكلتا الرسالتين تؤكدان أننا وأنتم بشر.

المعرفة

في هذا العدد

١٧٨

محمد سليم العوا:

سلّمت عليّ في السوق، فدعوتها إلى منزلي!

٧٦

المسابقة السادسة:

داخل العدد بانتظاركم

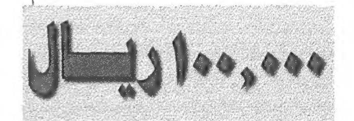

١٨٤

نذير العظمة:

كل الشعراء أمراء للشعر!

المراسلات

باسم :رئيس التحرير
ص.ب ٧ – الرياض ١١٣٢١
هاتف: ٤٠ ـ ٤٠ ٤١٩ فاكس: ٤٧ ٤٧ ٤١٩
فاكس مجاني: ٢٢٧٧ ١٢٤ ٨٠٠

Letters should be sent to:
Editor-in-chief
P.O.Box: 7 Riyadh 11321
Tel: 419 40 40 Fax: 419 47 47
Free Fax: 800 124 2277
www.almarefah.com

الأسعار

السعودية: ٨ ريالات، الإمارات: ١٠ دراهم، الكويت: ٧٥٠ فلساً، البحرين: ٥٠٠ فلس، قطر: ١٠ ريالات، سلطنة عُمان: ٨٠٠ بيسة، اليمن: ١٠٠ ريال، مصر: ١.٥ جنيه، المغرب: ٨ دراهم، سوريا: ١٤ ليرة، الأردن: ٧٥٠ فلساً، لبنان: ٣٠٠٠ ليرة، السودان: ٣٥ جنيهاً، أمريكا: ٣ دولارات، بريطانيا: ١.٥ استرليني، فرنسا: ١٥ فرنكاً.

الاشتراكات

قيمة الاشتراك السنوي: مئة ريال سعودي للأفراد، ومئتا ريال للمؤسسات، بريدياً أوعن طريق شركة التوزيع.
قيمة الاشتراك السنوي خارج المملكة ٤٠ دولاراً «شاملة أجرة البريد»، (عن طريق الناشر).

الاعلانات

بالاتفاق مع : روناء للإعلام المتخصص

التوزيع

الوطنية للتوزيع

مطابع

العبيكان
Obeikan

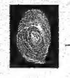

دعوة للانتماء

من المشاعر الفطرية التي يشترك فيها غالبية بني الإنسان: الشعور بالانتماء؛ فيشعر المرء أنه: فرد من جماعة، أو جزء من كل. هذا الشعور يحميه من مشاعر سلبية عديدة: كالوحدة، والتشتت، والعزلة، والضياع، كلها لها أسوأ الأثر في صحته النفسية، أو فاعليته الفردية أو الاجتماعية.

وأعلى مشاعر الانتماء: انتماء الإنسان إلى دين، أو عقيدة، أو فكرة، يليه انتماؤه إلى الوطن. ثم تتعدد مشاعر الانتماء: إلى بلدة معينة، أو أسرة، أو جمعية، أو مؤسسة تعليمية.

فإذا كان (المنتمى إليه) شريفاً في ذاته، يتميز بالأصالة، أو العراقة، أو العلم، أو الفضل، أو ما إلى ذلك، صاحب ذلك الشعور بالانتماء شعور بالفخر والاعتزاز، البعيد عن الخيلاء، وإلا أصبح كبراً ذميماً وعجباً بغيضاً.

وحين نلتقي على صعيد معهد درسنا فيه، أو مدرسة تخرجنا فيها، فإننا بذلك نقوم بإحياء لشعور نبيل بالانتماء إلى مؤسسة تعليمية ذات عراقة تكمن في احتضانها لأفواج إثر أفواج من المتعلمين، لتصبح ذات تاريخ حافل بالمآثر والمفاخر، والفضل الممتزج بالاعتزاز أنها خرجت الكثيرين من الرجال الذين انتظموا في سلك الحياة العملية، يكدحون، وينتجون، منهم: العلماء، والأدباء، والمهندسون، والأطباء، والمسؤولون البارزون في شتى الميادين؛ فلا غرو أن يفتخر الفرع بالأصل، ويعتز الأصل بالفرع! لذا كان من الوفاء لمدارسنا أن يتعهدها أبناؤها بالأمس، آباؤها اليوم، بالبر، والعناية، والإكرام. من أجل ذلك فإني أدعو مديري المدارس الثانوية إلى إنشاء جمعيات لخريجيها، ليس تعبيراً عن الوفاء، أو إحياء لذكريات الماضي الجميل فحسب، إنما إسهاماً في بناء مستقبل أفضل بإذن الله.

إن المبادرة متروكة، والباب مفتوح للزملاء مديري المدارس ليباشروا بتطبيق هذه الفكرة، التي أحثهم عليها، ولا أريد منهم أن ينتظروا من الوزارة شيئاً، مادام المبدأ قد أقر، وعناصر تنفيذه مكتملة لديهم. فسجلات الخريجين موجودة، وتتبع عناوين كثيرين منهم أمر ممكن، وقد توجد في بداية الطريق بعض الصعوبات، إلا أنها لن تلبث أن تزول بإذن الله.

إنني مقتنع أعمق اقتناع أن من أهم عوامل نجاح المؤسسات التعليمية، تعاونها مع المجتمع وتعاون المجتمع معها، في عملية تبادلية لا تنتهي، وأحرى الناس بالتعاون مع تلك المؤسسات: أبناؤها الذين تخرجوا فيها، وشواهد هذا التعاون المثمر في ماضينا الإسلامي كثيرة، وفي حاضرنا الذي نحياه ماثلة في العديد من البلاد والشعوب.

وإن من تطوير الحاضر نقل خبرات الماضي النافعة إليه، فليس كل جديد ينفع لجدته، وليس كل قديم يستغنى عنه لقدمه، وكم من فكرة – في العلوم الإنسانية على وجه الخصوص – مضت عليها مئات السنين، ولا تزال شابة ناضرة إلى يوم الناس هذا. وهذا هو بعض ما يؤمل من

الافتتاحية

محمد بن أحمد الرشيد

جمعية الخريجين أن تفعله: أن تعيد إلى الوجود عادة حميدة كانت ثم زالت، وطريقة اثبت التطبيق نفعها وجدواها، ويمكن الاستفادة منها اليوم، كما تمت الاستفادة منها بالأمس.

إني وطيد الأمل أن تسارع إدارات المدارس الثانوية بإنشاء جميعات لخريجيها، وتعمل جاهدة على أن تكون مثالاً يحتذيه خريجو المدارس والمعاهد الأخرى، فتتعزز جهود الدولة في خدمة التربية والتعليم اللذين هما الركن الركين والأساس الأول الذي تبنى عليه نهضة الأمم وأمجاد الشعوب.

وإني لأعرف عدداً من أبناء هذا الوطن ومن سواهم ظلوا أوفياء للمعاهد والكليات والجامعات التي درسوا فيها في ديار الغرب، يراسلونها، ويتبرعون لها التبرعات السخية التي تصل إلى ملايين الريالات في بعض الأحيان! وقد آن الأوان لكي نلتفت إلى مؤسساتنا التربوية بمثل هذا التعهد والكرم، فالأقربون أولى بالمعروف.

إن مؤسسات التعليم هي المسؤول الأول - بعون الله وتوفيقه - عن صناعة مستقبل الأمم والشعوب، وإن وزارة المعارف لا تدخر جهداً للرقي بمستوى مدارسها ومعاهدها، وجعلها - قدر الإمكان - بيئة صالحة يتربى فيها الناشئة، ويعدون إعداداً يتناسب والعصر الذي يعيشون فيه: عصر العلم، والعولمة، والتحالفات الدولية الكبرى في السياسة والاقتصاد، وعصر التنافس المحموم للسبق والسيطرة الذي لا يعيش فيه إلا المتفوقون، أما من عداهم فيستعبدون أو يُستبعدون من الوجود.

إن البيئة التربوية التعليمية الصالحة، المجهزة بكل ما تحتاجه، تأتي أهميتها في الدرجة التي تلي المعلم مباشرة؛ فبهذين الركنين - أعني المعلم ومؤسسة التعليم - يمكننا - بعون الله - تخريج جيل من الشباب الذين تربوا على العقيدة الصادقة، وفهم الواقع، والاستفادة منه، وحسن التعامل معه، والتسلح بمعطياته: العلمية، والفنية، والتقانية، لمواجهته، والتعامل معه، والإسهام في صنعه، ثم للتفوق فيه.

لقد مررنا بتجربة مشجعة في إنشاء جمعية خريجي معهد العاصمة النموذجي وكان صاحب الفضل الأول - بعد الله سبحانه وتعالى - في ذلك، هو صاحب السمو الملكي الأمير سلمان بن عبدالعزيز، أمير منطقة الرياض، الذي راق له الاقتراح عندما تشرفت بعرضه على سموه، وشجعني على المضي فيه.

كما كان صاحب السمو الملكي الأمير أحمد بن عبدالعزيز الذي تفضل بقبول رئاسة الجمعية، وأعطاها جزءاً من وقته الثمين، عاملاً مهماً في إنجاح الفكرة، وقد أشرف بنفسه على الإعداد للقاء الجمعية الأول.

أكرر الدعوة للزملاء بالانطلاق بهذه الفكرة إلى حيز التنفيذ وتنظيم لقاء الخريجين. إن الأغلبية من الراشدين المتعلمين يتطلعون إلى بوتقة تجمعهم وتشعرهم بالانتماء والإسهام الفعال في نماء مؤسسات تربوية تلقوا تعليمهم الأساسي فيها. ■

ـال العالم

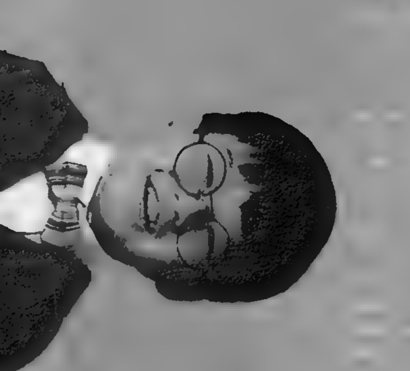

اليونيسيف تحاول رعايتهم

تأسست اليونيسيف عام ١٩٤٦م وهي إحدى المنظمات التابعة لهيئة الأمم المتحدة. واليونيسيف اسم مختصر، والمقصود به «صندوق الأمم المتحدة الدولي لإغاثة الطفولة» وما يميز هذه المنظمة عن غيرها من منظمات الأمم المتحدة «اليونيسكو، والصحة الدولية، والأونروا، والعمل الدولية..» هي رسالتها الأخلاقية والفكرية، وما تهدف إليه من حماية الطفولة من الجوع أو سوء التغذية والمرض والجهل.. والعمل بقدر الإمكان على التخفيف من الصعوبات التي يعاني منها أطفال العالم والسعي لرعايتهم ورفاهيتهم.

وتُموّل المنظمة بالتبرعات الاختيارية التي تشمل الأموال، والمواد الأولية كالحليب والأدوية والمؤن والثياب والأغطية.

وقد ظهر أول برنامج لهذه المنظمة في عامها الأول بإشراك ٦٠ دولة في إسعاف أطفال البلدان التي عانت ويلات الحرب العالمية الثانية، ومنذ عام ١٩٥٠م تحول نشاط المنظمة من الإسعافات الطارئة إلى برامج طويلة الأمد لمساعدة الأطفال في الدول النامية، وفي عام ١٩٥٣ أطلق عليها اسم «منظمة الأمم المتحدة للأطفال» وأصبحت البرامج تشمل مشروعات مخططة على مستوى الدول التي تحتاج إلى هذه المساعدات. كما أصبح على حكوماتها أن تلتزم بتنفيذ هذه البرامج على أن تتحمل المنظمة جانباً من النفقات.

وثيقة حقوق الطفل

تمكنت «اليونيسيف» بعد عمل دؤوب من وضع وثيقة حول حقوق الطفل. عرضت الوثيقة على الجميعة العامة للأمم المتحدة في أواخر عقد الثمانينيات، وبدأ تنفيذها كشركة دولية في بداية التسعينيات، وذلك بعد مصادقة «١٦٠» دولة عليها. ولم يسبق لأي معاهدة أو اتفاقية دولية أن حصلت على مصادقة هذا العدد الكبير من الدول خلال هذه الفترة الزمنية القصيرة.

تحدد الوثيقة في مادتها الأولى الطفل بأنه «كل إنسان لم يتجاوز الثامنة عشرة».

وتدعو في مادتها الثانية جميع الدول «إلى احترام الحقوق الموضحة في هذه الاتفاقية وتضمنها لكل طفل يخضع لولايتها دون أي نوع من أنواع التمييز. بغض النظر عن عنصر الطفل أو والديه أو الوصي القانوني عليه، أو لونهم أو جنسهم أو لغتهم، أو دينهم أو رأيهم السياسي أو أصلهم القومي أو الأثني أو الاجتماعي، أو ثروتهم أو عجزهم، أو مولدهم، أو أي شيء آخر».

قبل إبرام هذه الوثيقة التي تتألف من ٤٥ مادة، صدر عن المجتمع الدولي إعلانات حول الطفل ورعايته، الإعلان الأول يحمل اسم إعلان جنيف (١٩٢٤)، ويدعو إلى توفير عناية خاصة بالطفل، والإعلان الثاني حول الطفل وحقوقه، ويحمل اسم الوثيقة العالمية لحقوق الطفل وقد تبنتها الجمعية العامة للأمم المتحدة في تشرين الثاني ١٩٥٩، واشتملت على عشر مواد. وبعد إعلان الاتفاقية التي نحن بصددها، صدرت خمسة إعلانات دولية أخرى مكملة لها. وهي:

- الإعلان العالمي لبقاء الطفل وحمايته ونمائه وخطة العمل لتنفيذ هذا الإعلان في التسعينيات، وقد صدر عن مؤتمر القمة العالمي من أجل الطفل (الأمم المتحدة، نيويورك ٣٠ أيلول ١٩٩٠).
- التقارير السنوية التي تعدها منظمة الأمم المتحدة للطفولة «يونيسيف» عن «وضع الطفل في العالم» لسنوات ١٩٩١، ١٩٩٢ - ١٩٩٣، ١٩٩٤ .
- ميثاق «حقوق الطفل العربي» الذي أصدرته جامعة الدول العربية سنة ١٩٨٩، ونص على حماية الطفولة ويتكون الميثاق من إحدى وخمسين مادة في خمسة أقسام.
- إعلان أنقرة «لرعاية الطفل وحمايته» الصادر عن منظمة العواصم والمدن الإسلامية في تموز/ يوليو ١٩٩٣، الذي يؤكد الالتزام بحماية الأطفال ورعايتهم وتنشئتهم

• معاناة أطفال العالم تتمثل في:

- سوء التغذية.

- الالتحاق بسوق العمل مبكراً.

- سوء الرعاية الصحية.

- الحرمان من التعليم.

- الحروب العسكرية

على القيم الإسلامية النبيلة وعلى المبادئ الأخلاقية الرفيقة، والحفاظ على حقوقهم، كما يؤكد بشدة على الالتزام بمقررات مؤتمرات القمم الإسلامية والعالمية المتعلقة بالأطفال بما يتفق وحقوق الإنسان والطفل في الإسلام.

– إعلان القاهرة حول «حقوق الإنسان في الإسلام» الصادر في آب/ أغسطس ١٩٩٠م، الذي ينص على ضرورة حماية حقوق الأطفال ويبين التزامات الدول إزاء تلك الحقوق «المادة السابعة».

وشددت المنظمة العالمية لرعاية الطفولة في تقريرها لعام ١٩٩٦ على مسؤولية حكومات الدول الغنية والفقيرة في تفاقم التخلف، معتبرة أنه من «المشين والمخزي» أن نرى آلاف الأطفال يدفعون ثمن سوء التنسيق الاقتصادي في العالم.

وأكدت اليونيسيف أن هناك آلافاً من الأطفال في العالم، مازالوا إما يعانون من سوء التغذية، وإما يستغلون في أعمال مختلفة أو محرومين من العلاج في الوقت الذي يتوفر فيه المجتمع الدولي، على الوسائل اللازمة للتغلب على التخلف.

طفولة «محمية» وأخرى «مشردة»!

ودعت اليونيسيف المجتمع الدولي لصرف النفقات الضرورية لاحترام الحقوق الأساسية للنساء والأطفال مؤكدة على أن أغلبية الدول النامية، يمكن أن تلبي حاجياتها الاجتماعية بمواردها الخاصة، إذا ما أولت أهمية لذلك، مشيرة في هذا الصدد إلى أن هذه الدول، لم تخصص في الثمانينيات سوى ١,٦٪ من الناتج الوطني الخام لقطاع الصحة، ٣,٨٪ للتعليم، في الوقت الذي اقتطعت لصالح النفقات العسكرية نسبة ٤,٣٪.

وفي ١٩٨٥م لم تخصص بلدان إفريقيا جنوب الصحراء للحاجيات الاساسية سوى نسبة ٣٪ من الناتج الوطني الخام، في حين، كان الوضع يستدعي تخصيص ٥,٠٪ على الأقل وهي نسبة «في متناولها» إذا ما علمنا أن التسلح يحظى بـ ٤,٢٪ من النتاج الوطني الخام في

هذه البلدان.

ودعت منظمة رعاية الطفولة، وبشدة هذه البلدان إعطاء الأولوية للأغلبية الفقيرة قبل إعطائها للنخب السياسية القوية، مثل نقل موارد «المستشفيات الحضرية» إلى «مستوصفات قروية» وتقديم الدعم للمواد الغذائية الأساسية عوض الخطوط الجوية.

وتعتبر اليونيسيف أيضاً أن الأغنياء يمكن أن يساعدوا الفقراء حيث ذكرت بأن اربعة دول فقط «النرويج - الدنمارك- السويد - هولندا» تلتزم بتخصيص نسبة للمساعدات الدولية للتنمية المطلوبة من قبل الأمم المتحدة، وهي ٠,٧٪ من ناتجها الوطني الخام.

واعتبرت اليونيسيف أن تفاقم التباينات بين عالم الأغنياء والفقراء مثقل بالتهديدات على التلاحم الاجتماعي في العديد من البلدان، مركزة على أن الأعمال الاجتماعية مثمرة، فمثلاً كان عدد الأطفال الذين من المفروض أن يكونوا في خط الفقر يشكلون ٢٥٪ بفرنسا لولا الحماية الاجتماعية التي قلصت النسبة إلى ٦٪ الشيء نفسه بالنسبة لفنلندا من١٢٪ قبل التدخل الرسمي إلى ٣٪ حالياً وبريطانيا أيضاً فقد قلص العمل الاجتماعي النسبة من ٣٠٪ إلى ١٠٪، وبالسويد من ١٩٪ إلى ٣٪، وبأمريكا الشمالية من ٢٦٪ إلى ٢٢٪، ففي هذا البلد يعيش طفل من بين كل خمسة أطفال تحت عتبة الفقر «نصف متوسط الدخل»

وهناك دول لها نسب تزيد عن ١٠٪ كأستراليا وكندا وإيرلندا.

• لدى اليونيسيف.. الطفل هو كل إنسان لم يتجاوز الثامنة عشرة.

• ١٠٠ مليون طفل بلا مأوى.

• طفل بين خمسة أطفال يعيش تحت عتبة الفقر.

وفي عام ١٩٩٨م انعقد في مدينة نيقوسيا مؤتمر عن أطفال العالم بمناسبة مرور عشر سنوات على صدور اتفاقية حقوق الطفل عن الأمم المتحدة، وعالج المؤتمر قضايا الطفولة ومشاكلها وما تواجهه من أخطار تهدد حياة الأطفال ومستقبلهم، وقد نظمه مركز الحوار العالمي بالاشتراك مع منظمة الأمم المتحدة للطفولة «اليونيسيف» تحت شعار «الأطفال حقوق وحرمان».

هيمنت إحصاءات ومعلومات وثائقية مذهلة عن أوضاع الأطفال في العالم على أجواء المؤتمر فقد تأكد وجود ١٣٠ مليون طفل لم يحصلوا على أي نوع من التعليم و١٠٠ مليون طفل يعملون في ظروف سيئة وخطيرة، وفي أوروبا يوجد مليونا طفل يعملون تحت سن ١٥ سنة، وهناك ١٣ مليون طفل يموتون سنوياً من سوء التغذية أو من الأمراض التي تشفى بسهولة، وهناك ١٠٠ مليون طفل لا مأوى لهم يعيشون في الشوارع، ومليون آخر يجبرون على الدعارة.

وسيطرت على المؤتمر قضايا الطفولة المعذبة في فلسطين والعراق ومجاعات إفريقيا وضحايا الحرب والمنازعات المنتشرة في مختلف بقاع العالم والعمالة الرخيصة الناتجة عن استخدام الأطفال في سوق العمالة.

وقد شارك في هذا المؤتمر نحو ٢٠٠ مندوب من مختلف البلدان والمنظمات والمؤسسات الحكومية وغير الحكومية، ويمكن تلخيص أهم النقاط التي تناولها المؤتمرون بما يلي:

- عمالة الأطفال
- الاستغلال الجنسي للأطفال
- الأطفال ضحايا الواقع الاجتماعي والبيئة الثقافية.
- الأطفال خلال النزاعات المسلحة وبعدها.
- الأطفال في المواجهة الإعلامية.
- خطوات نحو المستقبل.

وتخللت وقائع المؤتمر شهادات مؤثرة ومؤلمة قدمها الأطفال من ضحايا الكوارث الاجتماعية كالحرمان من التعليم والعيش في الشوارع وتجرع مرارة التشرد والعمالة الرخيصة، وقدموا أيضاً شهادات عن رفاقهم من ضحايا الاعتداء الجنسي.. وتداول المخدرات عند الأطفال

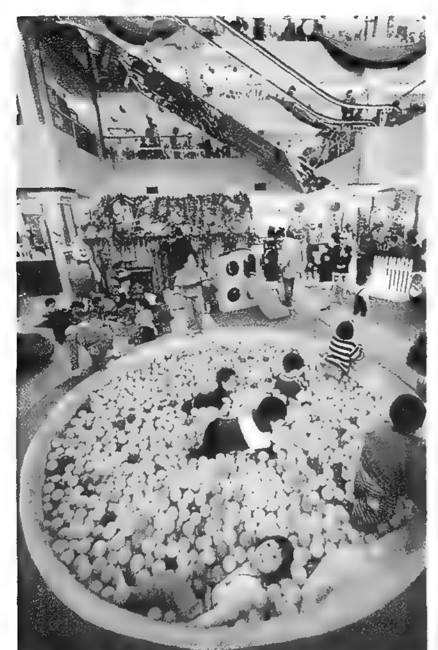

اليافعين. وكذلك الثقافة السلبية، حيث يوجد أكثر من ٨٠٠ موقع على الإنترنت للترويج لدعارة الأطفال، وثقافة العنف عبر لعب الأطفال وبرامج الكومبيوتر.

وناقش المؤتمر أسباب معاناة الأطفال المتمثلة بشكل رئيس في الفقر ومشاكل الأسرة الداخلية كالخوف من التعرض لعقاب الوالدين وسوء الأوضاع الاقتصادية وقلة الموارد التي تخص للاهتمام بالطفولة وفقدان الرعاية الحكومية، والتخلف الاجتماعي وتفشي الأمية وانعدام فرص العمل للوالدين أو أحدهما. وكذلك بدائية طرائق التعليم، وانعدام الحرية واستشراء النظم الديكتاتورية في العديد من البلدان وافتقارها إلى سياسات تعليمية متطورة.

أطفال العالم «الأول»

لماذا هذا التحرك المكثف نحو حماية حقوق الطفل؟ للإجابة عن هذا السؤال لابد من إلقاء نظرة سريعة على التطورات السلبية التي تعصف بالمجتمعات الغربية عامة وبالأسرة الغربية خاصة التي تؤثر بصورة مباشرة على الطفل وبالتالي على مستقبل الإنسانية، فالدراسات الاجتماعية في الولايات المتحدة مثلاً تشير إلى تزايد في انفراط عقد العائلة الأمريكية التقليدية، فقد نشرت مجلة «يو. أس نيوز» في عدد آب/ أغسطس ١٩٩٤ دراسة عن مكتب الإحصاء تقول إن ١٨ مليون طفل أمريكي (أي ٢٧٪ من أطفال أمريكا) يعيشون مع أحد الوالدين فقط سواء مع الأب أو مع الأم. ويمثل هذا الرقم ضعفي ما كان عليه في عام ١٩٧٠، ومع نهاية التسعينيات من القرن الماضي زاد العدد.

يقول عالم النفس الأمريكي ويد هورن الذي يرأس «المبادرة الوطنية للأبوة»، أن هذا الواقع لم يكن له وجود في تاريخ البشرية ويعكس هذا الاتجاه ارتفاع معدلات الإنجاب بين المراهقات العازبات وبين النساء المتقدمات في السن اللواتي أخفقن في العثور على زوج مناسب، كما يعكس تضخم المشكلات الناجمة عن الطلاق المتزايد بين الزوجين.

تقلق هذه المعلومات فئات اجتماعية مسؤولة واسعة في الولايات المتحدة، فالأولاد الذين يكبرون في بيوت إما مع أب، وإما مع أم، هم أكثر تعرضاً للفقر، والعوز والرسوب في المدارس، من أولئك الذين يكبرون في بيوت يرعاها شخصان متزوجان.

وتعتمد غالبية هؤلاء الأطفال على الرعاية الاجتماعية الرسمية للدولة الأمر الذي يزيد من اتكال فئات كبيرة من الناس على الدولة.

ولا تقتصر هذه الحالة للطفولة المروعة على الولايات المتحدة، ولكنها تشمل الدول الصناعية المتقدمة الأخرى. ولو بنسب مختلفة؛ ففي بريطانيا مثلاً ازدادت نسبة الطلاق ٥٠٪ وتراجعت نسبة الزواج ١٦٪ وتشكل العائلات المكونة من أحد الوالدين فقط خُمس العائلات في بريطانيا، إن ٤/٥ الزيجات فاشلة ونصفها ينتهي بالطلاق. أما الأطفال الذين ولدوا من زواج غير رسمي، أي بصورة غير شرعية فيشكلون ١/٣ أطفال بريطانيا.

وفي إيسلندا يشكل الأطفال المولودون من دون زواج ٥٧,٣٪ هكذا تحولت العائلة الغربية إلى ما وصفته مجلة تايم الأمريكية في دراسة لها «جهنم شخصية» فلم تعد العائلة تشكل الإطار المناسب لحياة هانئة، فبالنسبة للطفل أو للمرأة أصبح البيت أشد خطراً من الشارع، والعنف البيتي -أو المنزلي- يتسبب في سقوط ضحايا أكثر مما تسببه الأمراض، أو حوادث الطرق.

ذلك أن أخطر مكان يمكن أن توجد فيه المرأة الغربية هو بيتها. وأخطر عدولها هو عشيقها أو حتى زوجها!

والإحصاءات الأمريكية الرسمية تقول إن ٨٠٪ من جرائم القتل هي جرائم عائلية ففي عام ١٩٨٥ وقعت ٢٠ الف جريمة عائلية.

أما في عام ١٩٩٣م فقد ارتفع العدد إلى ٢٤٥٠٠ جريمة عائلية، وبصورة عامة فإن ٤٨٪ من الجرائم مسرحها البيت، فبين عامي ١٩٦٠ و١٩٩٠ ارتفعت معدلات الجريمة ٥٠٠٪، وهناك دراسة تؤكد أن كل أربعة أمريكيين من خمسة يتعرضون لعمل عنفي مرة في الحياة.

- **١٠٠ مليون طفل يعملون في ظروف سيئة وخطيرة.**
- **١٣٠ مليون طفل لم يتعلموا..**
- **١٤ مليون طفل يموتون دون سن الخامسة سنوياً.**

إن ثلاث دول أوروبية فقط هي «ألمانيا وبريطانيا، وفرنسا» تعاني من وجود ٢٥ مليون امرأة تعيش وحيدة، إما بسبب الطلاق أو عدم الزواج، أضف إلى ذلك انتشار بدعة زواج الشاذين جنسياً وحقهما في التبني.وانتشار ظاهرة أطفال نقص المناعة -الإيدز الذين يولدون وهم مصابون بهذا الداء الوبيل بالوراثة أو أطفال المخدرات الذين يولدون وهم مدمنون وراثياً أيضاً على المخدرات.

هذا هو الواقع المأسوي للعائلة الغربية بانعكاساته المدمرة على حياة الطفل وعلى حقوقه وعلى شخصيته.

أطفال العالم «الثالث»

أما لو نظرنا إلى المجتمعات في العالم الثالث، فنجد أن الأخطار المحدقة بالأسرة والأطفال تعكس صورة مختلفة ومتناقضة تماماً عن الحالة الاجتماعية بالنسبة للأسرة والطفولة في المجتمع الغربي بشكل عام.

فالأخطار المحدقة بالأسرة والأطفال في العالم الثالث والتي تعيق نموهم وتنميتهم هي وليدة الحروب والعنف وضحايا للتمييز والفصل العنصري والعدوان والاحتلال الأجنبي. وهناك الأطفال اللاجئون والمشردون الذين أجبروا على ترك ديارهم واقتلعوا من جذورهم، وهناك الأطفال المعوقون أو ضحايا الإهمال والقسوة والاستغلال في أعمال السخرة واليد العاملة الرخيصة.

وفوق ذلك كله يعاني أطفال في العالم الثالث من أمرين خطيرين آخرين هما الحروب والاستغلال الجنسي فطوال فترة الحروب الباردة (١٩٤٥- ١٩٩٠)، وقعت في العالم ٨٢ حرباً بينها ٧٩ حرباً أهلية. كان لهذه الحروب الأهلية أسوء الأثر على الطفل، ولنا في التجربة اللبنانية، والفلسطينية، والبوسنية، والأفغانية، والألبانية، والعراقية، والصومالية، والشيشانية ما يكفي من الأمثلة والأدلة.

أما بالنسبة للجنس فإن ذلك يتمثل في استعمال الأطفال لإشباع الحاجة الجنسية عند الشاذين الذين يفدون كسياح من أستراليا وأوروبا الغربية والولايات المتحدة الأمريكية إلى دول العالم الثالث. هناك مليون طفل تقريباً يستخدمون في تجارة الجنس هذه. في الهند «٤٠٠ ألف» وفي تايلند «٢٠٠ ألف» وفي تايوان «١٠٠ ألف» والفلبين «١٠٠ ألف» وفيتنام «٤٠ ألف» وسيرلانكا «٣٠ ألفاً».

ومن بين ٧٦ دولة في العالم الثالث تحتل المركز الأول في عددوفيات الأطفال في العالم، هناك ٢٥ دولة إسلامية. مع ذلك فإن دول العالم الثالث تنفق ١٣٪ فقط من الدخل القومي على مشاريع الصحة والتعليم والتغذية

أما العالم الأول فإنه ينفق ٢٠٪ على هذه المشاريع. وإذا علمنا أن دخل العالم الأول يفوق عدة مرات دخل العالم الثالث «فعلى سبيل المثال يشكل الدخل القومي العربي من المحيط إلى الخليج تقريباً ثلث الدخل القومي الألماني»، وإذا علمنا أن عدد سكان العالم الثالث يفوق عدة مرات عدد سكان العالم الأول. أدركنا الهوة السحيقة بين المجتمعين.

الطفل والأسرة في الإسلام

في البدء لابد من أن نفرق بين الشريعة الإسلامية وبين سلوك المسلمين بين ما ورد في الشريعة والوقائع الميدانية، في النص نلاحظ أن الإسلام أرسى مبادئ شاملة لرعاية الطفولة تمثلت في الحرص البالغ على تكوين الأسرة الصالحة في ظل الطهر والشرعية، بصفتها الخلية الأساسية للمجتمع المسلم، وحصنها ضد مزالق الانحراف ومخاطر التمزق، وحرم الإسلام تحريماً قاطعاً الإباحية المتفشية قديماً وحديثاً في العلاقات بين الرجل والمرأة، حتى لا يبتلى المجتمع المسلم بأطفال غير شرعيين أو مجهولي الأنساب. قال جل شأنه: ﴿ومن آياته أن خلق لكم من أنفسكم أزواجاً لتسكنوا إليها وجعل بينكم مودة ورحمة﴾. وقال الرسول ﷺ: «إذا أتاكم من ترضون دينه وخلقه فزوجوه إلا تفعلوا تكن فتنة في الأرض وفساد كبير». وظللت عناية الإسلام الطفل في جميع مراحل وجوده وبالأخص فترة الحمل والرضاعة والحضانة وحفظت له حقوق النفقة والصحة والتربية البدنية والنفسية والتعليم والتربية الملتزمة بالقيم الدينية والأخلاق الرفيعة على الصعيدين الفردي والجماعي. وحفظ حقه في الميراث منذ تكوينه جنيناً في بطن أمه. كما جاء الإسلام بأول صيحة عرفتها البشرية لإلغاء التمييز بين الذكر والأنثى قال جل شأنه: ﴿فاستجاب لهم ربهم أني لا أضيع عمل عامل منكم من ذكر أو أنثى بعضكم من بعض﴾. وحرم الإسلام تحريماً قاطعاً العادة الوحشية الظالمة لوأد البنات.. واستنكر حتى الإحساس بالامتعاض

لولادة الأنثى، كما أن الإسلام أوصى وصاية خاصة بكفالة الطفل اليتيم.. وحرم التبني الذي من شأنه قطع علاقة الطفل بوالديه مقابل تنشئته. والخلط بين الأنساب، فما يبنى على الباطل فهو باطل. حفظاً للأنساب ونقاء للعلاقات الاجتماعية في إطار من العفة والطهر واستقامة الخلق والسلوك.

أما بخصوص الأسرة فلا توجد أمة أو شريعة كالإسلام أعلت من قدر الأمومة وقدرتها، وقرنتها بعبادة الله قال جل شأنه: ﴿وقضى ربك ألا تعبدوا إلا إياه وبالوالدين إحساناً﴾. وجعلتها سبيلاً إلى الجنة: «الجنة تحت أقدام الأمهات».

ومن جهة أخرى فقد أكد الإسلام على نحو شديد الوضوح مبدأ مسؤولية الوالدين – خصوصاً الأب – عن أطفالهما «كلكم راع وكلكم مسؤول عن رعيته».

هكذا أقر الإسلام بالحفاظ على الطفولة والأسرة معاً

لكن المراقب لواقع الحال للأسرة والطفل في كثير من دول العالم الإسلامي يجد الصورة عكس ذلك تماماً أو مختلفة اختلافاً كبيراً. ففي كل يوم يتعرض عدد لا يحصى من أطفال العالم الإسلامي الذي يعد أكثر من بليون مسلم وفي حوالي ٥٥ دولة إلى أخطار تعيق نموهم وتنميتهم.. وفي كل يوم، يعاني ملايين الأطفال المسلمين من الأزمات الاقتصادية، بما تحمله إليهم من ويلات الفقر والجوع والتشرد، ومن الأوبئة والأمية، ومن تدهور البيئة ويعانون كذلك مما يترتب على مشكلات المديونية الخارجية على دولهم من آثار خطيرة وبصورة خاصة الافتقار إلى نمو متواصل ومستمر.

وفي العالم الثالث الذي يشكل العالم الإسلامي أكثريته يموت سنوياً ١٤ مليون طفل دون سن الخامسة من جراء الأمراض وسوء التغذية والجهل أثناء الولادة وتموت نصف مليون أم أثناء الولادة، وهناك ٢٠ مليون طفل يعانون من سوء التغذية، و١٠٠ مليون طفل بدون علم إن ثلث أطفال العالم الثالث يفتقرون إلى المياه الصحية ونصفهم يفتقر إلى المرافق الصحية.

تشغيل الأطفال

يورد التقرير الذي أصدرته اليونيسيف ١٩٩٩م حول تشغيل الأطفال المعطيات التالية: تشكل قضية تشغيل الأطفال وهي مشكلة عالمية انتهاكاً خطيراً لحقوق الطفل، وتختلف أنواع العمل وظروفه إلا أن الكثير من الأطفال يعملون في أوضاع استغلالية خطيرة ويحرمون من التعليم وفرصة النمو السليم. إن تشغيل الأطفال هو نتيجة للفقر وسببه في آن واحد فالحرمان من حق التعليم يؤدي إلى وقوع الطفل في شرك العمل للمحافظة على البقاء. وتقرر منظمة العمل الدولية أن ٢٥٠ مليون طفل بين سن (٥ إلى

البلد	العدد/ مليون	النسبة المئوية
أمريكا اللاتينية	٤	٢٪
إفريقيا الشمالية والشرق أوسطية	٧	٤٪
آسيا الوسطى	٩	٥٪
إفريقيا الجنوبية والساحلية	٣٢	١٨٪
شرق آسيا والمحيط الهادي والصين	٣٦	٢١٪
جنوب آسيا والهند	٨٦	٤٩٪

* عدد الأطفال بالملايين الذين هم دون الخمس سنوات والذين يعانون سوء التغذية في البلدان النامية

البلد	النسبة المئوية
السويد	٤٪
فرنسا	٦٪
الولايات المتحدة	٨٪
رومانيا	٢٥٪
البرازيل	٥٢٪
الهند	١١١٪
السنغال	١٣٧٪
أثيوبيا	١٧٧٪
النيجر	٣٢٠٪

* نسبة الوفيات للأطفال ما دون الخمس سنوات عام ١٩٩٦م.

١٤) سنة يعملون في الدول النامية أي بمعدل طفل من كل أربعة أطفال. نصف هؤلاء يعملون بدوام كامل ويعمل من ١٥٠ إلى ٢٠٠ مليون طفل، معظمهم من البنات دون أجر لدى عائلاتهم، ويشكل الأطفال العاملون في آسيا نسبة ٦٠٪ و٢٢٪ من إفريقيا و٧٪ من أمريكا اللاتينية، كذلك ثمة تشغيل للأطفال في الدول الصناعية، وهو في تزايد مستمر في وسط أوروبا وشرقها.

تعليم الأطفال حق مكتسب

وفيما يخص التعليم، يؤكد التقرير أن نسبة ٨٠٪ من الأطفال في سن الدراسة الابتدائية كانوا مسجلين في المدارس الابتدائية عام ١٩٩٥م، فيما كانت نسبتهم عام ١٩٦٠م تبلغ ٤٨٪ وهذا التحسن في قطاع التعليم في جزء منه نتيجة الجهود المثمرة التي تقوم بها «اليونيسيف».

إن مبادرة تعليم الفتيات التي يتم تنفيذها في ما يزيد عن ٢٥ دولة إفريقية هي جزء من برنامج اليونيسيف للتربية الشاملة للبنات. ويساعد هذا البرنامج على زيادة التحاق البنات بالمدارس في أنحاء العالم كافة إذ يجري تنفيذه في أكثر من ٥٠ دولة

إن البرامج التي تقدم لها اليونيسيف مساعدتها في عدد من البلدان، منها مصر، وغواتيمالا وغينيا واليمن.. تساهم في جعل حق التعليم للأطفال أمراً واقعاً، وعلى وجه الخصوص فيما يتعلق بالبنات في المناطق الريفية. ويتوفر برنامج مدارس القرى الصغيرة في اليمن مثلاً لنحو سبعة آلاف طفل يعيشون في بعض المناطق النائية من البلاد. ويعرض التقرير نسبة مئوية للبنات والأولاد ممن هم في سن الدراسة الابتدائية ولكنهم لا يذهبون إلى المدرسة على النحو التالي:

خطة عمل تنتظر التنفيذ:

أمام هذا الواقع الذي يزداد سوءاً في حقل الطفولة التي هي «زهرة الحياة» انعقد المؤتمر الدولي لتشغيل

الأطفال في أسلو تشرين الأول/ أكتوبر ١٩٩٧م، وتبنى مندوبون من ٤٠ دولة ومنظمة غير حكومية ونقابات عمالية ووكالات دولية، خطة عمل عالمية تعطي الأولوية للقضاء على الأنماط الأكثر سوءاً في تشغيل الأطفال وتشتمل مثل هذه الأنماط على ممارسات شبيهة بالعبودية والعمل الإجباري والاستغلال التجاري والجنسي، واستخدام الأطفال في تجارة المخدرات.. إن توفير شكل مجاني من التعليم الأساس على المستوى العالمي يشكل عاملاً رئيساً لإنجاح الخطة.

كما تقاوم منظمة العمل الدولية ومنظمة اليونيسيف تشغيل الأطفال في عدد من الدول منها (بنغلاديش وبنين والبرازيل وكينيا ومالي، وباكستان والسنغال...) ففي بنغلاديش، وقعت منظمة العمل الدولية واليونيسيف مذكرة تفاهم مع صانعي الملابس من أجل سحب جميع الأطفال العاملين الذين تقل أعمارهم عن ١٤ عاماً من العمل في المصانع وإلحاقهم بالمدارس. وثمة جهود مماثلة في باكستان تهدف إلى توفير فرص تعليمية للأطفال الذين يتركون العمل في مصانع «كرات القدم» وفي عام ١٩٩٨م شارك الأطفال والبالغون في أكثر من ١٠٠ دولة في المسيرة الدولية المناهضة لتشغيل الأطفال تعبيراً عن

الاحتجاج على تشغيل هؤلاء الأطفال، ودعماً لاتفاقية اقترحتها منظمة العمل الدولية لإلغاء الأنماط الأكثر سوءاً.

أطفال الخليج العربي

فيما يتعلق بمنطقة الخليج العربي أعلن ممثل منظمة الأمم المتحدة لرعاية الطفولة والأمومة «يونيسيف» لدى مجلس التعاون لدول الخليج العربية محمد سعيد العظم أن كل الدول الخليجية تقريباً استطاعت خفض نسبة الإعاقة فيها، وقال: «إن شلل الأطفال سيختفي تماماً بعد سنتين أو ثلاث إن شاء الله»، وأكد أن الإعاقات الناجمة عن أمراض الطفولة وسوء التغذية قد تلاشت تماماً. وأوضح العظم أن المجال متسع للتخلص من الإعاقات

اليوم العالمي الاعلامي

حددت منظمة الأمم المتحدة لشؤون الطفولة «اليونيسيف» ١٤ كانون الأول/ ديسمبر من كل عام يوماً عالمياً إعلامياً للأطفال يخصص فيه الإعلام المرئي والمسموع برامجه للأطفال ووجهات نظرهم في البرامج والأفلام ومعظم القضايا التي تعنيهم على أن تترك لهم حرية التعبير عنها بأسلوبهم الخاص. وكذلك أصدرت «اليونيسيف» بهذا الخصوص شريط فيديو بلغات عدة موجهة خصوصاً إلى الأطفال تحت عنوان «مينا» وهو اسم طفلة تعيش في أسيا، محرومة من المدرسة نظراً لاضطرارها إلى مساعدة أمها في البيت لكنها تود لو تتعلم القراءة والحساب مثل شقيقتها.

أما العبرة من هذا الكاسيت فهو تعريف الأطفال على مجتمعات أخرى، وإفهامهم أن كل أطفال العالم لا يعيشون الأوضاع ذاتها.

أصدرت دار «هاشيت» الفرنسية للنشر مؤخراً ضمن مجموعة «رفرانس» كتاب «فقر» الذي أعده مجموعة من الباحثين والصحافيين المختصين وبإشراف كلير بريسية مديرة الإعلام في اللجنة الفرنسية لمنظمة اليونيسيف ووضعت مقدمته «مارتين أوبري» وزيرة العمل والشؤون الاجتماعية وجاء في الكتاب أن ربع سكان الكرة الأرضية (١,٣ بليون شخص منهم ٧٠٪ من النساء) يعيشون في الفقر خصوصاً في الدول النامية. ووصف الكتاب ظروف حياة هؤلاء الناس، وقدم توزيعاً جغرافياً سياسياً للفقر وما ينجم عنه على صعيد الاضطراب السياسي وتطور الأنظمة الاستبدادية.

وفي المقابل اقترح المؤلفون حلولاً تعتمد في الدرجة الأولى على تطوير القطاع الاقتصادي وتنمية الخدمات الاجتماعية.

«إذا التزم الناس بالانضباط المروري وعدم السماح للأطفال بقيادة السيارات، ودعا إلى تضافر كل الجهود في المجتمع للقضاء قضاءً تاماً على الإعاقة مشيراً إلى أن «اليونيسيف» تركز على برامج التوعية للمجتمعات المختلفة عملاً بالحكمة القائلة «درهم وقاية خير من قنطار علاج».

وأكد العظم أن الطفل الخليجي يحظى بالعناية والرعاية، وقال «إن دول الخليج العربية خصصت من ميزانياتها أموالاً طائلة من أجل رعاية الأطفال والأسرة».

وقد انخفضت نسبة وفيات الأطفال والمواليد ممن هم دون الخامسة في السعودية من ٢٩٢ في الألف عام ١٩٦٠م إلى ٢٨ في الألف عام ١٩٩٧م، فيما قاربت نسبة القبول الكلي في المدارس الابتدائية في دول الخليج العربي «البحرين» السعودية، الإمارات قطر»، إلى ١٠٠٪ للبنين والبنات.

وبهذا تعتبر دول الخليج العربي من الدول التي شارفت القضاء على الأمية، وعلى ردم الهوة بين الجنسين في المرحلة الابتدائية.

تجدر الإشارة إلى أن اتفاقية التعاون بين المملكة العربية السعودية «مقر المكتب» ومنظمة اليونيسيف وقعت في تموز/ يوليو ١٩٦١م، ويشارك مكتب المنظمة في نشاطات عدة يقوم بتنظيمها أو يكون طرفاً في أي نشاط تقوم به دولة من دول الخليج العربية. والمنظمة تدعم نشاطات الاهتمام بصحة الطفل وعمليات تقييم وتحليل حالة الأطفال في كل قطر من أقطار الخليج وتقدم الدعم المالي والتقني في عدد من المجالات ومن بينها صحة الطفل والأسرة، وتقديم المسوحات في مجال صحة الطفل التي اكتملت مع نهاية ١٩٩٩م، والتي على ضوئها تقوم المنظمة في إمداد الحكومات بالمعطيات الأساسية في الحالة الصحية العامة للمجتمع، وتوفير مقياس محدد لما تم إنجازه. ■

المراجع:

- الموسوعة السياسية العربية.
- تقارير اليونيسيف ١٩٩٦ - ١٩٩٨ - ١٩٩٩م باريس
- مؤتمر الأطفال «حقوق وحرمان» نيقوسيا ١٩٩٨م.
- كتاب «فقر» دار «هاشيت» باريس ١٩٩٧م.
- تقرير عن التربية في العالم - منشورات اليونيسكو ١٩٩٨م
- جريدة الحياة «حقوق الطفل» ٢٨/٤/١٩٩٥م
- تقرير البنك الدولي ١٩٩٦م.

عددهم أكثر من ١٠٠ مليون:

أطفال الشوارع «الصيصان» المعذبة

مصطلح جديد قديم. جديد في استخدامه في المنطقة العربية رغم شيوعه على الصعيد العالمي. وقديم حيث يعبر بشكل أو بآخر عن الأطفال المشردين، الأحداث الجانحين، الأطفال بلا مأوى، أطفال الظروف الصعبة وإن كان هناك اختلاف طفيف في المفهوم.

كلمة الشارع ترتبط في الأذهان بشيء غير محبب هو مروق عن الأسرة، ضياع شديد الالتصاق بالانحراف أو بكل ما هو سلبي.

الخجل من المواجهة أو الاعتراف بالظاهرة سمة لاتزال موجودة في بعض البلدان العربية. مجموعة من المسلمات باتت ترجع الظاهرة كنتيجة لظواهر اجتماعية سلبية: تفكك أسري، آثار الحروب والمنازعات، سوء الحالة الاقتصادية. ولكن المتقصي للحقيقة قد يجد كل ذلك، وقد يكشف عن أسباب أخرى كامنة، وحتى في الأسباب هناك الأولويات التي تظهر كأسباب مباشرة أو غير مباشرة.

أياً كان الأمر فإن الظاهرة موجودة وإن تنوعت أسبابها وتباين حجمها، وهي موجودة رغم اختلاف المسميات أو التعريفات.

---

*منسق المشروع العربي لأطفال الشوارع

ظاهرة «أطفال الشوارع» من أهم الظواهر الاجتماعية الآخذة في النمو ليس فقط على مستوى البلدان النامية، وإنما أيضاً في الدول الصناعية المتقدمة. ظاهرة من أبرز قضايا الطفولة التي تعانيها كل دول العالم الحديث وتهدد سلامتها وأمنها وتطورها.

أطفال الشوارع أو كما يسمونهم في بولندا «دود الخشب» وفي الكاميرون «الصيصان»، وفي كولومبيا «أولاد الغبار» وفي فيتنام «الأولاد السيئون» وفي هندوراس «المتمردون الصغار»، وفي مصر يطلقون هم على أنفسهم «السوس».

في رسالة إلى مؤتمر قمة الأرض الذي عقد في ريودي جانيرو بالبرازيل ١٩٩٢ بعث بها عشرون طفلاً يناشدون قادة العالم، ويصفون احوالهم بأنها بائسة عنيفة، وأن هناك جماعات الإبادة التي تقتل أبناء الشوارع والحكومة لا تفعل شيئاً، وقالوا إنهم يعانون الجوع والتمييز العنصري.

لقد كانت صرخة من اطفال الشوارع الذين يلفظهم المجتمع وغالباً ما لا يعترف بهم، فهم عادة يمارسون الاعمال الهامشية، فنرى مثلاً طفلاً من أسرة تصدعت أو تفككت يعاني جملة ضغوط نفسية وجسدية واجتماعية لم يستطع التكيف معها. فأصبح الشارع مصيره، حيث لا تتوافر أي من سبل البقاء أو النمو أو الحماية الطبيعية، وحيث يعاني كل صنوف الانتهاكات لحقوق الطفل المعترف بها دولياً.

إنهم أطفال الشوارع، ويجب أن نفرق في المفهوم بينهم وبين ما يطلق عليهم أطفال في الشوارع. فالأطفال في الشوارع قلة تعمل غالباً طوال اليوم في الورش وتظل في الشارع لتعود إلى أسرتها في نهاية اليوم منهكة، فلا يكون هناك مجال لرابطة الطفل بأسرته أو تربيته أو رعايته. الأطفال في الشوارع يستمرون لمدة طويلة في جماعات منظمة في تشكيل العمل، ويرتبطون به ويعودون إلى أسرهم ولكن بلا رقابة ولا فاعلية لدور الأسرة.

أما أطفال الشوارع الذين نعنيهم، فهم غالباً أقل استقراراً في عملهم، لايقومون بأعمال شاقة مثل الأطفال العاملين، وتحرروا من الروابط الأسرية، وهربوا نتيجة أسباب متعددة قد يكون الفقر أساسها أو قسوة العمل أو تفكك الأسرة.

طفل الشارع هو كل طفل اعتبر الشارع بمعناه العريض المكان المعتاد للسكن أو العمل أو الاثنين معاً، دون عناية أو إشراف من شخص راشد مسؤول.

أطفال الشوارع عالمياً

لا يوجد تقدير دقيق لأطفال الشوارع. وقد اختلفت التقديرات، وتباينت، ولكن الذي يلاحظ الظاهرة يجد أن هناك نمواً مذهلاً في العدد والانتشار. فبينما ذكر أحد التقديرات عام ١٩٨٧ «أن عدد أطفال الشوارع يبلغ ٣٠ مليون طفل على الصعيد العالمي» جاء في تقديرات ١٩٩٥«لتعلن أن العدد يزيد على ١٠٠ مليون طفل يوزعون حسب النسب التقديرية التالية: ٢٠٪ في الدول المتقدمة، ٤٠٪ في أمريكا اللاتينية، ٣٠٪ في آسيا، ١٠٪ في إفريقيا». وهناك تقديرات تجاوزت هذه الأرقام فذكرت أن امريكا اللاتينية وحدها بها ٥٠ مليون طفل شارع بينهم ٣٠ مليون بالبرازيل وحدها إلى آخر ذلك من التقديرات. وفي كتاب صدر مؤخراً في ألمانيا قدر عدد أطفال الشوارع عالمياً بـ ٢٥٠ مليون طفل، ولا ندري إن كان الرقم حقيقياً أو مبالغاً فيه. وأياً كان الأمر فإن الحجم غير دقيق ولكن الثابت أن الظاهرة موجودة وزيادتها مطردة وبشكل مؤكد.

والمتتبع لما كان ينشر عن الظاهرة يجد أنها خاصة في أمريكا اللاتينية وآسيا ثم امتدت وظهرت في إفريقيا، بل وبدأ الحديث يتصاعد أيضاً عن أطفال الشوارع في الدول المتقدمة وإن اختلفت الأسباب بالطبع، فيذكر أن

• طفل الشارع هو كل طفل اعتبر الشارع المكان المعتاد للسكن أو العمل دون إشراف من شخص راشد ومسؤول.

• الهند أكبر دولة يوجد بها أطفال الشوارع.

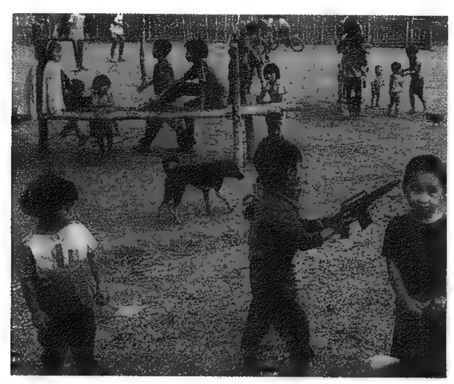

نيويورك تزخر بما يزيد على ٢٠ ألف طفل شارع، كما يزداد أطفال الشوارع بصورة ملحوظة في أوروبا خصوصاً من أبناء المهجرين.

فماذا يفعل أطفال الشوارع؟

تقول التقارير إنهم يتسكعون في شوارع العواصم الكبرى، يزاولون الحرف الدنيا والأعمال الهامشية ويمارسون أعمالاً لا أخلاقية فتجدهم مع تجار المخدرات للتوزيع أو التسهيل، يمرحون في مجال السرقة والنشل، إنهم مجال خصب لكل الأمراض الاجتماعية، ومعرضون للانحراف دائماً، بل منحرفون فعلاً ونجدهم يتحولون من متسولين إلى لصوص ونشالين. الأعمال السائدة في الغالب هي أعمال جنس ومخدرات وعنف و.. يستغلهم المنحرفون والمجرمون في تشكيل العصابات وكل ما هو خارج عن القانون.

وإن كانت الأيدي الآثمة تتلقفهم وتزين لهم كل الشرور فهناك مواقف من المجتمع تبلغ ذروتها وتطرفها في استئجار قتلة محترفين لقتلهم وتشكيل ما يسمى بفرق الموت بالضبط كما كان يحدث في فترة إبادة الكلاب الضالة. وعلى جانب آخر فإن بعض منظمات المجتمع تسعى إلى حمايتهم ووقايتهم وتقديم الخدمات لهم للأخذ بأيديهم. وآخرون من الباحثين قلقون يهتمون بالبحث عن أسباب الظاهرة وتفاقمها ويسعون إلى وضع الحلول للتخفيف منها أو القضاء عليها. إن هؤلاء الأطفال الذين يصفهم البعض بأنهم ليسوا بعد من جيل الشباب وليسوا تماماً من الأطفال. الفرد منهم مازال صوته يتغير لا هو بصوت طفل ولا هو بصوت رجل أو امرأة. كثير من هؤلاء ينام على الأرصفة وتحت الجسور وفي الخرابات ومحطات القطارات وفي الأنفاق وفي ممرات ومسالك المجاري تحت المدن.

القانون عند هؤلاء كما يقول أستاذ علم الاجتماع دي لوليو هو قانون الأرصفة والشوارع. وينقسم هذا القانون أقساماً متخصصة: هناك قسم لمروجي المخدرات، وقسم للجنس الشاذ وآخر للجنس الطبيعي، وقانون للمال يتعامل على أساسه النشالون واللصوص من الأطفال والكبار. وهذه نفسها أي المخدرات والجنس والمال هي الحوافز الثلاث التي تشجع أطفال الشوارع على استمرار العيش فيها وتفضيلها كمسكن ومكان عمل وساحة ترفيهية على أي موقع آخر.

يستطرد د. جميل مطر في مقالة نشرت له بجريدة الأهرام بعنوان «الطفولة المفترسة»، في إطلاق صيحته حول علامات نهاية القرن، حيث يشير إلى ما يتسم به قطاع كبير من أطفال الشوارع بالعنف والقسوة والنقمة على المجتمع، وأن المحللين والدارسين يرجعون الظاهرة في الدول المتقدمة عموماً إلى انهيار العائلة، وأن المنتمين من الأطفال للعائلات عادة ما تكون عائلات لا تعرف الحب، فالأب أو الأم إما سكيراً أو شاذاً جنسياً أو الاثنين معاً. ونوه أن الفكر الاجتماعي الغربي بدأ يغلّب الأخلاق على المادة في تحديد توجهات الأطفال بل والبشر. وهذا بعث لنظرية «الفقر الأخلاقي».

إن توافر الحب والحنان والرعاية في إطار الأسرة من العوامل الرئيسة كما سبق الإشارة، ولكن يمكن القول بأسلوب آخر أنه إذا لم تشبع الأسرة الحاجات الإنسانية للطفل فإنه يبدأ في التوجه إلى خارج الأسرة.

وهناك من العوامل الخارجية التي قد تدفع الطفل إلى الوجود في الشارع، وذلك من خلال «تجارة الأطفال»، وما يسمى بالرقيق الأبيض والتي تتباين أسبابها من بين قوة دفع من الأسرة لأسباب اقتصادية للتخلص من الأبناء ومن قوة إغراء محترفي الرقيق سواء بالمال أم المخدرات أم بالخطف إن لزم الأمر.

إن التقديرات الإحصائية تشير إلى بيع ٢٠ مليون طفل في الثمانينيات، وأن البيع شمل أمريكا اللاتينية وجنوب شرق آسيا وإفريقيا، وامتد مؤخراً إلى أوروبا الشرقية وخصوصاً رومانيا. إن تجارة الأطفال توفر أناساً يعملون في الأعمال الصعبة، ويعيشون فيما يشبه السخرة ناهيك عن أطفال قطع الغيار حيث راجت تجارة الأعضاء وانتشرت.

في أمريكا اللاتينية وألمانيا والهند

ولتبيان الصورة عالمياً بشكل أوضح، فإننا نعرض مقتطفات مما جاء بجريدة الشرق الأوسط في ١٩٩٩/٨/٢٦ كتحليل لكتابين حديثين:

فلقد صدر في ألمانيا كتابان جديدان يتناولان موضوعاً اجتماعياً وإنسانياً مهماً لم يحظ حتى الآن، حتى من قبل المحافل الدولية وهيئات التنمية والمساعدة الإنسانية، بالأهمية التي يستحقها على الرغم مما يمثله من كارثة حقيقية في دول العالم الثالث في آسيا وإفريقيا وأمريكا اللاتينية، وحتى في بعض دول العالم العربي،

• ألقاب عالمية لأطفال الشوارع:

- في بولندا: دودة الخشب.

- في الكاميرون: الصيصان.

- في كولومبيا: أولاد الغبار.

- في هندوراس: المتمردون الصغار.

- في مصر: السوس.

وهو موضوع «أطفال الشوارع المشردون» الذين تؤكد المعلومات الإحصاءات أن عددهم يزيد على ٢٥٠ مليون شخص من الأطفال والأحداث في العالم اليوم.

الكتاب الأول يحمل اسم« أطفال الشوارع في أمريكا اللاتينية وألمانيا» للباحث الاجتماعي الألماني أوقه فون دوكر ونشرته دار «أيكو» الألمانية للنشر في فرانكفورت في نحو ٢٤٠ صفحة. وقد أمضى المؤلف فترة طويلة في مجال الأبحاث المتعلقة بالأطفال المشردين في شوارع دول أمريكا اللاتينية ومدنها المكتظة بالسكان، ودرس المشكلات السياسية والاقتصادية والاجتماعية المؤدية إلى تشرد ملايين الأطفال والأحداث في هذه الدول. وقد وقع اختيار المؤلف الألماني على ثلاث دول من أمريكا الجنوبية هي البرازيل وتشيلي وأورجواي لإلقاء ضوء ساطع على أوضاع أطفال الشوارع فيها، وعلى فشل حكومات هذه الدول والمنظمات الدولية والإقليمية العاملة في هذا المضمار في معالجة هذه المشكلة التي يزداد حجمها يوماً بعد يوم، ووصفها بأنها «كرة من الثلج» و«قنبلة موقوتة في المجتمع الدولي» في الوقت نفسه الذي انتقد فيه نظرة العالم الغربي إلى مفهوم «أطفال الشوارع» بسبب انطلاقها من نقطة مقارنة مغلوطة مع ما يعرف باسم «أطفال الشوارع» في الدول الغربية، إذ إن هذا المفهوم مختلف تماماً في الدول والأقطار النامية والفقيرة.

ويشير «أوقه فون دوكر» إلى أن أطفال الشوارع في أوروبا، وخصوصاً في ألمانيا، يشكلون مشكلة اجتماعية يسعى المسؤولون إلى معالجتها بوسائل تربوية واجتماعية واقتصادية، بينما تمثل في الأقطار النامية مشكلة معقدة جداً. فأطفال الشوارع فيها يمثلون «شعباً داخل شعب» إذ إن كل طفل من اثنين في أمريكا اللاتينية هو من أطفال الشوارع وهم أطفال وأحداث، معظمهم من دون مأوى أو رعاية عائلية، يجتمعون في الشوارع والأزقة والعقارات المهملة، بعد انفصالهم عن أسرهم تماماً، ويمارس بعضهم الأعمال البسيطة، بينما يغرق معظمهم في مستنقع الفراغ مما يؤدي إلى الوقوع في براثن الجريمة وتعاطي المخدرات. ويضيف المؤلف أن هناك مشكلات مشتركة بين أطفال الشوارع في أوروبا ودول العالم الثالث، حيث إن كليهما يعيشان على حافة المجتمع

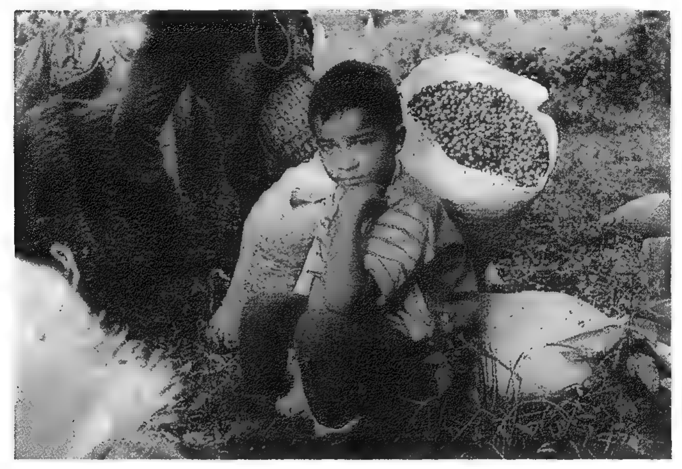

ويواجهان رفضه بوسائلهما المحدودة ويعملان على تحديه ورفض قيمه، وكسب القوت عن طريق التسول والسرقة والدعارة.

ويتحدث المؤلف عن العداء الذي تكنه السلطات في دول أمريكا اللاتينية لأطفال الشوارع، فبدلاً من البحث عن الوسائل التي ترعاهم وتعيدهم إلى المجتمع تستخدم هذه السلطات ضدهم مختلف أشكال القهر والاضطهاد وخصوصاً إلقاء القبض عليهم بصورة عشوائية وإلقائهم في السجون فترات طويلة، بل حتى التخلص منهم نهائياً في بعض الأحيان، وهي عمليات يشارك فيها أيضاً الأشخاص البالغون الذين يعمدون إلى استغلال الأطفال والأحداث المشردين، والتخلص منهم أحياناً، مقدماً أمثلة معروفة في هذا المجال، منها ما عمدت إليه بعض حكومات دول أمريكا اللاتينية من حملات «تطهير» ضد هؤلاء المشردين خلال زيارة البابا لها، وفي مناسبات مماثلة.

كذلك يكشف كتاب «فون دوكر» عن صور المآسي التي يعيشها أطفال دول أوروبا الشرقية الذين يتسللون إلى دول الاتحاد الأوروبي، وخصوصاً ألمانيا، ويعملون في مهن مختلفة من بيع الصحف والخدمة في المطاعم حتى العمل في ورشات البناء والمصانع الصغيرة، بأجور قليلة جداً، بعيداً عن شروط التأمين الصحي والاجتماعي وتشريعات العمل القانونية ويقدر عددهم اليوم بحوالي ٤٠٠ ألف طفل وحدث.

والكتاب الثاني الذي يتناول موضوع أطفال الشوارع في أوروبا والأقطار النامية هو كتاب جديد أصدرته دار نشر «فردريكنج» الألمانية في ميونخ، وضعته الكاتبة «ياسمين باورن فايند» وتتحدث فيه عما رأته بنفسها خلال رحلاتها العديدة في أنحاء شبه القارة الهندية، وهو يحمل عنوان «اليوم سنغير العالم. أطفال الشوارع في الهند».

وتؤكد المؤلفة أن الهند هي أكبر دولة في العالم تضم أطفال الشوارع وأحداثهم، إذ يتجاوز عدد هؤلاء الذين تتراوح أعمارهم ما بين ثلاث سنوات واثنتي عشرة سنة المائة مليون طفل وحدث، يتكدسون في المدن الكبيرة وأحيائها المهملة وبينهم عدد كبير من الفتيات الصغيرات

اللواتي اضطررن إلى التسول والتشرد وممارسة الدعارة والاستغلال الجنسي لهن، بعد أن تتركهن أسرهن أو تعجز عن إيوائهن وإطعامهن وتعليمهن.

وتشرح ياسمين باورن فايند في كتابها العلاقة التي تربط العائلة الهندية بأطفالها، مؤكدة أنها رابطة وثيقة جداً تزول تدريجياً بسبب ضغط الفقر والجوع وأعباء المواليد الجدد، فتضطر العائلة إلى ترك أطفالها وإهمالهم وتركهم لمصيرهم في الشوارع المليئة بالصور المفجعة، أو إجبارهم على ممارسة العمل في مهن هي غالباً المهن نفسها التي يمارسها الوالدان، كل ذلك في أجواء اجتماعية صعبة تدفع الأطفال والأحداث إلى التشرد والانحراف.

كذلك تقدم المؤلفة صوراً حزينة عن استغلال الأطفال والأحداث كعناصر اقتصادية وإنتاجية مستغلة من قبل البالغين الجشعين، وتضرب مثالاً على ذلك بما هو معروف في الهند باسم «أطفال حياكة السجاد» الذي يمثل أبشع صور استغلال الطفولة البريئة كأيد عاملة رخيصة تعمل في ورشات رديئة لا تتوفر فيها أبسط الشروط الصحية.

الواقع العربي

لم ينج المجتمع العربي من هذه الظاهرة الدولية. فلقد مر مؤخراً بالعديد من التغييرات الاجتماعية والاقتصادية والسياسية – على اختلاف درجة حدتها– تمثلت في الزيادة السكانية في العديد من البلدان العربية، وازدياد معدلات الهجرة من الريف إلى الحضر، وبالتالي الضغط على الخدمات العامة خصوصاً المدن والعواصم الرئيسة، والحروب الأهلية وحرب الخليج ومشكلات جنوب السودان والجنوب اللبناني والضفة الغربية وقطاع غزة، إضافة إلى العديد من الكوارث الطبيعية. مثل هذه التغييرات غالباً ما ترتبط بمشكلات التفكك الأسري، سوء معاملة الطفل، جرائم العنف الأسري، البطالة، انخفاض متوسط دخل الفرد. ازدياد معدلات التسرب الدراسي وعمالة الطفل لتعويض الفاقد الاقتصادي لبعض الأسر، مما يهيئ المناخ (إضافة إلى العديد من الأسباب والعوامل الأخرى) إلى ازدياد حدة مشكلات الطفولة. ومن بينها مشكلة أطفال الشوارع، في العديد من المدن والعواصم العربية.

وعلى الرغم من وجود أدلة تشير إلى وجود ظاهرة أطفال الشوارع عربياً خلال فترات سابقة إلا أن مصطلح أطفال الشوارع يعد أحد المصطلحات حديثة التناول على الساحة العربية، ويرجع ذلك إلى مجموعة من الأسباب المختلفة، أهمها ندرة استخدام المصطلح على المستوى الأكاديمي العربي. وبالتالي ندرة الدراسات والبحوث السابقة في هذا المجال، والاعتماد على مجموعة من المصطلحات (قانونية الطابع) مثل الأحداث المشردين، والأحداث المنحرفين، والأحداث الجانحين، وحالات التعرض للانحراف. للإشارة إلى كل حالات تعرض الطفل لعناصر الانحراف بوجه عام (شأنها في ذلك شأن الأسلوب السائد لتعريف الظاهرة عالمياً). ووجود مجموعة من الصعوبات الإجرائية التي ترتبط بعملية حصر هذه الفئة من الأطفال دائمي التنقل بالشارع من مكان إلى آخر ومن عمل إلى آخر، فضلاً عن أن معظم التعددات الخاصة بالسكان (عربياً) لا تتضمن حصراً لمثل هذه التجمعات الهامشية من الأطفال الذين ليس لهم محل ثابت أو دائم للإقامة. ونتيجة لهذه الأسباب المتعددة تظهر المشكلات المرتبطة بحصر هذه الفئة من الأطفال. وبالتالي تحديد حجم وطبيعة ظاهرة أطفال الشوارع عربياً، وهو ما يشير إلى أن هناك ضرورة للتعرف إلى أبعاد الظاهرة عربياً. وتحديد عواملها وخصائصها المختلفة بما يمكن أن يسهم في التصدي لها بشكل فعال.

من خلال استعراض الدراسات الميدانية التي تناولت

• أطفال الشوارع في العالم:

- ٢٠٪ في الدول المتقدمة صناعياً.

- ٤٠٪ في أمريكا اللاتينية.

- ٣٠٪ في آسيا.

١٠٪ في أفريقيا.

ظاهرة أطفال الشوارع في بعض الأقطار العربية- على الرغم من ندرتها- فضلاً عن مراجعة المعطيات الخاصة ببعض المشروعات الأهلية التي تتصدى للظاهرة على الساحة العربية. نجد أن هناك شبه إجماع على تعريف أطفال الشوارع على أنهم: «الأطفال (حسب التحديد القانوني لمصطلح «طفل» على مستوى الأقطار العربية المختلفة) من الذكور والإناث، المقيمون بالشارع (بما يشتمل عليه المفهوم من أماكن مهجورة، إلخ) بصورة دائمة أو شبه دائمة الذين يعتمدون على حياة الشارع في البقاء (بما يدفعهم إلى القيام بالعديد من الأعمال الهامشية) والذين يعيشون في الشارع دون حماية أو رقابة أو إشراف من جانب أشخاص راشدين في مؤسسات ترعاهم».

والتعريف بهذا الشكل يركز على عاملين أساسيين، وهما مدى ارتباط الطفل بحياة الشارع في مقابل ارتباطه بأسرته، وكذلك البعد عن المنظور التجريمي للتعامل مع الظاهرة.

إن ما ميز المنطقة العربية أيضاً في هذا الصدد عدم قبول المصطلح أو التسمية. وهناك نوع من الخجل من الاعتراف بها. فالاعتراف ضعيف والرغبة في استخدام مسميات أخرى قائم وهذا ما يصعّب المواجهة. ولكن هناك تغيير في الآونة الأخيرة ورغبة في عمل الممكن، والتناغم مع التيار الدولي للتصدي للظاهرة. وعلى الباحث أن يمعن في اكتشاف اللفظ المستخدم، فمن قائل بظاهرة التسول وآخر يتحدث عن الأحداث الجانحين بصفة عامة.

وعلى الرغم من عدم وجود إحصاءات دقيقة حول حجم الظاهرة عربياً بشكل يمكن أن يسهم في التعرف على أبعادها المختلفة، إلا أن هناك تقديرات تمت وفق اجتهادات الباحثين، فلقد أشار أحمد صديق في كتابه «خبرات مع أطفال الشوارع بمصر» إلى أن أطفال الشوارع يقدرون بـ ٩٣,٠٠٠ طفل. وهناك من يبالغون في هذا الرقم دون إشارة إلى دراسة أو حصر. ذكرت إحدى الجمعيات (الجمعية العربية لجهاز الأطفال بالأسكندرية) أن عدد أطفال الشوارع ٢ مليون وهو رقم غير موثق. وفي اليمن قدر اتحاد الجمعيات غير الحكومية عدد أطفال الشوارع بـ ٧٠٠٠ طفل

وفي السودان يقدرون عدد أطفال الشوارع بـ ٣٧,٠٠٠ طفل تقريباً سنة ١٩٩١.

وتشير الإحصاءات الواردة من الأردن إلى عدم وجود الظاهرة بالشكل المتعارف عليه. ولكن هناك تسولاً أو

تشرداً، وذلك في المحافظات والمدن الكبيرة، وتوضح أن عدد المقبوض عليهم للتشرد سنوياً من الذكور والإناث ٥٦٧،٦١١،٦٧٣ في سنوات ١٩٩٦،١٩٩٧،١٩٩٨ على التوالي.

وفي لبنان يشيرون إلى وجود الظاهرة بكونها من جنسيات أخرى.

ولقد أورد د. مبارك ربيع في ورقته المقدمة إلى اجتماع الخبراء الذي نظمه المجلس العربي للطفولة والتنمية لمناقشة أبعاد ظاهرة أطفال الشوارع عربياً، بأن عددهم في المغرب ٢٣٧,٠٠٠ طفل.

وهكذا فالتقديرات متباينة، وهناك شبه إجماع على أن الظاهرة موجودة وبشكل واضح في عدد من الدول العربية.

ولا شك أن هناك العديد من الجهود المتناثرة سواء الحكومية أو الأهلية التطوعية أو الخاصة بالهيئات والمنظمات الإقليمية والدولية لتبني مشروعات تهدف إلى التصدي لظاهرة أطفال الشوارع في بعض الأقطار العربية التي بدأت تستشعر خطورتها. وعلى الرغم من وجود بوادر محاولة تطوير برامج وخدمات تهدف إلى التعامل المباشر مع الظاهرة- خصوصاً على المستوى الأهلي التطوعي- إلا أن المشكلة تكمن في أن نقطة البداية غالباً ما تتم دون الاستفادة الكاملة من الخبرات المختلفة التي مرت بها أقطار (عربية أو غير عربية) أخرى في هذا الصدد. كما أن معظم هذه الجهود والخبرات مازالت طليعية في مجملها، وتحتاج إلى توفير الدعم المادي والفني لضمان استمراريتها وتحقيقها لأهدافها. ومن هنا تبرز أهمية تنسيق الجهود العربية من خلال إعداد وتطوير المشروعات العربية المشتركة للتصدي للظاهرة على مستوى البلدان العربية التي تعاني منها.

• أطفال الشوارع في الدول العربية:

- ٩٣ ألف في مصر.

- ٣٧ ألف في السودان.

- ٢٣٧ ألف في المغرب.

- ٧ آلاف في اليمن.

أسباب الظاهرة

هناك مجموعة من المسلمات باتت ترجع الظاهرة كنتيجة لظواهر اجتماعية سلبية ترتبط في الذهن بالتفكك الأسري وسوء الحالة الاقتصادية أو كنتاج للحروب والمنازعات. إلا أن المتعمق في الظاهرة يمكن أن يعدد أسباباً كثيرة لوجود الظاهرة بل وانتشارها. وتتفاوت الحدة من مجتمع إلى آخر، فكل له خصوصيته. ومن خلال استقراء الدراسات على قلتها يمكن أن نرصد مجموعة من الأسباب تتمثل فيما يلي:

أولاً: أسباب مجتمعية يمكن الإشارة من خلالها إلى:

١- الهجرة من الريف إلى المدينة. فالريف مازال عنصراً للطرد وليس للجذب. إن نقص الخدمات وفرص العمل والترفيه عوامل مشجعة للهجرة التي قد تكون مؤقتة أو دائمة الوجود في المدينة غالباً بلا مأوى مستقر أو المعيشة في مجتمعات مهمشة. وبالنسبة للأطفال وعدم استقرارهم وهجرتهم التي تأخذ غالباً شكل الهروب تفرز أطفال الشوارع.

٢- التعليم والتسرب منه: مشكلة مزدوجة. فالتعليم لا يجذب الطفل ويستوعبه بصورة كاملة. وأحياناً توجد حالة من الاغتراب بين الطفل ومدرسته. فالمدارس بالتعليم الابتدائي أو التعليم الأساسي لم تصل إلى درجة الاستيعاب الكامل، أي أنه لا تزال هناك أعداد ليس لها مكان بالمدارس، علاوة على عمليات التكدس في المدارس والفترات التي وصلت إلى ثلاث فترات من بعض المناطق بالدول العربية، ناهيك عن إعداد المعلم والمنهج الدراسي، وما شاب العملية التعليمية من قصور وبروز ظواهر اقتصادية في مشكلة التكلفة التعليمية والدروس الخصوصية إلى آخر كل ذلك.

والتعليم في هذه الظروف قد يدفع الطفل إلى الهروب من المدرسة نتيجة عدم تكيفه أو ما يلاقيه من عنف، خصوصاً في الريف أو ما تسهم فيه الأسرة من عدم

تشجيع أو حماس نظراً لزيادة الكلفة وعدم القدرة على مواجهة المصاريف والأعباء المدرسية . التسرب يعني في المقام الأول إلى الشارع والسعي إلى عمل غالباً ما يكون هامشياً.

٣- الظروف الاقتصادية (الفقر): عامل أساسي في الكثير من الأمراض الاجتماعية والفقر أو سوء الأحوال الاقتصادية يعني أموراً كثيرة أهمها عدم توفير الحاجات الأساسية من مأكل وملبس وعلاج. ويصاحب الفقر أيضاً مجموعة من التنازلات مثل قبول الأعمال مهما كانت نتائجها أو نوعيتها. محاولة التكسب بشكل مشروع أو غير مشروع. إن الفقر يصاحبه العيش في مجتمعات مهمشة تشعر بالنقمة والعداء للمجتمع. والتخلي عن المسؤوليات والإهمال الأسري يجذبهم إلى الشارع، حيث الحرية والبعد عن الضغوط.

٤- الاعتماد على الأطفال بالقيام ببعض الأعباء الأسرية: ويتمثل ذلك في القرية بصفة أساسية، حيث يعتمد على الأطفال في أعمال زراعية، وبالتالي يتسربون من التعليم. وعندما يكبرون وتضيق بهم سبل الحياة يهاجرون من القرية وقد يتم ذلك في سن مبكرة.

٥- البطالة: وهي نتاج الأزمة الاقتصادية المجتمعة وهي تتراوح بين البطالة الموسمية بالقرية أو البطالة نتيجة تفتيت الملكية الزراعية وزيادة عدد السكان والعوامل الطاردة من القرية للمدن حيث الدخول لسوق العمل مع عدم التأهيل المناسب لأداء الأعمال. إن البطالة في المدينة نتاج الميكنة والتحولات الاقتصادية والهيكلة وزيادة أعداد الخريجين وعدم توافر فرص عمل مناسبة مع الزيادة السكانية والرغبة في الدخول إلى سوق العمل. فإذا أضفنا إلى ذلك عنصر الأطفال المتسربين من التعليم والراغبين في الدخول في سوق العمل فإن المنافسة هنا تكون صعبة تماماً، ويكون هناك إقبال على تشغيل الأطفال لرخص الأجر والتهرب من الالتزامات الوظيفية وهذا عامل مشجع للأطفال، وعندما تشتد الأزمة فنجد الأطفال يعملون في ظروف صعبة وأوقات غير مناسبة وأجور متدنية.

ثانياً: بالنسبة للأسباب الأسرية:

فرغم تداخلها مع الأسباب المجتمعية، فإنه يمكن الإشارة إلى ما يلي:

١- اليتيم: إن فقدان أحد الأبوين أو كليهما قد يكون

سبباً في ضعف الرقابة على الأطفال ومن ثم انحرافهم أو خروجهم إلى الشارع.

٢- الإقامة لدى الأقارب: بسبب اليتم أو التصدع الأسري أو غياب الأب أو الأبوين بسبب العمل في الخارج. وقد يؤدي أيضاً إلى ضعف الرقابة أو التعرض للعنف ثم الهرب إلى الشارع.

٣- التفكك الأسري: بمعنى وجود مشكلات داخل الأسرة بين الأب والأم وأمام الأبناء مما يدفعهم إلى محاولة الهروب، وتتصدع الأسرة ويحدث الانفصال أو الطلاق ويقيم كل طرف في مكان منفصل، تتزوج الأم أو يتزوج الأب ويتشتت الأبناء في النهاية بالشارع.

٤- القسوة: سواء من الأبوين أو من الأقارب أو المحيطين أو حتى من المدرسة. إن القسوة والعنف يولدان الانفجار ثم اللجوء إلى الشارع.

٥- التمييز بين الأبناء: كثرة عدد الأبناء مع ظروف اقتصادية صعبة وما يصاحبه من تمييز لأحد الأبناء قد يكون الولد وقد تكون البنت، إهمال بعض الأبناء أو تمييز للكبير عن الصغير- تتولد الغيرة ومن ثم الهروب. إن الكثرة مع الجهل تدفع إلى التغاضي عن غياب الأبناء أو إقامتهم خارج الأسرة.

٦- الجيرة: إن الإقامة في أحياء هامشية ذات طابع خاص قد تؤدي إلى مخالطة الأبناء للمنحرفين الذين يغوونهم لكل ما هو فاسد.

٧- عمل الأب والأم: إن الأب الذي يمارس عملاً تافهاً أو منحرفاً قد يكون سبباً في انحراف الأبناء واحترافهم

• المخدرات والجنس والمال.. الثالوث المحيط بأطفال الشوارع.

• بعض المجتمعات تتطرف في التعامل معهم فتستأجر قتلة محترفين للتخلص منهم.

للعمل نفسه، المخدرات، الدعارة وهي أعمال تؤثر على الأبناء وانحرافهم ومن ثم هروبهم أو خروجهم إلى الشارع.

٨- إن الهجرة أو السفر لمدد طويلة للعائل يعد من مظاهر التفكك، كما أن البطالة وما يتبعها من ظروف اقتصادية توجد تقصيراً في الرعاية الأسرية.

٩- الإدمان وآثاره المدمرة الصحية والمادية تؤدي إلى التفكك.

١٠- كثرة النسل وتلازمه مع سوء الحالة الاقتصادية يدفع إلى إهمال الرعاية والمتابعة، وقد يكون سبباً في الدفع إلى عمالة الأطفال والوجود بالشارع، ولا يخفى أن هناك رباطاً بين عمالة الأطفال وأطفال الشوارع بشكل أو بآخر خصوصاً في حالة الأعمال الهامشية.

١١- التقليد: إن قرناء السوء يدعون الأبناء إلى الخروج إلى الشارع للعمل والكسب وتقليد الكبار. التدخين مثلاً، الشعور بالحرية، وبالتالي فالشارع هو المتنفس للحرية لممارسة الترفيه.. الشر دائماً مزين.

ثالثاً : أسباب خاصة بالأطفال أنفسهم تدفعهم إلى الشارع:

* الميل إلى الحرية والهروب من الضغط والأوامر الأسرية.

* غيبة الاهتمام باللعب كضرورة والترفيه في داخل الأسرة والبحث عنه في الشارع.

* ضعف الرقابة من خلال اللامبالاة من الأسرة أو الثقة الزائدة، وعكس ذلك في إطار العنف وعدم الاستماع للأطفال، وقناعة الطفل بعدم وجود من يفهمه ويقدر مشاعره ويجد ذلك بين قرناء السوء خارج الأسرة.

* المحاكاة في السلوك لحالات أخرى في الأسرة أو أحد الأبوين.

* حب التملك، فالشارع يتيح له نوعاً من العمل أياً كان، ولكنه يدر دخلاً وقد يكون هذا العمل تسولاً أو إتيان أعمال منافية للعرف والآداب.

* التفرقة في المعاملة بين الأبناء بقصد أو بدون قصد، والإحساس بالغيرة يدفع من يحس بالظلم إلى الشارع.

* عدم القدرة على التكيف مع الظروف الأسرية غير الملائمة.

* الشارع قد يكون عنصر جذب بما فيه من خبرات جديدة ومغامرات الإشباع العاطفي.

* إن الحياة الأسرية صورة لمجتمع صغير قد يحمل كل إيجابيات المجتمع، وقد يحمل سلبياته. وتصيبه الأمراض الاجتماعية فيكون الانحراف والتشرد والضياع، والنتيجة الأبناء في الشارع أو أطفال الشوارع.

نظرة المجتمع لأطفال الشوارع:

١- النظرة غالباً سلبية. فرجال الشرطة والقانون يعتبرونهم مارقين وضد المجتمع. والأسرة تخشى على أبنائها من مخالطتهم وينفرون منهم للمظهر وسوء السلوك.

٢- رجال الأعمال ينظرون إليهم بعداوة تتراوح بين التجنب إلى حد القتل كما حدث في البرازيل مثلاً للتخلص منهم باعتبارهم يهددون أعمالهم.

٣- نظرة التعاطف قد تكون من المحسنين ورجال الخير، وتتراوح أيضاً من الإحسان البسيط وكأنهم يشجعونهم على التسول إلى السعي لدى الجمعيات الأهلية ومنظمات المجتمع المدني لإيوائهم والتعاطف مع ظروفهم.

٤- كما أن الدول كسلطة قد توفر لهم سبل الرعاية وهي غالباً مؤسسية في شكل جهود وزارات الشؤون أو الرعاية الاجتماعية، أو تنظر لهم في حالات أخرى لكونهم ضد المجتمع ومشاريع مجرمين، وتريد التخلص منهم إما بالإيواء كما يحدث مع الأحداث الجانحين، وإما بتضييق الخناق عليهم، أو جمعهم في أماكن لعزلهم أثناء الاحتفالات والزيارات الخارجية على أن يطلقوا في الشارع مرة أخرى كما يحدث في الفلبين مثلاً ودول أخرى

٥- هناك عداء مع الشرطة وأحياناً تصالح من خلال الرشوة أو شراء السكوت عن أعمالهم كما رأينا في بعض دول أمريكا اللاتينية

٦- في الدول العربية لا يمارس العنف الكامل ضدهم، فهناك مبدأ الرحمة والتكافل، وفي بعض الدول هناك محاولة لإخفاء الظاهرة وعدم مواجهتها أو الاعتراف بوجودها والخجل من الحديث عنها، إلا أن هناك محاولات جادة في مواجهة المشكلة بشجاعة وإحساس بخطر استفحالها وبالتالي تنظيم أوجه الرعاية وبدائلها للتعامل معها. ■

إحدى الشخصيات المحببة للأطفال في أمريكا:

الدُّب «بووه» يربح ٦ مليارات دولار

المعرفة: عبدالله الخالدي - أمريكا

تعتبر امريكا الدولة الأكبر في العالم في مجال إنتاج كتب وبرامج الأطفال التلفزيونية. وتاتي ضخامة الإنتاج الأمريكي بسبب عدد السكان الكبير في امريكا ووجود جماهير اخرى متعددة في كندا وبريطانيا وغيرها تتحدث اللغة الإنجليزية وتتعرض لأساليب التسويق الأمريكية المميزة. أيضاً عرف الأمريكيون بحرصهم على تعليم ابنائهم القراءة قبل ان يتجاوز عمرهم الأشهر، وإذا كانت هذه الحقيقة ستضحك الكثير من الناس، حيث سيلفت انتباه زائري امريكا بعض الأمهات وقد جلسن في إحدى الحدائق وفي ايديهن كتب خاصة بالأطفال تقرأ الأم منه على طفلها الذي لم يتجاوز عمره تسعة أو عشرة اشهر، فإن الشعب الأمريكي متشبع بالاعتقاد ان مثل هذه القراءة لها دورها في تفتيح قدرات الطفل الذهنية وتعويده على القراءة، ولولا خوف الوقوع في المبالغة لأكدت ما شهدته بنفسي من وجود آباء يقرؤون كتب الأطفال أمام زوجاتهم الحوامل في اشهرها الأخيرة اعتقاداً بان الرضيع يسمع ما يقرؤه والداه ويتعرف على صوتهما وبالتالي تشبع لديه بعض الرغبات العاطفية وتتسع قدراته الذهنية.

سبب آخر يجعل برامج الأطفال التلفزيونية الأمريكية على مستوى عال هو الميزانيات الضخمة لهذه البرامج والتي يتم تغطيتها من الإعلان مباشرة. هنا في أمريكا شركات كثيرة جداً تنتج أشياء خاصة بالأطفال مثل الألعاب وغيرها، وهذه الشركات تعلن بسخاء في أثناء عرض برامج الأطفال. وتستخدم شركات الإنتاج والإعلان التلفزيوني المتخصصة في الأطفال أسلوباً علمياً يتميز في عرض نماذج من البرامج على جمهور مختار ومتنوع من الأطفال للتأكد من جذب البرنامج أو الإعلان لهم قبل أن يتم عرضه على الجمهور. وطالما ألغي عرض برامج كلفت عشرات الآلاف من الدولارات لأنها لم تنجح في جذب عينة الأطفال المختارة للعرض المسبق. أيضاً توظف الشركات الأمريكية أطفالاً أذكياء برواتب جيدة حتى يسمعوا آراءهم فيما ينتجونه وأحياناً يقدم رأي الطفل على رأي الكاتب أو المخرج. هذا ما يفسر نجاح برامج الأطفال الأمريكية بشكل غير عادي، وإذا عرفت أي صديق لك زار أمريكا مع أطفاله فاسأله عن هذه الظاهرة وستفاجأ بوصفه لأطفاله الذين يقل عمرهم عن سنة واحدة أو سنتين من العمر ومع ذلك يتسمرون أمام التلفزيون حين يظهر برنامجهم المفضل المصمم للأطفال في هذا العمر (ويقاس على ذلك برامج الأطفال الأكبر عمراً وبرامج المراهقين). بعض برامج الأطفال حققت نجاحاً حتى في جذب جمهور الكبار، بل إن مسلسل الأطفال الكرتوني «رجرتس» بقي على قائمة أكثر عشر برامج تلفزيونية شعبية (بناء على عدد المشاهدين) منذ ثلاثة أعوام وحتى يومنا هذا، وذلك لقدرته على جذب الصغار أيضاً.

لكن فهم ظاهرة نجاح إنتاج الكتب والبرامج التلفزيونية في أمريكا يحتاج إلى فهم «الظاهرة الإبداعية» في أمريكا، وإذا كان الحديث عن هذا يطول، فيمكن القول باختصار إن تسامح الثقافة الأمريكية مع الأفكار التجديدية والإبداعية وتجريب كل ما هو جديد وتسامح المؤسسات الأمريكية المثير للعجب مع الفشل وتشجيعها في الوقت نفسه للنجاح بميزانيات ضخمة سبب أساسي في إبداع الأمريكيين في إنتاج كتب الأطفال وبرامجهم التلفزيونية وفي التسويق لها أيضاً. وعلى سبيل المثال فإن كتاب «الأشياء الثائرة» والذي فاز هذا العام بكونه الأكثر مبيعاً بين كتب الأطفال في أمريكا بدأ من فكرة غريبة أحس الكثيرون في البداية أنه لن يكتب لها النجاح لأنها تقوم على طريقة جديدة لرسم صور الناس إلا أنها خالفت التوقعات ونجحت نجاحاً باهراً (ولو لم يعط الكتاب الفرصة لما عرفت إمكانية نجاحه) وحين ينجح كتاب في أمريكا ويشتريه مثلاً ١٪ من سكان أمريكا فإن عدد الكتب المشتراة بذلك ٣٠ مليون نسخة، وإذا كان للمؤلف من كل نسخة دولار واحد فقط فإن أرباحه من كتاب واحد للأطفال هي ٣٠ مليون دولار. هذا بالتالي يمكن المؤلف- وهو ما يحصل في معظم الأحيان- أن يفتح مكتباً خاصاً به يعين فيه مجموعة من المساعدين والرسامين الذين يبدأون بإنتاج أعمال مميزة بكمية وسرعة أكبر، وحينها يتفرغ الشخص للتأليف للأطفال، وليشتري بعد سنتين أو ثلاث قصره المنيف في أحد الأحياء الراقية في المدن الأمريكية الكبرى كما حصل لعدد من كتاب قصص الأطفال.

بقي أن تعرف أن أرباح إنتاج كتب الأطفال في أمريكا يتجاوز ملياري دولار سنوياً.

دب ينتج ٦مليارات دولار

يتبع الأمريكيون أسلوباً تسويقياً ناجحاً في الترويج لكتب وبرامج الأطفال والذي أثبتت الدراسات النفسية أثره البالغ في نفوس عموم الناس صغارهم وكبارهم.

في معظم برامج الأطفال وكتبهم تجد هناك شخصيات ثابتة لها شخصية واضحة ومصممة بشكل معتنى به، بحيث ينجذب الطفل لهذه الشخصية ويتعلق بها ويشعر أن هذه الشخصية حقيقية له علاقة خاصة بها. بعد أن تنجح شخصية من الشخصيات تجد هناك قصص أطفال حولها وبرامج تلفزيونية وأفلاماً سينمائية وألعاباً وملابس وكل أنواع المنتجات التي تحمل صورة الشخصية كما يتم تعيين عشرات الأشخاص الذين يلبسون ملابس هذه الشخصية ويدورون في الحدائق والأسواق المركزية ليلتقط الناس معهم الصور كنوع من الترويج للشخصية. وإذا كانت هذه الشخصية تحمل رسالة معينة كشخصية الطفل «آرثر» الذي يدعو الأطفال

دائماً إلى القراءة أو «بارني» الذي يدعو الأطفال دائماً إلى التعامل الحسن مع الآخرين فإن كل مناسبة تنظمها جمعيات خيرية تعنى بهذه المبادئ يدعون لها هذه الشخصيات لتأثيرها في الأطفال، أما المدارس الابتدائية فَحَدِّث بلا توقف عن البرامج التي يحضرها أناس يلبسون ملابس هذه الشخصيات ليلتف حولها الأطفال ويبدؤوا الاستماع لنصائحهم حول مختلف الأمور التي يراد تعليمها للطفل.

قانون حقوق الابتكار في أمريكا يمنع أي شخص من الاستفادة من الشخصية المبتكرة ولو بمجرد وضع صورتها على حقيبة مدرسية بدون إذن الشركة المنتجة، ولذا فالأرباح الصادرة عن استعمال شخصية مثل شخصية «ميكي ماوس» أو (علاء الدين) تذهب كلها لشركة «ديزني». أحد أكثر الشخصيات أرباحاً للعام الماضي كانت شخصية الدب «بووه» والذي حقق لوحده حوالي ستة مليارات دولار في عام ١٩٩٩م (منها مئة مليون دولار من قصص الأطفال وحدها) بالرغم من أن مصمم الشخصية مات منذ ٤٤ عاماً (تم ظهور الشخصية لأول مرة في عام ١٩٢٦م في قصة أطفال) إلا أن ورثته- بالإضافة لشركة ديزني التي اشترت حقوق إنتاج أفلامه السينمائية في الستينات الميلادية- مازالوا يربحون هذه المليارات إلى يومنا هذا.

شخصية ثانية شهيرة أيضاً هي د. سيوس وهو قط شهير يلبس قبعة طويلة. وهو الذي بيع من قصصه في أمريكا أكثر من ٤٠٠ مليون نسخة الأمر الذي جعل البعض يدعي أن أكثر الكتب انتشاراً في أمريكا بعد

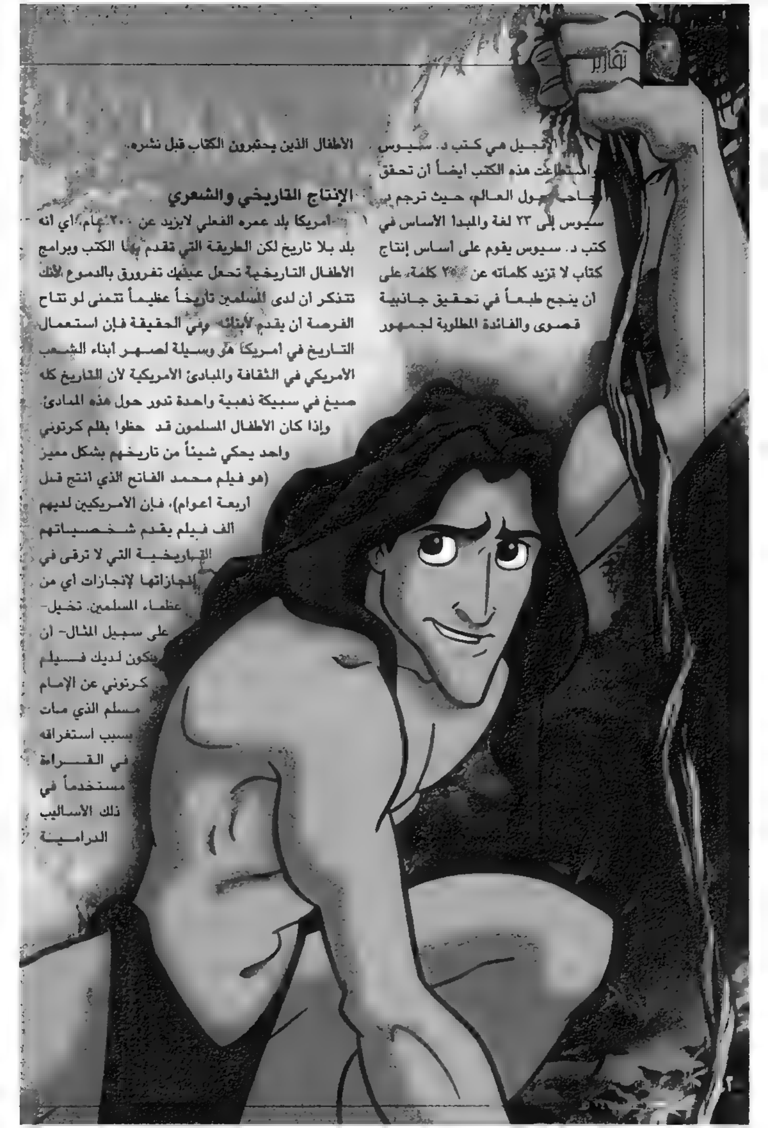

الإنجيل هي كتب د. سيوس واستطاعت هذه الكتب ايضاً أن تحقق نجاحاً حول العالم، حيث ترجم د. سيوس إلى ٢٣ لغة والمبدأ الأساس في كتب د. سيوس يقوم على أساس إنتاج كتاب لا تزيد كلماته عن ٢٥٠ كلمة، على أن ينجح طبعاً في تحقيق جاذبية قصوى والفائدة المطلوبة لجمهور الأطفال الذين يختبرون الكتاب قبل نشره.

الإنتاج التاريخي والشعري

أمريكا بلد عمره الفعلي لايزيد عن ٢٠٠ عام، أي انه بلد بلا تاريخ لكن الطريقة التي تقدم بها الكتب وبرامج الأطفال التاريخية تجعل عينيك تغرورق بالدموع لأنك تتذكر ان لدى المسلمين تاريخاً عظيماً تتمنى لو تتاح الفرصة أن يقدم لأبنائه. وفي الحقيقة فإن استعمال التاريخ في أمريكا هو وسيلة لصهر أبناء الشعب الأمريكي في الثقافة والمبادئ الأمريكية لأن التاريخ كله صيغ في سبيكة ذهبية واحدة تدور حول هذه المبادئ.

وإذا كان الأطفال المسلمون قد حظوا بفلم كرتوني واحد يحكي شيئاً من تاريخهم بشكل مميز (هو فيلم محمد الفاتح الذي انتج قبل اربعة اعوام)، فإن الأمريكيين لديهم الف فيلم يقدم شخصياتهم التاريخية التي لا ترقى في إنجازاتها لإنجازات أي من عظماء المسلمين. تخيل- على سبيل المثال- أن يكون لديك فيلم كرتوني عن الإمام مسلم الذي مات بسبب استغراقه في القراءة مستخدماً في ذلك الأساليب الدرامية

المتقدمة التي يستعملها الأمريكيون ألن يكون ذلك تمهيداً لخير طريق يقود أطفال المسلمين للنظر للإمام مسلم كقدوة في مسيرتهم العلمية.

الأمر الآخر الذي يدهش أي متابع للإنتاج الخاص بالطفل في أمريكا هو التركيز على الشعر وشعر الأطفال في أمريكا ليس مجرد دواوين باهتة اللون كتلك التي تراها في بعض المكتبات العربية (ولاعتب على المؤلفين فهم غالباً يطبعون هذه الكتب من ميزانياتهم الضئيلة)، شعر الأطفال في أمريكا مرتبط به أندية شعرية متعددة في كل مدينة ومهرجانات شعرية وعشرات الجوائز السنوية العريقة التي تمنح لأفضل شعراء الأطفال، ومبيعات هائلة تجعل كل شاعر أطفال من الأثرياء الكبار. وتعتني المدارس الأمريكية بتدريس الشعر منذ الصف الأول الابتدائي، وعموماً فهناك في أمريكا كتب شعرية تتناسب مع كل فئة عمرية، ويتم اختيار العمر عادة من خلال توزيع عينات من الديوان على الأطفال من مختلف الأعمار وملاحظة أكثر الفئات العمرية انجذاباً للديوان. أكثر من ذلك هناك جريدة شهرية تقوم بتقديم عروض لكتب الأطفال وتقدم اختياراتها لأفضل هذه الكتب. وهي قائمة اختيارات لها تأثيرها الواسع في زيادة المبيعات. ومن الأمور الجميلة ما يتعلق بشعر الأطفال وتميز به الأمريكيون هو وجود آلاف دواوين الأطفال الشعرية التي هي عبارة عن تبسيط لدواوين عمالقة الشعر في أمريكا (تخيل أن يكون هناك ديوان ينقل معاني احمد شوقي للأطفال) وبالمناسبة فهناك شاعرة من أصل لبناني اسمها «نعومي شهاب ني» والتي حصدت عشرات الجوائز الراقية في أمريكا لتاليفها عدداً من دواوين الأطفال كانت مجموعة منها ترجمة لشعر عربي اختارته نعومي للقراء الأمريكيين، وقد تم تعيين نعومي ني أستاذة للشعر الدولي حيث تتجول في مدارس ولاية تكساس الواحدة بعد الأخرى لتعقد دروساً للأطفال تقرأ فيها شيئاً من الشعر العربي المترجم

أخيراً نشير إلى نوع هام من كتب الأطفال تنتشر في أمريكا ولها مبيعاتها الواسعة أيضاً وهي الروايات والقصص المؤلفة بواسطة أطفال أيضاً لاتزيد أعمارهم في بعض الأحيان عن ست أو سبع سنوات. قبل حوالي أشهر، استيقظت أمريكا على حوارات صحفية في عدد من القنوات التلفزيونية مع الطفل الذي لا يتجاوز عمره سبع سنوات والذي كتب كتاباً حقق في ذلك اليوم من المبيعات عشرين مليون نسخة خلال ثلاث سنوات ولم لا فما دامت الكتب قبل نشرها تعرض على عينة متنوعة من الأطفال الذين إن أعجبوا بأي شيء، تم نشره، وجود هذا المقياس سمح لكثير من الكتب التي كتبها أطفال ومراهقون أن تغزو السوق الأمريكية وتحقق انتشاراً واسعاً

درس أخير

في التجربة الأمريكية في مجال الإنتاج الخاص بالطفل دروس كثيرة يمكن الاستفادة منها مثل تشجيع الإبداع وتشجيع القراءة لدى الطفل. لكن الدرس الأهم هو أن اتساع الرقعة السكانية في أمريكا سمحت بأعداد ضخمة من المبيعات مما يعني الكثير من المال وبالتالي إنتاج أفضل. وبالنسبة للعالم العربي فهناك ٢١ دولة تتحدث العربية (قرابة ٢٧٠ مليون نسمة)، وملايين من المسلمين في الدول الإسلامية الأخرى الذين يحبون تعليم أطفالهم العربية، ولو أمكن تقليل الحواجز البيروقراطية والاقتصادية والسياسية وتقوية الاتصالات والتبادل التجاري بين دول العالم العربي والمزيد من الاعتناء بتطوير أساليب التسويق الباردة لأصبح العالم العربي الإسلامي كله سوقاً للإنتاج برقعة سكانية ضخمة تسمح لكتاب الطفل العربي بالانتشار والتميز إلى ذلك الحين ليس للطفل العربي إلا الحلم ■

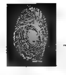

ينظمها «نادي كتاب الطفل»:

مباريات مثيرة مع.. الكتب

قامت مكتبة الملك عبدالعزيز العامة في مدينة الرياض بتبني فكرة تأسيس «نادي كتاب الطفل» وذلك انطلاقاً من هدف تسعى إليه المكتبة دائماً وهو تعزيز العلاقة بين الطفل والكتاب والتقريب بينهما ما أمكن ذلك، وللحد من الصعوبات التي تواجه الأسرة، وتحول دون وصول الكتاب المناسب إلى الطفل، جاءنا «نادي كتاب الطفل» كخطوة رائدة لوضع الكتاب الجيد والمناسب بين يدي الصغار في منازلهم، وذلك عن طريق البريد وبرسم سنوي مناسب.

وتتلخص الفكرة في أن النادي يوفر الكتاب المناسب لكل طفل مشارك مقابل رسوم سنوية (٣٠٠) ريال. فيتولى النادي إرسال كتابين (يتملكهما الطفل) أحدهما قصصي والآخر غير قصصي في مطلع كل شهر هجري، ويصاحب الكتاب ورقة نشاط للطفل تحتوي على أنشطة ذهنية ولغوية وتسلية، بالإضافة إلى نشرة للآباء والأمهات تتناول قضايا تربوية تهدف إلى رفع مستوى الوعي لدى الأهالي.

وفكرة النادي ليست جديدة، فقد حرصت دور النشر في العالم المتقدم على تأسيس نوادي الكتب التي يكون هدفها الأساسي تجارياً بحتاً. ولكن الأمر مختلف في نادي الطفل، حيث تتبناه مؤسسة ثقافية غير ربحية

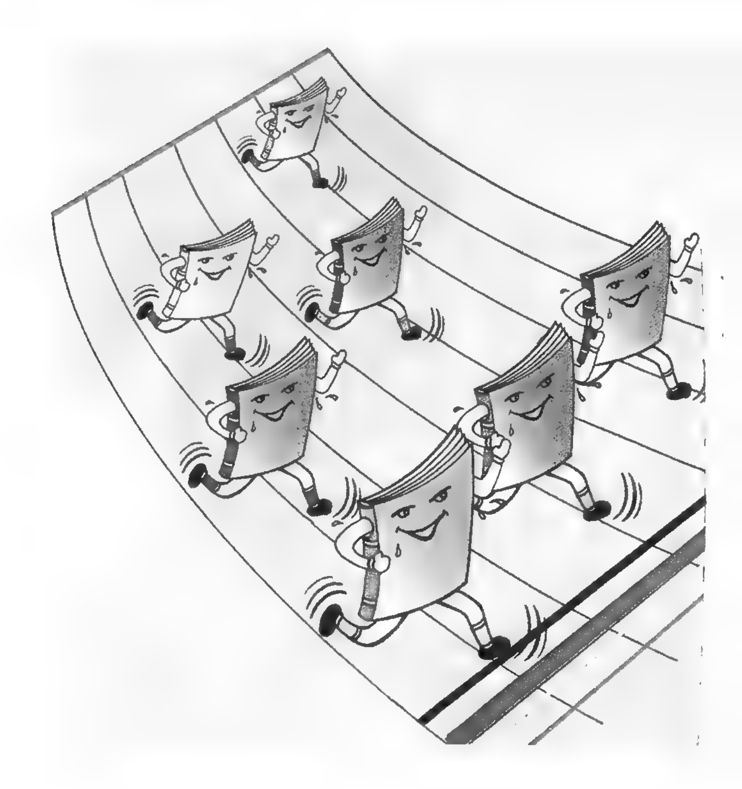

مكتبة الملك عبدالعزيز العامة، التي تسعى إلى نشر الثقافة عن طريق تأمين الكتاب لكل فئات المجتمع من الرجال والنساء والأطفال

أطفال النادي

ويحق لأي طفل سعودي الانضمام إلى النادي على أن يكون عمره ما بين ٣ إلى ١٢ سنة.

ويقسم الأطفال إلى مجموعات حسب مراحل عمريه معينة وهي:

* المجموعة الأولى من ٣ إلى ٥ سنوات.
* المجموعة الثانية من ٦ إلى ٨ سنوات.
* المجموعة الثالثة من ٩ إلى ١٢ سنة.

وهذا التقسيم ليس اعتباطياً، وإنما يقوم على أساس علمي يراعي الاعتبارات النفسية والتربوية والذهنية لكل مرحلة عمرية. وهذا التقسيم متعارف عليه عند المربين والدارسين في أدب الأطفال.

انتقاء الكتب

تنتقي لجنة متخصصة في أدب الأطفال الكتب مبدئياً على أساس الشكل الخارجي والموضوع فيستبعد أي كتاب رديء الإخراج أو الموضوع. بعد ذلك يقوِّم الكتاب بعد قراءته قراءة متأملة وتعبئة الاستمارة الخاصة به سواء كان أدباً قصصياً أو غير قصصي أو شعراً.

وعند رفض أي كتاب توضح الأسباب الداعية إلى ذلك، وفي بعض الأحيان تقبل بعض الكتب بشرط التنبيه على ما فيها من ملاحظات سواء للوالدين أو للطفل مباشرة، وذلك بوضع ملصق على الكتاب، وهذا بدوره ينمي ملكة النقد عند الطفل وتجعل منه قارئاً واعياً.

وتقوَّم الكتب بناء على أحكام رئيسة تحدد مدى صلاحية الكتاب للأطفال حسب التالي:

* كتب صالحة دون أي ملاحظات.

* كتب صالحة بشروط ويتم تنبيه الأهالي إلى الملاحظات عليها.

* كتب غير صالحة: وأسباب رفض هذه الكتب كثيرة ومتنوعة. فإما أن يكون الإخراج العام للكتاب ضعيفاً أو يحتوي الكتاب على ألفاظ غير لائقة، أو يعرض مبادئ أو مواقف مخالفة للدين الإسلامي.

وقامت اللجنة المشرفة على النادي بتقويم مجموعة كبيرة من الكتب لاعتماد الصالح منها وإبعاد غير الصالح، حيث بلغ مجموع الكتب المقومة حتى الآن ١٦٨ كتاباً.

ولا تقتصر اللجنة في تقويمها على الكتب المتوفرة في المملكة، وإنما تبحث عن الجديد والجيد في مختلف البلدان العربية وتجري اتصالات مع دور النشر المختلفة

الخاصة بالأطفال في عالمنا العربي.

كيفية الانضمام للنادي

الاشتراك في النادي سهل للغاية وما على الوالدين سوى عمل الآتي:

* تعبئة نموذج الاشتراك.

* دفع الرسوم ومن ثم استلام دليل الكتب التي يرسلها النادي للأسرة خلال اثني عشر شهراً القادمة.

* إرسال نموذج الكتب المختارة عبر البريد أو الفاكس.

كما أن المكتبة تستقبل طلبات الانضمام إلى النادي على مدار السنة، إما عن طريق البريد، وإما عبر مكتب النادي الموجود بمكتبة الطفل في مكتبة الملك عبدالعزيز.

وبلغ عدد المشتركين حتى الآن أكثر من مئتي مشترك وذلك في فترة زمنية قياسية، حيث تم الإعلان عن تأسيس النادي قبل ثمانية أشهر فقط.

قصص «دزني» نموذج غربي

الأستاذة فاطمة الحسين مديرة المكتبة النسائية لفرع «المربع» بالرياض تحدثت لـ«المعرفة» عن بعض القصص الغربية التي تؤثر سلباً في أذهان الصغار، كما تحدثت عن العوائق التي صادفت ولادة النادي وبعض الآمال والطموحات التي يسعى النادي إلى تحقيقها، تقول:

واجهت قصص «ديزني» انتقادات حادة من المهتمين بأدب الطفل لدينا بسبب أخطارها الكبيرة على الأطفال فأذكر منها:

أن هذه القصص مسخرة لخدمة الثقافة الغربية «الأمريكية بشكل خاص» لأن محور القصة مستمد من قيم وثقافة الغرب، ولو كانت هذه القيم قيماً إنسانية عليا فلا بأس بها، ولكنها في كثير من الأحيان قيم تخص الغرب وتتعارض مع قيمنا وأصالتنا العربية الإسلامية. حتى قصة علاء الدين المأخوذة عن الشرق حورت لتلمع الثقافة الغربية، حيث يسيطر الحب على القصة من بدايتها حتى نهايتها بصورة تغيّب كل الفضائل والأخلاق.

وتهدف قصص «ديزني» إلى قولبة الطفل في قالب معين، فلو تأملنا أبطال القصة لوجدنا أن أجسامهم وهيئتهم العامة تتفق مع مقاييس الجمال الغربية. فيصبح الطفل لا يرى الجمال إلا في النموذج الغربي.

وهي قصص تجارية، الهدف منها الربح الوفير، وتجعل من الطفل شخصية استهلاكية بالدرجة الأولى، فما أن يقرأ الطفل القصة حتى يسارع إلى شراء أدوات قرطاسية وألعاب وحقيبة.. عليها صورة أبطال القصة.

وعن المعوقات التي تواجه النادي تقول فاطمة الحسين:

«إن كثيراً من الناس لا يعرفون عن النادي شيئاً على الرغم من كتاباتنا لكل من وزارة المعارف والرئاسة العامة لتعليم البنات وتزويدهم بعدد كبير من المطويات التعريفية، والبعض الآخر يظن أن النادي مكان يحضر إليه الأطفال للقراءة والمشاركة في أنشطة حية، في حين تقوم فكرة النادي على توصيل الكتاب إلى الطفل في منزله». وتضيف: «وثمة مشكلة أخرى تسبب لنا إحراجاً مع المشتركين هي فقدان الكتب في البريد أو تأخرها، كما أن ندرة الكتب الجيدة في السوق العربية يجعلنا في موقف انتقائي صعب».

وعن التطلعات المستقبلية لهذا المشروع الثقافي تقول:

نتطلع إلى أن يساهم النادي في حال توسعه وزيادة عدد المشتركين في تنشيط حركة النشر للأطفال في المملكة، وأن يساهم النادي في تعزيز ثقة الطفل بنفسه وقدرته على الحوار وتكوين آراء خاصة به، وتنمية مهاراته في الكتابة والقراءة والفهم. ونسعى إلى عقد أنشطة خاصة بأعضاء النادي وتعريف بعضهم ببعض كأطفال تجمعهم هواية واحدة هي القراءة.

*** وأخيراً يمكن لراغبي الاشتراك التواصل مع النادي عن طريق المراسلة أو الاتصال حسب الآتي:**

ص. ب ٨٦٤٨٦– الرياض ١١٦٢٢

هاتف: ٤٩١١٣٠٠ – فاكس: ٤٩١١٩٤٩. ■

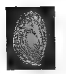

ثقافة الطفل العربي:

الاهتمام لا يرقى إلى مستوى «قميص مشجّر»!

يخرج الطفل إلى الحياة ويتلقى الثقافة حسب ما يمليه عليه المجتمع، فكلما وضع الصغير في مواقف تربوية ناضجة كان أقدر على فهم نفسه وفهم ما حوله وكان أسرع إلى مسار النجاح، وإذا كان غير ذلك فإن المعاناة أو الفشل مصير خطواته.

ماذا عن الطفل العربي؟ كيف يتلقى ثقافته؟ وما مستوى نضجها؟ وهل ثمة مؤسسات متخصصة لديها خطط استراتيجية فاعلة في صناعة عقل الطفل العربي. كيف يمكن تقييم الواقع الثقافي للطفل العربي؟ وأي نوع من الرجال والمؤسسات يمكن أن يحمل/ تحمل هم تثقيف الطفل العربي.

قد تبدو القضية أكبر من مجرد طرح تساؤلات لا تعني شيئاً للمجتمعات العربية التي مازالت غائبة عن هذا المضمار المهم. وبعد أن فتحت كل الأبواب -عنوة- للثقافات المختلفة التي باتت تشكل أجيالنا القادمة وفق رؤيتها، أضحت ثقافة الطفل العربي خليطاً من ثقافات شتى ربما أفقدته هويته وانتماءه وتلك حقيقة يؤكدها الجميع ويقولها كل من كتب عن ثقافة الطفل العربي المسلم.

المعرفة التقت عدداً من المثقفين والمهتمين بأدب الطفل لتقويم واقع الطفل العربي ولإيجاد رؤية تحاول صياغة ثقافة الطفل على أسس حقيقية نابعة من ثوابتنا.

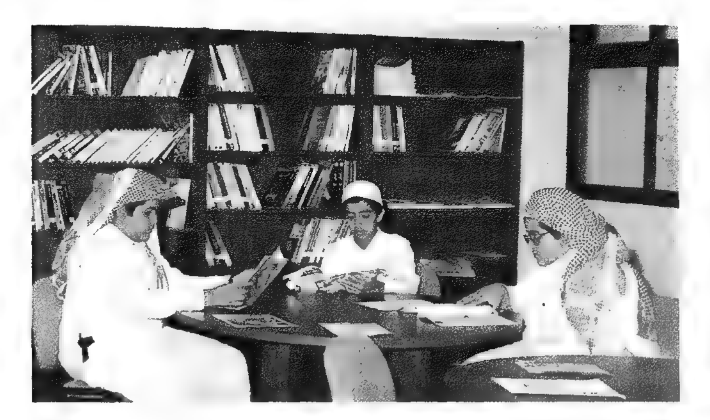

لا تحجبوا الطفل عن الشمس

في البدء يتحدث الأستاذ عاطف أبو باشا المحرر الصحفي بمجلة «ماجد» الموجهة للطفل.. يقول:

نحن بصدد أن نسأل: كيف ننتج طفلاً متميزاً، أو سوياً على الأقل.

علينا أولاً أن نسلم أن المجتمع مفتوح وأننا لن نصنع طفلاً داخل صوبة أو في ظروف معملية تفترض مقدمات ونتائج وظروفاً مُعايرة ومقننة. إننا بالأحرى نتمثل الطفل نفسه وهو يرسم أولى خطواته، يخطو خطوة ويتعثر فنأخذ بيديه ونحن فرحون بكل خطوة يخطوها معتمداً على ذاته، كلما وجدنا عنده العزم سبقناه بخطوات ونحن نمد له أيدينا أنْ أقبل علينا ولك مكافأة.

ومهمة المجتمع تجاه الطفل تلخصها هذه الصورة البسيطة: ألا نتخلى عنه وألاّ نطويه تحت أجنحتنا فلا تراه الشمس.

شخصية الطفل في النهاية -يقول أبو باشا- وحتى يصير صبياً تراكم من الصور اليومية والحياتية التي قبض علينا خلالها ونحن نتفاعل مع الحياة، وإن لم يكن هو طرفاً في هذه الصور، لكن النتيجة أنها سقطت منا في ذاكرته لترسم ملامح شخصيته.

ويضيف:

في عالمنا العربي، نجد واقعاً مربكاً، لا يملك ملامح أو خططاً تجاه عالم الطفل، بل على العكس قد يكون الإرباك عاملاً سالباً يغرس المرض ويقويه. الخطط ليست موجودة، والمشهد العربي لاستراتيجية موحدة مدروسة يبدو وكأنه لا يشغل أحداً، أو كأنه ليس بالأمر الضروري.

وعن واقع فعاليات الطفل في عالمنا العربي يقول:

ما نقدمه لأطفالنا لا يكفي ليمثل فعلاً حضارياً، قد يكون تظاهرة أو صورة في مهرجان للطفولة ترفع فيه الأعلام وتنظم المسيرات، لكن الذي يريده الطفل هو أن يقبض على إجابات عن أسئلته، والذي نريده نحن كي نطمئن لغرسنا هو أن تتكون الأسئلة في رأس أطفالنا، وأن تتكون الصورة في مخيلاتهم، والذي لا يستطيع أن يفعل ذلك جهة ليست موجودة والمفروض ألا تكون مسيسة أو منتمية لأحد سوى الأطفال العرب.

ويرى أبو باشا دور المتخصصين أكبر وتأثيرهم أقوى.. يقول:

إننا بحاجة لمبدعين لديهم الصبر على الغرس وتقليب الأرض، وهؤلاء ليسوا الفنانين وحسب بل أساتذة الجامعات والباحثون، والدارسون النفسانيون وعلماء الدين وقراء التاريخ والقادرون على حفظ الفلكلور هؤلاء يستطيعون البناء، ويستطيعون التصدي لمشروع مثل هذا

لأنهم الأقدر على الإحساس بأهميته، كل ذلك مع تجنب الثقافة الوافدة غير الخاضعة لرقابة أصحاب المشروع، لأنها موجهة ومدروسة وغنية وقوية وضارية.

التقويم العلمي يعطي نتائج حقيقية

الدكتور علي العبد القادر الباحث والكاتب الصحفي يقترح منهجاً علمياً لتقويم ثقافة الطفل تقويماً حقيقياً يعطينا نتائج صحيحة.. يقول:

لتقويم ثقافة الطفل العربي لابد أن نطرق الأمور التالية:

- تقييم ثقافة الأسرة العربية على مستوى كل قطر عربي وإجراء البحوث العلمية الموضوعية فهي الأساس في ثقافة الطفل.

- وتقييم النظام التربوي وخصوصاً في مرحلة الروضة والابتدائية والمتوسطة.. مناهجها أساليب التدريس فيها.. البيئة المدرسية وكفاءتها في توفير مقومات تربوية إيجابية.. واهتمامها بعقلية الطفل.

- وتقويم النظام الإعلامي أو النظام الثقافي العام ومدى اهتمامه بثقافة الطفل.. وما هي المساحة التي تمنح للطفل في برامجه.

سواء على صعيد الصحافة أو الإذاعة أو التلفزة.

وعلى صعيد المؤسسات الدينية والاجتماعية والعلمية.. وعلى صعيد المجتمع في ممارسته الثقافية.

وحينما يتم تقييم واقعها والمساحة الثقافية ونوعها وأسسها الممنوحة للطفل حتى سن الخامسة عشرة تقييماً موضوعياً وعلمياً... فإننا نستطيع بعد ذلك تقييم الواقع

بسبب «البلاي ستيشن والريموت كنترول»

عنف الأطفال والشباب يتصاعد

عبدالله إبراهيم الكميد
الرياض

أصبت بالقلق والانزعاج وأنا أسمع صوت منبه الإنذار لسيارة الشرطة يتردد بصفة مستمرة في مسمعي فما عساه يكون الأمر يا ترى؟ لعله خير إن شاء الله فنحن لا نسمع هذه الأصوات إلا في أوقات الطوارئ أو عند وجود الخطر أبعدت عن ذهني هذه الهواجس وواصلت قراءة التقرير الذي يتحدث عن أسباب العنف لدى الأطفال، حينها ارتفع صوت الإنذار فنهضت لأستجلي الخبر وخرجت من غرفتي وإذا بالصوت وكأنه صادر من بيتي وكلما اقتربت من غرفة نوم ابني ازداد الصوت وضوحاً وياللمفاجأة، لقد كان صوت منبه الإنذار صادر من التلفزيون حيث يلعب ابني لعبة «إلكترونية» أو ما يسمى بـ«البلاي استيشن» وفكرة هذه اللعبة ومنطلقها مطاردة ما بين سيارة أحد المجرمين ويقوم بهذا الدور ويا سأل سؤالاً في منتهى الذكاء الذي قد لا يخلو من الخبث فقال (بيد مَنْ من أفراد أسرتكم يملك سلطة التحكم بـ (الريموت كنترول) وقد فوجئ البعض حيث إن فينا من يستهين ويستهتر بهذا الأمر لدرجة أن بعضنا يسمح لأطفاله الصغار وأبنائه المراهقين من استعمال هذا (الريموت) في كل وقت فيتمكن بذلك من التجوال بين عشرات القنوات العربية والأجنبية في أي وقت دون رقيب أو حسيب! أليس هذا هو الاستهتار وأنفه وأذنه إن رغبتم ثم يأتي أحد أولئك الآباء ليتساءل عن العنف الذي بدأت الشغالات والمربيات يشتكين من ظهوره لدى طفله أو طفلته، ولا يجد للسؤال جواباً أو مبرراً مقنعاً فهو كما يصف ابنه بأنه هادئ الطباع وأمه لا تحرك ساكناً فهي (لاتنطح ولا تقول أمباع) فمن أين أتى هذا العنف إذاً.

نشرت جريدة «الرياض» في عددها الصادر بتاريخ ٢٢ جمادي الأولى ١٤٢٠هـ تحت عنوان (تداعيات العنف في التلفاز والسينما) صبي يقتل شقيقه مقلداً ضربه في المصارعة الحرة: بإقدام صبي مغرم برياضة المصارعة في السابعة من عمره على قتل أخيه صاحب الثلاث سنوات في أثناء تقليده لضربه على الحنجرة تعلمها من خلال مشاهدته لمباريات المصارعة المتلفزة. وبعينين تفيضان بالدمع قال الصبي لشرطة (دالاس)

• أبو باشا: ما نقدمه لأطفالنا لا يمثل فعلاً حضارياً.

• العبد القادر: كيف يتميز الطفل ونحن نعامله كالوعاء؟

الثقافي للطفل العربي.

وعن دور المؤسسات التربوية في تشكيل ثقافة الطفل.. يقول:

حتى هذه اللحظة لا تتوفر الإجابة بنعم على التساؤل حول ما إذا كان يوجد مؤسسات متخصصة لديها خطط استراتيجية فاعلة في صناعة عقل الطفل العربي.. اللهم إلا المؤسسات التعليمية بدءاً بالروضة وانتهاء بالمرحلة الجامعية.. فإنها رغم تخلف مناهجها التربوية أحياناً تلك التي تعتمد على حقن المعلومات في عقول الطلبة من البنين والبنات مثل ما يحقن الشخص شيئاً ما في وعاء لحفظه.

فكيف في هذه الحالة أن يصنع عقلاً إنسانياً قادراً على التحليل والتميز العلمي بين الأشياء.

وعلى الرغم من ذلك.. فإن سياسات التعليم تحمل أهدافاً استراتيجية ربما لم تتحقق بعد في ظل تخلف أساليب التعليم ومناهجه.. وبيئته المدرسية والجامعية وما يتبع ذلك.. على الأقل في الوقت الحاضر.. فإن المستقبل يحمل تباشير الاهتمام بالطفل، وهذا الاهتمام ربما يقود

بأنه أردى أخاه صريعاً بضربه على حنجرته وأنه لم يكن متعمداً إيذاء أخيه خلال عرضه للحركة التي طبقها ولكن كان كل ذلك بسبب تقليده للحركة التي شاهدها في التلفزيون!! وآخر مأساة وقعت كما تشير الجريدة حين أقدم شابان على قتل رجل بالغ بعد مشاهدتهما لفيلم (الصرخة) حيث قام ماريو باديلا (١٧) عاماً وابن عمه صمويل راميز (١٥) عاماً بقتل والد ماريو غينا كاستينو ٣٧ عاماً وذلك من خلال تسديد ٤٥ طعنة مستخدمين في ذلك أربعة سكاكين ومفك براغي أثناء جلوسهما أمام جهاز الحاسوب بمنزلهما وكشفت الإفادات بالمحكمة أن باديلا وراميز قاما بمشاهدة فيلم (الصرخة) و(الصرخة ٢) عدة مرات.

حسناً هاكم دليلاً آخر على التأثير الخطير لوسائل الإعلام على النشء، وتعليمهم بل وتحبيبهم انتهاج أسلوب العنف وسيلة للحياة حيث نشرت هذه المجلة في عددها رقم (٣٩) الصادر في جمادى الآخرة لعام ١٤١٩هـ وفي زاوية (بلاحدود) تحت عنوان (إعدام على الطريقة التلفزيونية) خبراً حول قضية التلميذة التي حاول اثنان من أقرانها في المدرسة شنقها، لماذا إليكم السبب.. سئل الطفلان عن السبب في قيامهما بهذا التصرف قالا (بدنا نعمل مثل التلفزيون) وقد أثارت هذه القضية سخطاً كبيراً على نوعية البرامج المليئة بمشاهد العنف والجنس والجريمة والتي دائماً ما تعرضها محطات التلفزة اللبنانية.

هذا ما حدث في عالمنا العربي ومع هذا لم نسمع أو نر جهة من الجهات والمنظمات والجمعيات واللجان وما أكثرها، تقوم بالبحث والتقصي عن أسباب هذه الظاهرة في الوقت الذي يعكف فيه علماء النفس والاجتماع والجريمة في الغرب على معرفة الأسباب الحقيقية في انتشار العنف والجريمة في مجتمعاتهم ويحاولون وضع الحلول العلمية التي يرونها للحد منها، ثم تقوم الجهات المعنية بالمساهمة في تنفيذ ما أوكل إليها من توصيات، حتى على حساب وجودها. في عالمنا العربي مازلنا كأفراد نورث أطفالنا العنف من حيث

إلى تطوير التربية والتعليم في الوطن العربي لتمنح الطفل كل ما يعينه على النمو الفكري والعاطفي والوظيفي السليم.

الواقع الثقافي للطفل العربي في خطر:

ويرى الأستاذ السيد القماحي، المعني بالكتابة للأطفال، أهمية إنشاء موسسة ثقافية كبرى تعنى بثقافة الطفل مشيراً إلى أن المنزل العربي لا يعد الطفل ثقافياً.. يقول:

ليست هناك ثمة مؤسسات فاعلة، هذه المؤسسات المتخصصة للطفولة العربية، هي مجرد حلم. لقد اقترح أحد كتاب العرب استحداث وزارة متخصصة للطفولة، وزارة تخطط لثقافة الطفل، وتنسق بين مصادر ثقافته المختلفة وليس في هذا الاقتراح غرابة، أليس هناك وزارة للشباب، من مهامها الأساسية كرة القدم؟!

أما إذا كانت إمكانية إنشاء هذه الوزارة للطفل مستبعدة، فأقترح إنشاء مؤسسة عربية، كمؤسسة (والت ديزني) مثلاً، لكن دون فئران أو قطط، مؤسسة من مهامها تثقيف الطفل العربي ومن مهامها إمتاعه، وبث قيم الشهامة، وحب العلم والعمل، كما عند آبائه وإجداده لكن بأسلوب عصري، فبدلاً من أن يمسك (البطل) بالسيف، ويمتطي الحصان، ويصرخ (يا قوم)، يمسك بالحق، ويركب المنطق، ويعتمد الأسلوب العلمي المهذب.

وعن واقع ثقافة الطفل العربي يقول:

فالبيت الذي يتلقف الطفل منذ نشأته، يكاد لا يحافظ على الطفل كجسد فهو أي البيت، في أحسن الأحوال، يوفر له اللبن والخبز واللحم. ولكن لا يوفر له غذاء العقل، من كتاب، ولغة وحوار وقصص قبل النوم.

تعلم أو لا نعلم وفي كلا الحالتين مصيبة، أقول نحن من يورث الصغار العنف فكم من أب يصرخ ويشتم بل ويضرب الأم أمام أطفالها، وكم واحد فينا يتضارب مع الآخرين في الطريق حينما يتجاوزونه بسياراتهم؟

إذاً لا يحق لمن يقوم بمثل تلك الأنماط من السلوك أن يتساءل عن سبب وجود العنف لدى أطفال.

الدكتور عدنان الدوري في بحثه المعنون بـ (العنف في وسائل الإعلام وأثاره على الناشئة والشباب) يقول: «مازال هناك اعتقاد يسود عدداً غير قليل من علماء النفس وأطباء الأمراض العقلية يفيد بأن تكرار مشاهدة الطفل للمعارك العنيفة التي تستخدم فيها الأيدي أو الأسلحة النارية أو السكاكين لا يمكن أن تكون عديمة الأثر، بل على العكس من ذلك تنمي في الطفل بعض المشاعر العدوانية وقد تعلمه ممارسة بعض أنماط السلوك العدواني فعلياً. وتفيد حصيلة بعض الاختبارات النفسية التي تجري على الأطفال لاختبار شخصياتهم أن الطفل الذي يقضي وقتاً طويلاً في مشاهدة برامج العنف التلفزيوني يكشف بالاختبار ميولاً عدوانية بنسبة أكبر من سواه ممن لا يشاهدون مثل هذه المشاهد)أ.هـ.

على كل حال قد لا يختلف الكثيرون على مدى تأثير وسائل الإعلام في تشكيل سلوك النشء، ولكنهم يختلفون كثيراً في قدرتهم على السيطرة على (العيال) و(أم العيال) فيما يرغبون في مشاهدته على شاشة التلفزيون ويصبحون ضعفاء بل قد تختص سلطاتهم في بعض المواقف ويضعفون أمام (الرغبات) إلى درجة التلاشي، لهذا نقول بكل ثقة لهؤلاء وأمثالهم لا تستغربوا من عنف أطفالكم وجنوحهم بل لا تصدموا حينما يرنّ هاتفكم لتكون الشرطة على الطرف الآخر تستدعيكم لوجود أحد أبنائكم موقوفاً لديهم في قضية خطيرة تستوجب حضوركم أعانكم الله.

للأسف(ابني المراهق) وتلاحقه سيارة الشرطة فيحاول قدر إمكانه التفوق على سيارة الشرطة والهرب منها وبهذا يجمع أكبر قدر ممكن من النقاط وكلما اجتاز مرحلة يدخل مرحلة أكثر إثارة وصعوبة فيحاول تبعاً لذلك مضاعفة جهده للتفوق على الشرطة، أصبت بالدهشة بل والإحباط حين رأيت ابني يكز على أسنانه كلما اقتربت منه سيارة الشرطة ويتصرف بل «ويشتم» كما يفعل الممثلون في أفلام المطاردة والعنف التي تأتينا بأشكال مختلفة من جميع أصقاع الأرض، وكلها تسير على هدى أو خطى ما تقذف به استديوهات (هوليود)الأمريكية.

عندما عرفت أحد الأسباب التي تُعلّم وتدل أطفالنا على العنف (ونحن) بكل سذاجة عن هذه الوسائل غافلون بل المصيبة «نحن» من جلبها لهم ومن ثم نتساءل مع غيرنا بكل براءة عن أسباب تولد العنف لدى أطفالنا، تذكرت عندها على الفور المناقشة الحادة التي دارت في مجلسنا ليلة البارحة عن (الدش)، حيث كنا ما بين مؤيد ومعارض حول إدخاله المنزل دون رقابة، بل إن أحدهم ■

وزيارات ورحلات لأماكن التقنيات، والإنجازات الحديثة من مصانع ومعامل إلى آخره، ولا يوفر له زيارات إلى مكتبات، أو لقاءات بكتّاب وعلماء ورجال بارزين لهم إنجازات...... الخ.

والمدرسة، مؤسسة بائسة، تنفر ولا تبشر! ولا يشعر العاملون بها ولا متلقو العلم فيها، بالقناعة أو الأمانة، العمل فيها تحصيل حاصل، والنتيجة محلك سر، والمستقبل إلى الخلف در! والشارع، متاهة للتخبط، وليس للسير إلى هدف نبيل، والمجتمع يلهث وراء طموحات مادية أو مظهرية، ناسياً من خلفه أطفاله.

والإعـــلام لا يملك الخطط أو الأهداف أو الأدوات الحقيقية لتثقيف الطفل العربي. وكتاب الطفل العربي، لا يرقى من الاهتمام إلى مستوى حبة (حَب حَب) من أجل

الأكل، أو مستوى شريط فيديو، أو حذاء (موضة) من أجل المنظر!!

ومجلة الطفل العربي، في الغالب إما ناشرها جاهل بأصول دورها، وإما عاجز عن توفير أدوات نجاحها أو هي قاصرة على فئة محدودة في تفكيرها، أو قاصرة على

معرض الطفل الثقافي بالرياض:

مصادر المعرفة تحت سقف واحد

احتفالاً باختيار الرياض عاصمة ثقافية للعالم العربي عام ٢٠٠٠م، وانطلاقاً من مسؤولية وزارة المعارف في نشر الثقافة بين مختلف أفراد المجتمع ومن بينهم شريحة كبيرة من الأطفال متمثلة في طلاب المدارس فقد ولدت فكرة إقامة معرض الطفل الثقافي من أجل تنمية الجانب المعرفي لديه من خلال تعويده وتحبيبه منذ الصغر على الحصول على المعلومات من مختلف مصادرها.

وجاء معرض الطفل الثقافي الذي تنظمه وزارة المعارف في معارض الرياض غنياً بكل ما يحتاج إليه الطفل لتنمية ثقافته ومعلوماته ومداركه.

الدكتور إبراهيم المسند - رئيس اللجنة المنظمة للمعرض مدير عام المكتبات بوزارة المعارف - تحدث للمعرفة عن فكرة المعرض وأهدافه، وعن الأثر الإيجابي لمثل هذه المعارض على ثقافة الصغار.. فقال: «في هذا الزمن يتجاذب الأطفال تيارات مختلفة ومؤثرات متنوعة.. وإذا ترك الطفل فإنه قد يتأثر ببعض الاتجاهات السلبية التي تبعده عن طريق الإنجاز والتفوق والإبداع، ونحن في الوزارة عندما فكرنا في إقامة

ابراهيم المسند

مثل هذا المعرض فإننا نهدف إلى تحصين الطفل ضد الثقافات السلبية وجعله أكثر اعتزازاً بهويته وثوابته.

كما نهدف إلى توفير أوعية المعلومات والوسائل التعليمية الخاصة بالطفل بأسعار مناسبة، والتعريف بأحدث التقنيات الجديدة في مجال التعليم وتثقيف الطفل».

وأضاف: «ويصاحب المعرض أنشطة ثقافية وترفيهية وعلمية مثل المسرحيات والمسابقات والإلقاء والألعاب والرسم والمبتكرات والمشاهدات الفلكية والأعمال اليدوية». موضحاً أن إحدى شركات التقنية والمعلومات توفر مداخل للإنترنت في المعرض توجه الأطفال للمواقع المفيدة وتدل عليها. ■

شلة، تهدف إلى الارتزاق من ورائها، أو هي ناجحة بنسبة ما، لكنها محكومة بسياسات أو أمزجة منشئيها، أو القائمين عليها.

ثقافة طفل جادة

الدكتور عبدالتواب يوسف الكاتب المتخصص في أدب الأطفال يصف بيئة الطفل التي تشكل ثقافته تبعاً لمعطياتها فيُحمّل الأسرة والمدرسة والمجتمع ووسائل الإعلام كامل المسؤولية في صناعة ثقافة الطفل.. يقول:

يولد طفلنا العربي المسلم، ليس كصفحة بيضاء، كما كان البعض يظنون، بل هو وارث لجينات أبويه، وجدوده الذين صنعوا حضارتين: الأولى قديمة والثانية الحضارة العربية والإسلامية الزاهرة.

وينمو الطفل داخل مريع، يتأثر بأضلاعه بشكل مباشر، ضائعة ثقافته.

وفي المرحلة الأولى من عمره يتأثر بثقافة الأسرة، ونعرف ظروفها في شتى أرجاء الوطن الكبير، إذ ترتفع نسبة الأمية بين الأمهات لتتجاوز خمسين بالمائة، وهناك أمية الآباء وانشغالهم، من أجل لقمة العيش، فضلاً عن خبراتهم المتواضعة في مجال التربية التي أصبحت كليات ومعاهد ومراجع يتوالى صدورها.. ولا يفوتنا هنا قلة دور الحضانة ورياض الأطفال التي لا تستوعب غير نسبة قليلة من أعداد أطفالنا العزيزة.

ثم يأتي دور المدرسة والتعليم فيها هو الأساس الذي تنبني من فوقه ثقافة الطفل، ونعلم ما هي بحاجة إليه من تطوير فينتقل بها من التلقين المعرفي والوعظي إلى دور

عرّبو «والت ديزني»

محمد فالح الجهني
المدينة المنورة

منذ عقدين من الزمان ومحطات التلفزيون العربية تقدم مسلسلات وأفلام الرسوم المتحركة المترجمة «المدبلجة» عن أصول أجنبية، لضعف الإنتاج العربي في هذا المجال أو لعدمه بعبارة أكثر صراحة.

لكن هناك سمة حسنة في عملية (دبلجة) هذه الأعمال إلى اللغة العربية، وهي ظهورها باللغة العربية الفصحى، فالمؤسسات الفنية اللبنانية -هي أول من قام بهذا العمل في الوطن العربي- استثنت هذه السنة الحسنة التي نالت رضى المربين والمهتمين بثقافة الناشئة في كل البلدان العربية، وقللت من تحفظهم على محتوى هذه المسلسلات، حيث أخرجت هذه المسلسلات بلغة عربية فصيحة سليمة وبأصوات احترفت التمثيل بالعربية الفصحى.

والإخراج بالفصحى لهذه المسلسلات والأفلام وأغلبها يابانية الأصل امثال «مغامرات سندباد» و«مغامرات الفضاء» و«جزيرة الكنز»، أظهرها بصورة إبداعية رصينة، وجعلها مطلوبة للعرض تلفزيونياً حتى اليوم، ومتداولة على مستوى أشرطة الفيديو بشكل متزايد.

وللإنصاف فإن مؤسسة الإنتاج البرامجي المشترك لدول الخليج العربي، أخرجت مسلسلات وأفلاماً (مدبلجة) إلى العربية الفصحى بأصوات عراقية وخليجية، تفوقت هي الأخرى على نفسها وأصبحت من روائع ما تذخر به مكتبات التلفزيون العربية ومكتبات الفيديو، ومن أشهر ما قدمت هذه المؤسسة من الأفلام والمسلسلات «سنان» و«نحُول» و«الرجل الحديدي» و«حول العالم في ثمانين يوماً» و«عدنان»... وغيرها.

أما رائدة إنتاج أفلام الرسوم المتحركة في العالم فهي شركة «والت ديزني» الأمريكية، وهي المدرسة المبتكرة المجددة والنبراس لجميع مؤسسات وشركات الإنتاج العالمية في مجال الرسوم المتحركة.

ولشركة «والت ديزني» إنتاج رائد ومتقدم أدبياً فنياً وتقنياً لأفلام الرسوم المتحركة من نوعين، أحدهما إنتاج قائم على شخصياتها الشهيرة «كميكي» و«دونالد» و«جوفي» وغيرها، وهي أفلام يغلب على محتواها الحركة فلم تتم دبلجتها إلى العربية لعدم الحاجة إلى ذلك، وإنتاج آخر قائم على أفلام روائية قصصية كلاسيكية يغلب على محتواها

• عبدالتواب يوسف: الأطفال ليسوا صفحة بيضاء.

• القماحي: المنزل العربي لا يعد الطفل ثقافياً.

البحث والإبداع عن طريق معلم عصري يعرف مهمته ودوره ومن خلال منهج متطور يعني بعقلية الطفل وذكائه وقدراته ومواهبه.

وثالث الأضلاع هو أجهزة الإعلام، والتليفزيون في مقدمتها، لذلك يجب أن تكون برامجه على أعلى مستوى.. بجانب الإذاعة التي لها دورها في التثقيف.. ثم الصحافة التي تجعله يعايش عالمه، ومن الضرورة الاهتمام إلى أقصى حد بوسائط الثقافة، والكتاب في أولها، ومن اللازم أن يتعرف على الكتب المرجعية أي دوائر المعارف، والمعاجم، والأطالس.. والعصر يحتم علينا تدريب الطفل على الكمبيوتر والإنترنت.

ويضيف عبدالتواب: وفي عجالة سريعة كهذه نكتفي بالعناوين والمؤشرات ويحتاج كل منها إلى تفاصيل كثيرة وإلى دراسة واسعة ومعمقة، من أجل أن نأخذ بيد طفلنا إلى ثقافة عربية جادة، نصنع بها مستقبلنا ومستقبله.. وإنه إذا كانت ثقافة اليوم في أيدينا، فإن زمامنا غدا في أيديهم، فإن أحسنا أحسنوا، أو... ■

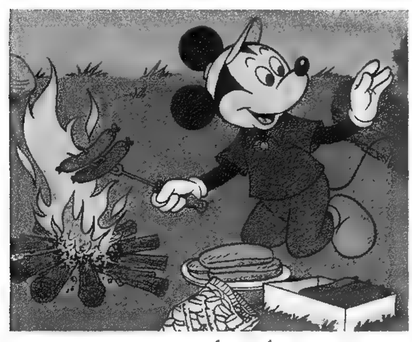

الحوار لعل من أشهرها «سنوايت والأقزام السبعة» و«بامبي» و«بوكا هونتاس» و«علاء الدين» و«الأسد الملك» و«تيمون وبومبا» و«مولان»... الخ.

لكن المربي والمهتم العربي فوجئ بظهور «الدبلجة» العربية لأفلام والت ديزني الأخيرة باللهجة المصرية العامية.

(أرجو ألا يفهم هذا على أنه تحامل على لهجة عربية محلية معينة، فالهاجس هنا هو الصالح العام).

فالظهور بلهجة عربية عامية طرح كثيراً من أسهم النجاح والبقاء لأعمال والت ديزني في العالم العربي، وجعلها قصيرة العمر ومحدودة التداول -على المدى الطويل- وأظهر هذه الأعمال بصورة استهلاكية هزيلة وقلل مما بذل في إخراجها الأصلي إبداعياً وتقنياً وفنياً، كما أثار استياء كثير من المربين والمهتمين والمثقفين العرب الذين قد يتجاوزون عن محتوى الأعمال الأجنبية التي تقدم للطفل العربي، في سبيل خدمتها للسان الطفل العربي وربطه بلغته الأم.

وهذه السطور نداء إلى كل من يستطيع إيصال الصوت العربي إلى «والت ديزني» وممثلاتها، بضرورة التأكيد على إعطاء حق (الدوبلاج) والترجمة العربية إلى مؤسسات تُخرج إنتاجها باللغة العربية الفصحى، لأن في ذلك حفظاً وإبرازاً حقيقياً وانتشاراً وصيانة أدبية وتاريخية لأعمالها التي استهلكت الكثير من الجهد والمال، فقد جرت العادة عند ترجمة أي عمل أجنبي -أدبي أو فني- إلى العربية أن يقدم بالفصحى.

ولتنال شيئاً من رضى المهتمين بتربية وثقافة الطفل العربي وسعيهم لتوحيد ثقافة هذا الناشئ عن طريق ربطه بلغته الأصلية أولاً وقبل كل شيء، ولو أن هذا الأمر الأخير لا يهم «والت ديزني» ورؤوسها وأذيالها بشيء، مقارنة بالأمر الذي يمس سمعة ونجاح إنتاجها. ■

للأسرة دور مهم في تكوين ثقافة الطفل وتنشئته، خصوصاً في السنوات الأولى من عمره. وهي الوعاء الثقافي الذي يكسب الطفل اللغة والمفاهيم والاتجاهات والقيم والعادات والأدوار الاجتماعية وغيرها.

والأسرة هي الخلية الثقافية الأساسية لعملية التنشئة الاجتماعية، فمن خلالها تتبلور شخصية الطفل بجوانبها العقلية والاجتماعية والجسمية والانفعالية.

ومؤسسات رياض الأطفال شريك أساسي في عملية التنشئة الاجتماعية للطفل شأنها في ذلك شأن الأسرة. وتسهم الأسرة ومؤسسات رياض الأطفال في تنمية ثقافة الطفل مع تنمية الجوانب الأخرى لشخصيته، ومع ذلك يختلف حجم التأثير الذي تتركه الأسرة ومؤسسات رياض الأطفال على النمو الثقافي للطفل باختلاف الإمكانات والخصائص المتوافرة لدى كل منهما.

انتقاء ثقافة الطفل بين الأسرة ورياض الأطفال:

المتاح لا يتيح الاختيار

اعداد: عبير المنيف *
الرياض

ويقدر ما تقوم به الأسرة ومؤسسات رياض الأطفال من اختيار سليم لانتقاء ثقافة الطفل، بقدرما تكون فرص الطفل في النمو الثقافي أرحب وأوسع.

ويتوقف تأثير دور كل من الأسرة ومؤسسات رياض الأطفال على الطفل وتنشئته ثقافياً بمدى ما يكون من تناغم وانسجام وتفاهم لكلا الدورين، دور الأسرة، ودور مؤسسات رياض الأطفال. لذلك ظهرت الحاجة إلى ضرورة انتقاء ما يقدم للطفل من وسائط ثقافية متعددة سواء في المنزل أو الروضة لتلائم ليس فقط قيم وأخلاق وأفكار ومعتقدات المجتمع الذي يعيش فيه الطفل ولكن أيضاً حاجات نمو الطفل في هذه المرحلة الدقيقة من العمر. ومن هنا تتبلور مشكلة هذه الدراسة في السؤال التالي (ما دور الأسرة ومؤسسات رياض الأطفال في انتقاء ثقافة طفل ما قبل المدرسة؟).

وحددت الباحثة مجموعة من الأهداف لدراستها وهي:

١- تحديد المصادر الثقافية التي تفضلها كل من الأسرة ومؤسسات رياض الأطفال للإسهام في التنشئة الثقافية للطفل.

٢- التعرف على المعايير المختلفة التي تستخدمها كل من الأسرة ومؤسسات رياض الأطفال في انتقاء ثقافة الطفل.

٣- تحديد أهم المتغيرات المؤثرة في أداء كل من الأسرة ومؤسسات رياض الأطفال لدورها في انتقاء ثقافة الطفل.

٤- التعرف على المعوقات التي تواجه كلاً من الأسرة ومؤسسات رياض الأطفال في انتقاء ثقافة الطفل.

٥- اقتراح بعض التوصيات التي تسهم في قيام كل من الأسرة ومؤسسات رياض الأطفال بالانتقاء الجيد لثقافة الطفل.

وتناولت الدراسة في الفصل الثاني الإطار النظري للدراسة، وناقش هذا الفصل خمسة أبعاد هي: البعد الأول: واقع رياض الأطفال في العالم. ويتضمن نشأة رياض الأطفال وتطورها في العالم، أهداف رياض الأطفال ويشتمل على: أهداف متعلقة بذات الطفل ونموه النفسي، أهداف متعلقة بالنمو الاجتماعي للطفل، أهداف متعلقة بقدرات الطفل العقلية والإدراكية، أهداف متعلقة بالنمو الجسمي والحركي للطفل، تنمية الجانب الجمالي في الطفل، التهيئة والإعداد للمدرسة الابتدائية، وظائف رياض الأطفال.

أما البعد الثاني فقد تناول واقع رياض الأطفال في المملكة العربية السعودية من خلال نشأة رياض الأطفال في المملكة العربية السعودية وتطورها الكمي على مدى ١٣ عاماً منذ عام ١٤٠٥هـ وحتى عام ١٤١٧هـ، وأهداف رياض الأطفال في المملكة العربية السعودية.

وتناول البعد الثالث نظريات النمو والتعلم المؤثرة في إعداد برامج أطفال ما قبل المدرسة وهي النظرية النضجية الوراثية، والنظرية السلوكية (البيئية) والنظرية المعرفية النمائية.

وفي البعد الرابع استعرضت الباحثة دور الأسرة في

الإثراء الثقافي للطفل من خلال دور الأسرة في التنشئة الاجتماعية للطفل. ويتضمن دور الأسرة في كل من النمو الجسمي، والنمو الانفعالي، والنمو الحسي، والنمو الاجتماعي، والنمو اللغوي، والنمو العقلي.

فيما ناقش البعد الخامس الثقافة وثقافة الطفل. وتتضمن ماهية الثقافة، وخصائص الثقافة، وعناصر الثقافة. أما ثقافة الطفل فتشتمل على التعريف بمفهوم ثقافة الطفل، عناصر ثقافة الطفل، خصائص ثقافة الطفل، أهداف ثقافة الطفل، المصادر الثقافية للطفل، ومن أهمها: الأسرة، المدرسة المسجد، التلفزيون، الإذاعة الفيديو، السينما، المسرح، صحافة الأطفال، قصص الأطفال، الرسم والأشغال، الرحلات والزيارات، مكتبة الطفل، الألعاب، الكمبيوتر «الحاسوب». ثم ناقشت الباحثة دور معلمة رياض الأطفال في تنمية ثقافة الطفل.

وعرض الفصل الثالث الدراسات السابقة واستعرض ثلاثة مجالات من الدراسات السابقة: أولاً: الدراسات التي تتعلق بثقافة الطفل، وثانياً: الدراسات التي تتعلق بالطفل في رياض الأطفال، وثالثاً: الدراسات التي تتعلق برياض الأطفال كمؤسسة تنشئة اجتماعية ثقافية.

وبالنسبة للفصل الرابع فقد تناول منهجية الدراسة وإجراءاتها حيث اعتمدت الباحثة على المنهج الوصفي التحليلي، كما تناول هذا الفصل تحديد مجتمع الدراسة الذي يتكون من جميع مؤسسات رياض الأطفال الحكومية والأهلية بمدينة الرياض وجميع معلماتها وأطفالها. ثم بينت الباحثة كيفية اختيار عينة الدراسة وإجراءاتها، حيث تم توزيع (٣٥٧) استبانة لأولياء الأمور الذين ألحقوا أبناءهم بمؤسسات رياض الأطفال الحكومية والأهلية، و(١٢٧) استبانة لمعلمات رياض الأطفال الحكومية والأهلية، وتم استرجاع عدد (٢٧١) استبانة خاصة بأولياء الأمور وعدد (٩٣) استبانة خاصة بالمعلمات.

أما الفصل الخامس فقد تضمن عرضاً للنتائج التي توصلت إليها الباحثة وتحليلها ومناقشتها طبقاً للإجابة عن أسئلة الدراسة.

وقد كشفت الدراسة عن عدد من النتائج منها:

١- أن برامج التوعية الثقافية العامة، والألعاب البنائية (فك- تركيب) والمكتبة، والرحلات والزيارات من أبرز المصادر الثقافية التي تفضلها الأسرة لتحقيق التنشئة الثقافية لأطفالها.

٢- أوضحت الدراسة عدم تفضيل أولياء الأمور لعدد من المصادر الثقافية ومنها الفيديو ومتحف الطفل كذا المواد الإعلامية كالمجلات ونحوها.

٣- كشفت الدراسة أن هناك توافقاً بين المعلمات وأولياء الأمور (الأسرة) من حيث أهمية المصادر الثقافية.

٤- أن النشاطات والألعاب الحركية وكذلك الألعاب البنائية، وألعاب التطابق والمكتبة، وبرامج التربية الثقافية للأطفال، والرحلات والزيارات من أبرز المصادر الثقافية التي تفضلها المعلمات في مؤسسات رياض الأطفال. كما أوضحت الدراسة عدم تفضيل المعلمات لبعض المصادر الثقافية، وهي: متحف الطفل، المواد الإعلامية كالمجلات، الإذاعة المدرسية والتلفزيون.

٥- كشفت الدراسة أن أولياء الأمور (الأسرة) يستخدمون معيار مبدأ الثواب والعقاب، ومعيار إرشاد الطفل وتوجيهه، وكذا إشباع حاجات الطفل، والتكامل مع الروضة كمعايير لانتقاء ثقافة أطفالهم.

٦- تبين من الدراسة أن هناك توافقاً بين أولياء الأمور (الأسرة) والمعلمات في عدد من المعايير المستخدمة في انتقاء ثقافة الطفل أهمها نمو الطفل، وكذا إشباع حاجة الطفل، ومبدأ الثواب والعقاب.

٧- كشفت الدراسة عن اختلاف وجهة نظر المعلمات حول معيار استخدام مبدأ الثواب والعقاب، حيث احتل المرتبة الأخيرة بالنسبة لمدى الاستخدام لهذا المعيار، بينما نجده قد احتل الرابعة من حيث أهمية استخدامه في انتقاء ثقافة الطفل.

٨- أوضحت الدراسة أن هناك اختلافاً بين أولياء الأمور والمعلمات على مدى أهمية بعض المعايير.

٩- أوضحت الدراسة أنه لا توجد فروق ذات دلالة إحصائية بين متوسط درجات محاور الاستبانة باختلاف الحالة الوظيفية، ومستوى الدخل السنوي للأسرة.

١٠- أوضحت الدراسة أن انشغال الأسرة بأعباء اجتماعية واقتصادية وظروف الحياة التقليدية، وقلة المعروض من المحتوى الثقافي المناسب للطفل وصعوبة توفير آليات مناسبة لتحقيق التدرج في الانتقاء الثقافي

للطفل من أبرز المعوقات التي تواجه الأسرة في انتقاء ثقافة أطفالها.

١١- أوضحت الدراسة أن انشغال الروضة بأعباء إدارية ونشاطات روتينية متعددة، وعدم وجود التكامل بين الروضة والأسرة، وتداخل المؤثرات الاجتماعية بشكل مكثف من أبرز المعوقات التي تواجه المعلمات في مؤسسات رياض الأطفال.

أما الفصل السادس والأخير في الدراسة فقد اشتمل على خلاصة الدراسة وعلى أهم التوصيات التي جاء فيها:

١- العمل على إنشاء مكتبات عامة متخصصة للأطفال، أو إفراد أجنحة خاصة بالأطفال في المكتبات العامة وتزويدها بمختلف وسائل التثقيف الخاصة بهم.

٢- تخصيص جائزة سنوية تقديرية أو تشجيعية لأدب الأطفال تعطى للكتاب والفنانين والعاملين في مختلف مجالات ثقافة الطفل بشروط مناسبة.

٣- العمل على تشجيع إصدار مجلات جديدة تغطي احتياجات الطفل في مختلف مراحلها.

٤- استخدام اللغة العربية الفصحى السهلة المناسبة للأطفال في البرامج المقدمة لهم.

٥- حماية الطفل من أخطار الثقافة المستوردة عن طريق تصفيتها وتنقيتها قبل تقديمها إلى الطفل بما يتناسب وقيم مجتمعنا ومتطلباته، والعمل على إيجاد البديل في مجتمعنا لهذه البرامج الثقافية عن طريق مختلف الأجهزة والمؤسسات الأخرى.

٦- زيادة الاهتمام ببرامج الأطفال في الإذاعة والتلفزيون لإشباع احتياجات الأطفال واهتماماتهم، مع الحرص على جودة ما يقدم من برامج إعلامية على أساس الانتقاء الجيد لهذه البرامج.

٧- توثيق العلاقة بين الأسرة ومؤسسات رياض الأطفال من أجل الانتقاء الجيد لثقافة الطفل بوصف الاثنين معاً مؤسستين للتنشئة الاجتماعية يعملان على إشباع حاجات الطفل المختلفة.

٨- العمل على إنشاء دار نشر متخصصة في إنتاج كتب ومجلات أطفال مزودة بأحدث الأجهزة يديرها نخبة من الكتاب المتخصصين والباحثين لإشباع ميول الأطفال واحتياجاتهم.

٩- العمل على إنشاء دور ثقافية متكاملة تجمع بين المتحف والمعرض والمسرح والمكتبة وغيرها، وتوفير الكوادر المتخصصة والمدربة لتولي مسؤولية هذه الدور.

١٠- الاهتمام بإصدار ملاحق أو تخصيص صفحة معينة في الصحف مخصصة للأطفال بصورة أسبوعية لضمان توجيه وتربية الطفل ثقافياً بصورة سليمة. ■

عنوان الدراسة:

دور الأسرة ورياض الأطفال في انتقاء ثقافة طفل ما قبل المدرسة

«دراسة ميدانية بمدينة الرياض»

إعداد:

عبير بنت محمد بن عبدالله المنيف

رسالة ماجستير

جامعة الملك سعود - الرياض

١٤١٩هـ ١٩٩٩م

ترجمة وتحرير:

- **تخصيص ٤٠ مليون جنيه إسترليني لدعم برنامج «ساعة القراءة والكتابة».**
- **البرنامج يقلص الوقت المخصص لتدريس المواد الأخرى.**
- **استراتيجية تعلم القراءة والكتابة تستغرق ١٥ شهراً.**

لرفع مستوى القراءة والكتابة لدى الطلاب في بريطانيا:

١٧٠ مليون جنيه تفك عقدة «الإنجليزي»

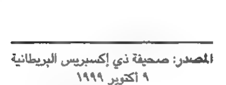
المصدر: صحيفة ذي إكسبريس البريطانية
٩ أكتوبر ١٩٩٩
المعرفة

حذر كبار المدرسين من أن سعي الحكومة لرفع مستويات القراءة والكتابة يؤثر على ميزانيات المدارس تأثيراً بالغاً، ويقلص الوقت المخصص لتدريس المواد الأخرى.

فقد اضطرت المدارس الابتدائية لتخصيص نحو أربعين مليون جنيه إسترليني تقريباً من الميزانيات المخصصة لها لدعم برنامج ساعة القراءة والكتابة القومي، خاصة وأن ربع المدارس تنفق نحو خمسة آلاف جنيه إسترليني على الكتب.

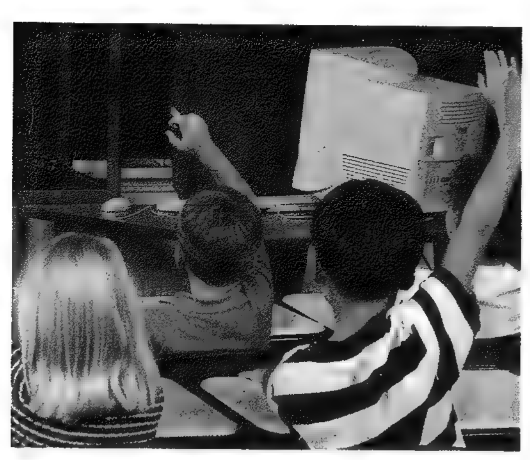

لكن الطلاب الصغار تضرروا أيضاً حيث تقلصت الحصص المخصصة لمواد التاريخ، والتربية البدنية، والجغرافيا، والموسيقى، والتصميم والتكنولوجيا، والتربية الفنية، نظراً لعدم توفر الوقت الكافي خلال اليوم الدراسي لتدريس هذه المواد.

وذكر اتحاد النظار الوطني أن استراتيجية تحسين مستويات القراءة والكتابة بدأت تؤتي ثمارها، ولكن المدرسين والطلاب دفعوا الثمن. وقد أظهرت دراسة أجريت على ١٢٠٠ مدرسة ابتدائية أن ٩٩٪ منها طبقت استراتيجية القراءة والكتابة، وأن ٩٥٪ منهم خصصوا من يومهم الدراسي ما يسمى بساعة القراءة والكتابة. لكن ٧٣٪ من المدارس الابتدائية ذكروا أنهم اضطروا لتجشم تكاليف مادية فاقت الأموال التي خصصتها الحكومة لتحقيق هذا الهدف.

وذكرت أربع مدارس من عشر مدارس تم سؤالها أن هناك احتياجاً لمزيد من الموارد للحفاظ على حملة تعليم القراءة والكتابة على المدى الطويل. وقد كشفت نتائج اختبارات المنهج الوطني، التي أجريت على الطلاب البالغين من العمر ١١ عاماً، ارتفاع نسبة الصغار، الذين وصلوا للمستوى المطلوب من ٥٠٪ إلى ٧٠٪. وقد رحب النواب باستراتيجية تعلم القراءة والكتابة، التي تستغرق ١٥ شهراً، باعتبارها سبباً لهذا التحسن.

لكن نتائج الاتحاد الوطني للنظار تظهر أن جوانب أخرى من التعلم قد تعاني نتيجة لهذه السياسة. وقد أفادت ثمان من بين عشر مدارس أنها اضطرت إلى تقليص الفترات المخصصة لباقي المواد، وأكثر المواد التي تم إهمالها كانت التاريخ والتصميم والتكنولوجيا.

وقد منحت الحكومة، رغم ذلك، المدارس الحرية والمرونة الخاصة بكيفية وقدر ما يدرسونه، ولكن بدءاً من العام القادم سيعاد فرض المواد الإلزامية.

ويشتكي المعلمون أيضاً من الارتفاع البارز في عبء العمل المنوط بهم والضغط الشديد الذي يتعرضون له من الإدارات التعليمية المحلية للوفاء بأهداف الحكومة. ويقول ديفيد هارت، الأمين العام لاتحاد النظار الوطني، «إنه في الوقت الذي أثبتت استراتيجية معرفة القراءة والكتابة نجاحها في مسعاها لرفع المستوى، تحاول المدارس أن تفعل المستحيل. وعلينا أن نتأكد أنه عندما يلتحق الطلاب بالمرحلة الثانوية، لا يعانون فقراً في كمية المواد التي تلقوها».

وذكر مسؤول حكومي رفيع أن المدارس قد تلقت دعماً جوهرياً إضافياً بالإضافة للميزانية المخصصة لبرنامج تعلم القراءة والكتابة، والتي ستبلغ في حد ذاتها ١٧٠ مليون جنيه إسترليني العام القادم. وأضاف المسؤول قائلاً «لم يندم النواب على تركيزهم على تعلم أسس القراءة والكتابة والحساب في المدارس الابتدائية». ■

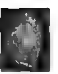

انتحار مدرسة محترمة!

المصدر: صحيفة ذاميل اون صنداي البريطانية
٢٧ فبراير ٢٠٠٠
ترجمة وتحرير: المعرفة

قتلت معلمة بمدرسة أطفال نفسها بعد أن انتقد مفتشو الإدارة التعليمية الرسمية مستويات الطلاب وأداءهم في المدرسة التي عملت فيها على مدى ٢١ عاماً من عمرها.

فقد عثرت الشرطة على جثة الأستاذة باميلا ريلف، البالغة من العمر ٥٧ عاماً، في أحد أنهار منطقة باكستون بمدينة كمبريدجشاير. وقد عثر رجال الشرطة على سيارتها متروكة بجوار شاطئ النهر، وبداخلها خطاب انتحار جاء فيه: إنها لم تعد قادرة على تحمل المزيد من ضغوط وإجهاد عملها كمُدرِّسة.

وذكرت عائلة باميلاريلف أن تأثير تقرير مفتشي الإدارة التعليمية (أوفستد) الخاص بمدرسة ميدل فيلد الابتدائية الواقعة بمنطقة اينسبري بمدينة كمبريدجشاير، كان على ما يبدو بمنزلة القشة التي قصمت ظهر البعير.

وذكر أخ السيدة باميلا، ويدعى ديفيد وهو مدرس متقاعد يبلغ من العمر ٥٩ عاماً «أن أخته كانت مكتئبة، لكن تقرير مفتشي الإدارة التعليمية كان أحد العوامل التي دفعتها إلى هذه النهاية».

وأضاف ديفيد قائلاً: «أخبرتني أختي في حينه بأنها اكتشفت أن تقرير المفتشين مثير للضغط والإحباط. وقد تركت رسالة للمحققين عن أسباب وفاتها أشارت فيها إلى أنها لم تستطع أن تواكب التغير، وتفي بجميع الأعمال الورقية (من كتابة ومراجعة التقارير والمقالات والاختبارات المدرسية)، لقد كان واضحاً أن الأمر متعلق بالتدريس».

وكانت السيدة باميلاريلف، التي تعيش مع أبيها البالغ من العمر ٩٢ عاماً، قد تغيبت في الرابع من يناير بعد أن غادرت منزلها كالمعتاد في الثامنة صباحاً كما لو كانت ذاهبة إلى مدرستها. لكنها لم تحضر مما أدى إلى انزعاج زملائها ومحاولتهم استكشاف الأمر. وانضم زملاؤها في المدرسة إلى فريق من رجال الشرطة، بلغ عددهم ٢٠ ضابطاً، بالإضافة إلى عدد من كلاب البحث أو اقتفاء الأثر وطائرة هليكوبتر. وقد عثرت صديقتها كارولين بنكس على سيارة باميلا «الفورد» متروكة بالقرب من أحد الأنهار المجاورة لمحمية طبيعية بمنطقة ليتل باكستون.

وبعد انقضاء سبعة أسابيع أخرى، عُثر على جثتها في مياه النهر، وقد تعرفت الشرطة عليها من خلال استخدام ملفات الأسنان الخاصة بها.

وعلى الرغم من أن الأستاذة باميلا ريلف قد اختفت قبل أن ترى التقرير الصادر عن مفتشي الإدارة التعليمية، إلا أن ناظرة المدرسة حذرتها مسبقاً بأن تتوقع أمراً ما في أعقاب التفتيش الذي استمر أسبوعاً في شهر نوفمبر الماضي.

جدير بالذكر أن باميلا كانت مدرسة محبوبة وذات شعبية، ومعروفة في المدرسة برقتها وهدوئها. وقد كان مقرراً أن تتقاعد في خلال سنوات قليلة مقبلة.

ومما يدعو إلى الأسى أن المفتشين الذين زاروا مدرسة باميلا، التي تضم ٢٤٧ طالباً، لم يذكروها بالاسم في تقريرهم، لكنهم انتقدوا مستوى القراءة والكتابة بين الطلاب البالغين من العمر من أربع إلى سبع سنوات، والذين تدرس لهم السيدة باميلا. وقد انصب انتقادهم على وجه التحديد على الخط والهجاء، وعلامات الترقيم، وسوء التصحيح، بحيث لا يشير صراحة إلى كيفية تحسين مستوى الطلاب.

وصرح المتحدث باسم مفتشي الإدارة التعليمية قائلاً: «إن المفتشين عليهم الإبلاغ عن الوضع التعليمي كما وجدوه، وإذا فعلوا غير هذا كان في ذلك أذى وضرر للأطفال».

وقد علم طلاب المدرسة بوفاة السيدة باميلا بعد عودتهم للمدرسة بعد انتهاء عطلة الفصل الدراسي الأول. وصرح متحدث باسم المدرسة قائلاً «سنظل نذكر السيدة باميلا بإعجاب شديد كمدرسة ذات وقار وكرامة وحب حقيقي للأطفال الذين كانت تقوم على رعايتهم». ■

مجلة .. ومدرسة

عبدالعزيز الثنيان

العلم يتجدد والمعرفة تتنوع، ومصادر العلم تزداد، وتظل بعض المؤسسات راكدة لا تطوير ولا تجديد فيملّها المتلقي، وينفر منها الآخذ وتصبح كالماء الآسن، وقد ركد وهجره الورّاد.

وللأسف فهذه الحال السائدة لأغلب المطبوعات العربية والقنوات التلفزيونية والمحطات الإذاعية. وأقول بكل مرارة وأسف وهذه حال أغلب المدارس المنتشرة هنا وهناك، فقد أخنى عليها الدهر ورأيناها تشيخ وتهرم ولا تهرول وتجدد، وتزيدها الأيام داء وسعالاً.. والنفس البشرية تعشق الجديد وتطرب للتجديد.

وقد سرتني مجلة «المعرفة» في ثوبها الجديد وشكلها الأخير. ففي عدد محرم لعام ١٤٢١هـ الفيت المجلة وقد هزت أوراقها الذابلة وأخرجت ثماراً حلوة، وقدمت زاداً جديداً وتميزت في مضمونها وشكلها وهذا هو التميز، وتلك لعمر الله صفة الناجحين وسمة الواثقين من أنفسهم. وأحسبها جددت ولم يتطلب الأمر أموالاً، وأبدعت ولم تكلف الوزارة ولا الناشر نفقة ولا جهداً، ولكنها الإرادة الدائبة والهمة الكبيرة. ورحم الله المتنبي حيث يقول:

وإذا كانت النفوس كباراً
تعبت في مرادها الأجسام
وتعظم في عين الصغير صغارها
وتصغر في عين العظيم العظائم

وهذا التجديد والإبداع الذي يقوده الأخ الكريم رئيس التحرير زياد الدريس -رعاه الله- يذكرني بمدرسة عبدالرحمن بن عوف الابتدائية بمدينة الرياض وبمديرها ذلك الأخ الفاضل والمربي المحتسب الأستاذ عمر بن خميس بن أحمد الزهراني. فهذا الرجل أيقظ تلك المدرسة من غفوتها، وجدد لتلك المدرسة نشاطها، واستمر في الرعاية والعناية وامتد نشاطه للحي ذاته، وارتبطت مدرسته بالبيئة نفسها، يربي ويعلم ويوجه ويتابع، وجعل من المدرسة منارة خير للحي ومشعل نور للسكان ولم تقدم له إدارة التعليم دعماً ولا ميزانية، ولكنها النفس الكبيرة والهمة العظيمة. وأمثال الأخ الزهراني في المدارس كثيرون. والتعليم بخير مادام فيه تلك النماذج التي تجسد الإخلاص وتقدم القدوة.

وإن مجلة «المعرفة» وأمثال تلك المدرسة صور ناطقة ومرآة حاكية للهمة والإرادة وللتجديد والإبداع، وكم هو جميل ما يروى عن المفكر الجزائري ابن باديس حين قال:

لو أن كل فرد أصلح من ذاته لصلح جزء من كل ومن ثم صلح الكل كله.

ألا بوركت همم الرجال الأخيار، وكم في الوطن من نفوس كريمة تعمل بصمت وتترك لأعمالها الحديث ولأفعالها القول. ■

العادات العشر للشخصية الناجحة
(الحلقة الثامنة)

بعد اليوم.. سوف لن أُسوّف!

بقلم: إبراهيم القعيد

تناولنا في الحلقة الماضية مهارة المبادرة والتركيز التي هي من المهارات المهمة لامتلاك عادة «الأداء الفعّال».

وفي هذه الحلقة نستكمل المهارتين الأخيرتين للأداء الفعال وهما: عدم التسويف ومواجهة المشكلات.

اسمح لي في البداية أن أبادرك بسؤال صريح: هل أنت إنسان مسوّف؟

إذا كانت إجابتك (بنعم) فإني أهنئك على صدقك. فالإنسان مخلوق يميل إلى التسويف ويحتاج إلى جهد للتخلص من هذا الطبع. وقد حض ديننا العظيم على المبادرة ومباشرة الأعمال أولاً بأول، قال سبحانه وتعالى ﴿وسارعوا إلى مغفرة من ربكم ورحمة﴾، كما نبهنا الرسول الكريم إلى نتائج التسويف في حياة الفرد حين قال «الكيس من دان نفسه وعمل لما بعد الموت، والعاجز من اتبع نفسه هواها وتمنى على الله الأماني»، وقال ﷺ «اغتنم خمساً قبل خمس».

وهناك بعض المقولات والاعتقادات التي تقودنا إلى التسويف. فاعتقادات مثل النشاط يعني الإنتاجية، الأسلوب الأسهل هو الأسلوب الأجدى، العمل هو شيء غير سار بطبعه، نعمل أحسن عندما نكون تحت ضغوط، كل هذه الاعتقادات تبرر لنا تأخير العمل أو عدم أدائه.

ويصعب أن نصف التسويف لأنه في الأساس لا شيء. إن ما يعتد به دائماً هو ذلك العمل الذي أنجزت أما ما سوى ذلك فأعمال مرجأة أو أمور غير منجزة. وعلى كل حال فإن التسويف يصبح مشكلة كبرى عندما تترك أو تؤخر عمل أشياء مهمة بالنسبة لك أو لها علاقة مباشرة بأهدافك. إن الثمن الذي ندفعه بدخولنا في زمرة المسوفين باهظ للغاية؛ لأن التسويف يقتل الكفاءة والفعالية الشخصية.

بعض النتائج السيئة للتسويف

كتب دال كارنيجي، عالم الاجتماع الأمريكي الشهير «إن أسوأ ما نتصف به نحن البشر هو أننا لا نعيش ليومنا، فنحن نحلم بحديقة ملأى بالورد تتراءى لنا هنالك بعيداً في الأفق، بدلاً من التمتع بالورود التي تتفتح قريباً من حولنا».

والواقع أن هذا هو الثمن الذي ندفعه جراء تسويفنا؛ لأننا في الحقيقة لا نملك سوى يومنا الذي نعيش فيه. إن ما نقوله ونتمناه ونخاف أن يحدث لا يمثل لنا واقعاً، كما أنه لن يصير مستقبلاً بالضرورة. ما مضى قد مضى والمستقبل في رحم الغيب ولا يعلمه إلا الله سبحانه وتعالى.

إن المسوّف يضيع الحاضر، والأسوأ من ذلك أنه يتعود على الإرجاء والتسويف فيضيع منه المستقبل كذلك وهكذا دواليك.

إن الحياة الكاملة الصحيحة كما أرادها الله سبحانه وتعالى في حياة الإنسان تعني الإنجاز والتمتع به كل يوم، ولكن المسوف يقف دائماً حجر عثرة أمام هذا الإنجاز. إنه يرجيء كل شيء إلى الغد ولا يهتم بأي شيء له علاقة باليوم مما يحدث فراغاً في الحاضر لا تملأه إلا الأمور التافهة. كما أنه بإرجائه كل شيء حتى اللحظة الأخيرة يسبب لنفسه الكثير من القلق وعدم الاستقرار النفسي.

أهداف مهملة

المسوّفون مثلهم مثل غيرهم لديهم أهداف غير أنهم لا يلتزمون بهذه الأهداف كما أنهم لا يسعون إلى تحقيقها، وهي في ذاتها ليست أهدافاً حقيقية بل آمال وأمنيات. مثل هؤلاء الناس يمكن التعرف عليهم بسهولة فمن سيماهم الواضحة ادعاؤهم بأنهم سيفعلون كذا وكذا. فالمسوّف، على سبيل المثال، قد يقول:

- سوف أذهب إلى بلد كذا
- سوف أتصدق يوماً ما.
- سأحصل على وظيفة أحسن.
- سأعود مرة أخرى لمواصلة تعليمي.
- سأحافظ على صلواتي.
- سوف اشتري منزلاً.
- سوف أقلع عن التدخين.
- سأمارس رجيماً قاسياً.

وهكذا تستمر قائمة الأماني إلى ما لا نهاية.

والمسوّف لا يواجه المشكلات ويجعلها تطوقه من كل جانب. وإن لم يفعل ذلك مع جميع المشاكل فعلى الأقل مع معظمها. إن إهمال المشكلات وغض النظر عنها لا يؤدي على الإطلاق إلى حلها أو اختفائها، بل على النقيض من ذلك، إذ إن بعض المشكلات بتركها تولد مشكلات أخرى أكبر وأعظم. فثقب صغير في سقف بيتك إن لم تقم بإصلاحه فسيؤدي إلى انهيار السقف بأكمله لا محالة يوماً ما. وإذا لم تراقب زيادة وزنك فستفاجأ بمتاعب السمنة وتعقيداتها. وإذا أهملت بعض المهام في وظيفتك بحجة أنها غير محببة فستجد نفسك يوماً ما بلا وظيفة. المشكلات المعلقة هي مثل الحشرات الضارة إذا لم تسع إلى القضاء عليها، توالدت بسرعة وانتشرت لتحدث لك أنواع المتاعب وقد تقضي عليك.

إحباط مستمر

لا أحد يريد أن تتملكه مشاعر الإحباط، فالإحباط هو ألا تنال من الحياة ما تشتهي، فمن يرغب في ذلك؟ غير أن المسوّف لا محالة وارد ذلك المورد لأنه يسعى بنفسه إليه بإرجائه كل شيء للغد وعدم اتخاذ أي خطوات إيجابية والاكتفاء بالتمني.

تعب وتدهور في الصحة

لا تعجب، فحياة المسوّف رغم ما تبدو به من سهولة

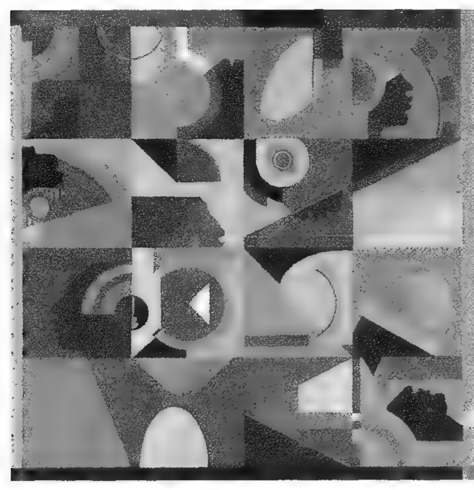

إلا أنها ليست كذلك، فهي أسلوب لإضاعة الوقت والجهد، يعذب النفس والجسد ويجلب التعب، وهو طريق اختاره المسوّف بنفسه، فهو يقضي وقته ويعمل ليل نهار في شك وتردد وإهدار للوقت وإحباط وضجر. وهذا بلا شك يؤدي إلى الإرهاق النفسي والتعب الجسدي. والواقع أن تدهور الصحة والإصابة بالأمراض المزمنة والموت المبكر كلها نتائج واضحة للتسويف. فإخفاء أعراض المرض مثلاً وعدم اتخاذ خطوات لعلاجه يؤدي إلى عواقب وخيمة بلاشك.

فعندما تقود سيارتك لأسبوع آخر وأنت تعلم أن إطاراتها منتهية أو متآكلة أو أن كوابحها (فراملها) لا تعمل وهو ما يفعله المسوّف، فإنك بذلك تضع بذرة لمأساة قادمة. إن الأشياء المهمة نادراً ما تكون عاجلة إلا بعد فوات الأوان.

وظيفة متواضعة

هذا ثمن آخر يدفعه المسوّف جراء تأجيله اتخاذ الخطوات الحاسمة المناسبة، فهو يظل في وظيفة متدنية غير مقتنع بها ولا تناسب مؤهلاته. وبالإضافة إلى ذلك هنالك العديد من فرص العمل تضيع بسبب التسويف، فالعميل الذي لا تدعوه في اللحظة المناسبة سيتلقفه منافس آخر. وإن لم تقم بتحديث منتجاتك فستخرج من السوق. كما يؤدي عدم الحسم إلى نتائج ضعيفة وقد لا يؤدي إلى نتائج على الإطلاق. إن كل قرار تتخذه هو فرصة للتأثير على المستقبل ومحاولة لتحقيق ما تصبو إليه، وإن تقاعست عن اتخاذ القرار فإن هذا هو الفشل بعينه. إن التردد في اتخاذ القرار يجعلك عبداً للمستقبل بدلاً من أن تكون سيداً عليه وهذا ما أحبط حياة الكثير من البشر.

علاقات شخصية ضعيفة

هذه نتيجة أخرى لحياة التواكل والتراخي، فالمسوّف إذا نشب خلاف بينه وبين شخص آخر فبدلاً من مواجهة الأمر وحسم الموضوع ودياً يتحاشى المجابهة ولا يفعل شيئاً. إن استمرار المرء في وظيفة ما وهو على علاقة غير جيدة مع رئيسه بدون إيجاد حلول لهذا الأمر، أو الاستمرار في حياة زوجية تعيسة بدون حلول معقولة، أو علاقة غير ودية مع فريق العمل الذي يعمل معه أمور تعتبر ضرباً من التسويف. المسوّف لا يكفيه فقط الحياة بمشاعر الإحباط التي يحس بها بل يتشبس بمبررات واهية ولا يفعل شيئاً من أجل تنمية علاقات طيبة ومثمرة مع الآخرين.

لماذا نسوّف؟

بعد أن وضح لنا جلياً الثمن الذي ندفعه بتسويفنا، يقفز إلى الذهن سؤال منطقي وهو لماذا نسوّف؟ إن جل أسباب التسويف إن لم تكن كلها ذات طبيعة عاطفية.

تحاشَ بدء عمل كبير

يعرف المرء بأنه بانشغاله في اللحظة الحاضرة بتوافه الأمور، يؤجل أداء عمل مهم يبدو له أكبر من أن يقوم به الآن. أذكر أنني كلفت أحد الزملاء العاملين معي بإعداد تقرير نصف سنوي عن عمل القسم وظل يؤجل ذلك يوماً بعد يوم بحجة أن هناك أموراً صغيرة لابد من إنجازها أولاً حتى لا تقطع عليه انهماكه في ذلك العمل الكبير عندما يبدأه. يقضي يومه كله يرد على الهاتف أو يتحدث مع الزملاء أو يعد المذكرات اليومية الروتينية، وعندما يعود إلى المنزل يكون منهمكاً متعباً ولكنه راض بما انجز من عمل يومه. ظل هكذا إلى أن حان موعد تقديم التقرير فاضطر إلى العمل ليلاً ونهاراً وفي عطلة نهاية الأسبوع لإكماله، وجاءني وهو يتذمر من كثرة العمل وعدم توفر الوقت المناسب لإنهاء التقرير. وعندما اطلعت على التقرير وجدته هزيلاً ناقصاً لا يفي بالحدود الدنيا من المتطلبات.

تحاشَ عملاً غير محبب

كل منا عليه أن يؤدي أحياناً بعض الأعمال التي لا يحبها. إن من يقوم فقط بالأعمال التي يحبها، ويترك التي لا تروق له سيؤدي به الأمر في نهاية المطاف لا محالة إلى فقده الأعمال التي يحبها.

كيف نتخلص من التسويف؟

مادمنا عرفنا الآن معنى التسويف وأسبابه فلاشك أننا بدأنا نفكر في الطرائق والأساليب التي تعيننا على التخلص منه. ولنبدأ بهذه الطرائق:

١-استعن بالله سبحانه وتعالى، وخذ نفسك بالهمة والعزيمة، وواجه المهام والأعمال والمسؤوليات، ولا تنس أن تردد بينك وبين نفسك دوماً هذا الدعاء المأخوذ من حديث أشرف الخلق «اللهم إني أعوذ بك من الهم والحزن والعجز والكسل وغلبة الدين وقهر الرجال».

٢- تذكر الآثار السلبية للتسويف وأهمها مشاعر الدونية، وعدم القدرة على الفعل، وعدم الفعالية في الحياة الشخصية وفي العمل. هل ترغب في أن تعيش بهذه الآثار طيلة حياتك؟

٣- تذكر الآثار الإيجابية للمبادرة والجد والنشاط ومواجهة المسؤوليات. لاشك أن في حياتك طعماً لمثل هذه الآثار. ألا تريد أن تزيد من هذه المشاعر وتعزز من هذه الآثار.

٤- وضح رؤيتك وحدد أهدافك ورتب أولوياتك (العادات الأولى والثانية والثالثة) ففي هذا خير عظيم ومساعدة على التخليص من التسويف ودواعيه

٥- كن شجاعاً مقداماً مع الاحتفاظ بالحكمة والاتزان. لا تخف من الأخطار أو الوقوع في الخطأ فالهمة والنشاط والعزيمة لابد لها من ضريبة.

٦- تذكر المهمة التاريخية للشيطان، وهي التربص بالإنسان وإغواؤه وإبعاده عن طريق الحق. ولاشك أن الشيطان قد اكتشف منذ وقت طويل أن ميل النفس الإنسانية للتسويف يمكن أن يكون مدخلاً وطريقة جيدة لممارسة مهمته الشيطانية.

٧- تعامل مع المهام الصغيرة في شكل مجموعات. فكل واحد منا يواجه أحياناً عدة مهام صغيرة ولكنها ضرورية ولابد من إنجازها في زمن وجيز. ومن هذه الأعمال مثلاً تسديد الفواتير، تبليغ الرسائل الشفهية، وأداء بعض الأعمال المنزلية وبعض المكالمات الهاتفية. إن محاولة إنجاز هذه الأعمال بطريقة عشوائية يؤدي بالتأكيد إلى كثرة الأعمال وتزاحمها والشعور بالانشغال الكثير ولكن بدون إنجاز يذكر. وأحد أساليب التعامل مع الأشياء الصغيرة بحيث لا تؤثر على مقدرتك وفاعليتك هو أن تنظم هذه الأعمال في شكل مجموعات وتأخذ كل مجموعة في وقت واحد. حاول أن تجري عدة مكالمات في وقت واحد. قم بعدة أعمال منزلية بالتوالي أو اجمع العديد منها إذا كان ذلك ممكناً. سدد الفواتير مجتمعة في يوم معين من كل شهر. حاول أن تجري عدة مكالمات تلفونية في وقت واحد أو اكتب رسائلك كلها سوياً. إن ترتيب المهام الصغيرة وسيلة فعالة لتتمكن من إنجاز المهام الكبيرة.

مواجهة المشكلات وحلها

وهذه مهارة رئيسة أخرى تساعد على بناء عادة (الأداء الفعال)، وذلك لأن الفعل والحركة وتنفيذ الخطط ومتابعتها يؤدي إلى التعرض لبعض الصعوبات ومواجهة

بعض المشكلات. هل تذكر آخر مرة تعرضت فيها لمشكلة؟ ماذا فعلت؟ هناك مجموعة من الخطوات تساعدك في مواجهة المشكلات وحلها. فكر في هذه الخطوات وحاول تطبيقها على أول مشكلة تواجهك. وقبل كل شيء يجب أن تكون على الدوام مستعداً نفسياً لمواجهة المشكلات وحلها. فالاستعداد النفسي يشحن النفس بالحماس ويجعل روحك المعنوية عالية وعزيمتك قوية. إذا كنت قادراً على التنبؤ بالمشكلات قبل أن تقع فهذا أمر عظيم حيث يمكنك عمل الاحتياطات وتقديم البدائل والحلول السريعة المناسبة. والواقع أن التفكير في المشكلات قبل أن تقع يمثل نصف الحل للكثير منها. وكما تقول الحكمة «درهم وقاية خير من قنطار علاج». تذكر أن المشكلات التي تواجهنا جزء من أقدار الله سبحانه وتعالى. وهي على نوعين، بعض هذه المشكلات أعطانا الله سبحانه وتعالى القدرة على التصرف إزاءها. النوع الثاني نقف أمامه وليس لنا سوى التسليم الكامل بقضاء الله وقدره والتسلح بالدعاء. إذا واجهتك مشكلة ما فحدد نوعها هل هي من النوع الأول أم النوع الثاني؟ فكل نوع له أسلوبه في المواجهة. وقد تجد أن النوع الثاني أيضاً، حتى قبل وقوعه، يمكن أن تتقيه. ألم تسمع بحديث الرسول صلى الله عليه وسلم «لا يرد القدر إلا الدعاء» (المستدرك ٤٩٣/١ وصححه الألباني ١٥٤). وحتى الأمراض المستعصية والابتلاءات الخطيرة نعوذ بالله منها أيضاً لها حلولها. يقول الرسول صلى الله عليه وسلم «ما أنزل الله داء إلا أنزل له شفاء» (البخاري في الطب ٥٦٧٨). وقال صلى الله عليه وسلم «إن الله لم ينزل داء إلا أنزل له الشفاء إلا داء واحداً» قالوا يا رسول الله ما هو؟ قال: «الهرم» (مسلم في السلام، ٦٩/٢٢٠٤ وأحمد ٣٣٥/٢). وقد أفاض ابن القيم الجوزية رحمه الله في هذا الأمر وقال كلاماً جميلاً منه: «وهذا يعم أدواء القلب والروح والبدن وأدويتها. وقد جعل النبي صلى الله عليه وسلم الجهل داء وجعل دواءه سؤال العلماء». وهذا الاستعداد النفسي والثقة الكاملة بالله سبحانه وتعالى وإخلاص الدعاء له سبحانه وتعالى أسلوب ناجح وفعال في مواجهة المشكلات على جميع المستويات. وبعد أن تتسلح بهذا الاستعداد طبق الخطوات التالية:

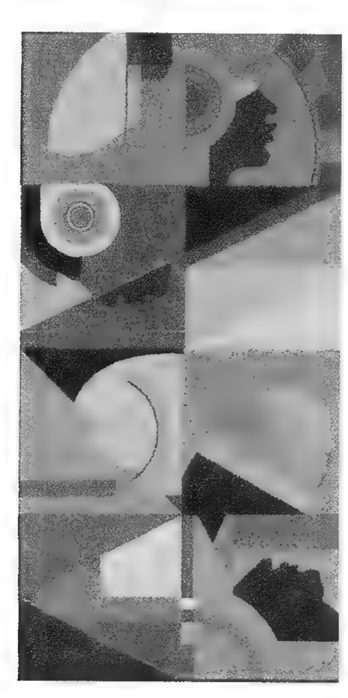

١- استعن بالله وواجه المشكلة. عندما تقع المشكلة لا تهملها أو تتغافل عنها أو تنساها قبل أن تواجهها. نعم هناك بعض المشاكل أفضل طريق لحلها هو إهمالها أو التغافل عنها، والزمن كفيل إن شاء الله بحلها. ولكن لا تأخذ هذا القرار قبل أن تبدأ المواجهة. إن عدم مواجهة المشكلات يولد الكثير من الظروف الصعبة في حياة الإنسان. فعلى سبيل المثال قد تتعرض لمشكلة صغيرة فتواجهها وتجد الحل الملائم لها وتتخلص منها سريعاً، وقد تهمل هذه المشكلة فتكبر وتتعقد وتستعصي على الحل، وقد تكون نتائجها خطيرة على حياتك. إن الفشل

في مواجهة المشكلات ينتج عنه في العادة الحسرة والندم، ويسلب الشخصية الإنسانية القدرة على الفعل والتحكم في الظروف. ومن ثم كيف تحقق أهدافك وتتابع خططك إذا لم يكن لديك الثقة في نفسك لمواجهة المشكلات ومعالجتها أولاً بأول؟ حذار أن تجعل المشكلة تسيطر على حياتك وتسبب لك الإزعاج المستمر. بعض الناس يجد متعة في استدرار عطف الآخرين والحديث عن مشاكله بدون أن يوجد لها الحلول المناسبة. إن المشاكل في حياة الإنسان تأتي وتذهب، واجه المشكلات ولا تجعلها تستمر معك، اطردها إلى غير رجعة.

٢- حدد المشكلة. وهذه خطوة مهمة للغاية لأن معرفة المشكلة، كما يقال، هو نصف حلها. والواقع أن الطريقة التي نعالج بها المشكلة تعتمد على هذه الخطوة. فقد تجد على سبيل المثال بعد أن تحدد مشكلة ما أنها لا تستحق ما قد يبذل فيها من جهد وتفكير. والغريب أن بعض المشاكل عندما نبدأ نفكر فيها ونحددها ونوضح معالمها نجد أنها ليست مشاكل على الإطلاق، وقد تتداخل مشكلات صغيرة مع بعضها البعض، فيبدو أن هناك مشكلة كبيرة، وقد نبالغ في بعض المواقف الشخصية فنتوهم أن هناك مشكلة والواقع أنه لا وجود لها أو نتساهل فنعتقد أن ليس هناك مشكلة وواقع الأمر أنها مشكلة كبيرة. إن تحديد المشكلة خطوة مهمة في سبيل حلها.

٣- تعرف على أسباب المشكلة. أول شيء للتعرف على الأسباب الرجوع إلى نفسك. ارجع إلى نفسك واسأل: لماذا هذه المشكلة؟ هل لها علاقة بي؟ هل أنا السبب المباشر فيها أم هناك أطراف أخرى؟ عندما يراجع الإنسان نفسه ويصلح بعض جوانبها سيجد أن أسباب كثير من المشكلات سيزول بطريقة عجيبة. وعندما يكون للآخرين علاقة بالأسباب فإن كتابتها وتوضيحها يساعد في حلها بشكل كبير.

٤- تعرف على الحلول الممكنة للمشكلة. لا شك أن تعرفك على الأسباب سيفتح لك مجالاً واسعاً للتأمل والتفكير والوصول إلى حلول معينة. لا تكتف بحل واحد. ضع المزيد من الحلول. وكلما كانت بدائل الحلول لديك أكثر كانت فرصة نجاحك أعظم. ووضع الكثير من الحلول للمشكلة لا يساعدك فقط على اختيار الحل المناسب بل قد يفتق الذهن عن جمع بعض هذه الحلول وربما كلها لمواجهة المشكلة.

٥- اختيار الحل المناسب. من بين هذه الحلول الكثيرة، لابد أنك تميل لواحد منها، أو قد تجد أن هناك إمكانية لجمع مجموعة من الحلول في حل واحد.

٦- ابدأ في تنفيذ الحل المناسب. فلا يكفي بالطبع أن تعرف المشكلة، وتكتشف أسبابها وحلولها، وتختار الحل المناسب. لابد بعد ذلك من مباشرة الفعل وتنفيذ الحل الذي استقررت عليه. لا تتردد في طلب المساعدة. فمن الغباء الاعتقاد بأنك دوماً الوحيد الذي سيعالج المشاكل. ستجد الكثير من الأقرباء والأصدقاء والزملاء والمعارف بل والغرباء على أهبة الاستعداد لمساعدتك في حل بعض مشكلاتك.

٧- قوّم النتائج التي توصلت إليها. بعدما بدأت في تنفيذ الحل ربما قاد ذلك إلى حل المشكلة أو جزء منها، وربما اكتشفت أن الحل الذي اخترته لا يؤدي إلى معالجة المشكلة بالشكل المطلوب. وحينئذ جرب حلاً آخر وهكذا حتى تصل إلى تحقيق أهدافك. وتذكر دوماً أن مواجهة المشاكل وحلولها تعتمد على نوع المشكلة التي أمامنا. بعض هذه المشاكل سيصعب علينا حلها، وكل ما نستطيع فعله هو تخفيف آثارها علينا، وبعضها نضطر إلى التكيف معه، وبعضها يصلح فيها الحسم والقرارات السريعة، والبعض يصلح فيها الإهمال والنسيان، والبعض الآخر الزمن كفيل بحلها وما لنا سوى الصبر. إذاً الأمر يحتاج منك إلى بعض الذكاء والفطنة والحكمة في كيفية المراجعة. المهم أن يكون هدفك في مواجهة المشاكل التي تعترض طريقك ألا تكون هذه المشاكل حجر عثرة في سبيل بلوغك لأهدافك الشخصية وأهدافك في عملك. وإذا استطعت في أي موقف أن تلتف على بعض المشكلات وتحقق أهدافك فهذا هو المطلوب.

هذه هي العادة الرابعة من العادات المهمة للشخصية الناجحة، عادة «الأداء الفعال». ويمكن بناء وتطوير هذه العادة والتمكن منها بواسطة مجموعة من المهارات ومن أهمها: اختيار الوسائل الملائمة والمبادرة والتركيز وعدم التسويف ومواجهة المشكلات وحلها. ■

تذوق
مهلبية
الصافي

مسابقة المعرفة السادسة

مسابقتنا هذه المرة فكرية، نتجول وإياكم في بحر المصطلحات المختصرة لكثير من النظريات والمذاهب المتداولة في الساحة.

نعرض لك موجزاً مختصراً ونسالك ما المعني به؟

سؤالنا موجز . . ولذا الإجابة ستكون كلمة واحدة فقط لكل سؤال.

(المجموعة الثانية)

١- «.............» :

هي جزء من مجتمع كلي، تتميز بإرادة العيش المشترك الخاص لدى أفرادها. وهي تتشكل كجماعة أو مجتمع خاص على قاعدة العرق او اللغة أو الدين أو نمط الحياة الخاص أو الثقافة المختلفة عن ثقافة باقي المجتمع.

٢- «.............» :

هو الممارسة المنهجية أو المنظمة للرعب. ويمكن أن يكون هو أيضاً طريقة لعمل ثوري، لاستثارة حالة عامة من عدم الأمن، بنشر الذعر والخوف في وسط يراد إخضاعه بالقوة.

٣- «.............» :

هو عملية التنظيم العقلاني لبيع السلع في السوق، من أجل تأمين توسع مستمر في انتشار السلعة. ويعتمد على الدراسات النظرية التي تستخلص من الممارسة قوانين تطوير عملية البيع.

٤- «.............» :

هو كل مظهر للتقاليد الشعبية واستمرارها في أزياء وأعياد ورقصات بل وفي أساطير ولهجات عامية.

٥- «.............» :

هيئة تتكون من ثلاثة أشخاص.

برعاية
مجموعة الجريسي

مجموع الجوائز

شروط المسابقة

- المسابقة عبارة عن ثلاث مجموعات ترسل مجتمعة مرة واحدة.
- يجب إرسال الكوبون المصاحب لكل مجموعة.
- آخر موعد لاستقبال الإجابات مجتمعة هو ١٤٢١/٤/٢٠هـ.

مسابقة المعرفة (٦) (المجموعة الثانية)

الإجابات: ١- (   ) ٢- (   )
٣- (   ) ٤- (   )
٥- (   )

الاسم: ....

العنوان: ....

الهاتف: ....

الوطنية
كائن كلامي

(الجزء الثالث)

الوطنية كائن هلامي

«الوطنية».. ذلك الكائن الذي يدعي حبه الجميع.

إن نجحوا.. فدافعهم في النجاح: الوطنية ليس إلا.

وإن أخفقوا.. فعزاؤهم في الخطأ: الوطنية، ليس إلا!

(الوطنية هي المأوى الأخير لكل وغد! الناقد الإنجليزي/ صمويل جونسون) .

«الوطنية» كائن هلامي، لا يُعرف رأسه من ذيله، ولذا فقد لا نستطيع التمييز بين «المواطن» الممسك برأس الوطنية، من المواطن الممسك بذيلها.

والوطنية مصطلح جديد في معجم الرأس العربي، أتى على حين زحمة من المصطلحات التكتلية: القومية- الإقليمية- الوحدة.

نتساءل كثيراً لماذا أصبحت مفردة «الوطنية» معبأة – في القاموس العربي الساخر – بحزمة من المفاهيم المضادة تماماً للقيم الإنسانية النبيلة.. إنها حزمة من المفاهيم الانتهازية !

تأتي «الوطنية» – ضمن الحوار الشعبي – في سياق نعت نماذج من «الخيانة» السياسية أو المالية أو الثقافية، فتستحيل أرضية الوطنية إلى أرض طينية.. موحلة !

فماذا تعني الوطنية، وكيف نُصلّب هلاميتها؟

هل الوطنية هي العَلَم ونشيد العَلَم.

أم أنها مفهوم يعلن مجيئه عبر هذين الرمزين، ثم يتجاوزهما نحو أعماق المفهوم والدلالة والممارسة للوطنية الصرفة.

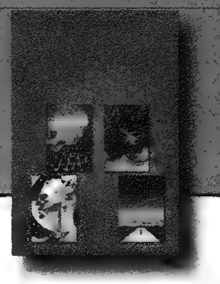

...ي.. أم نحن؟

هل الوطنية ساحة للمزايدة ضد الآخر، واستحواذ المزيد من المكاسب الفردية.

فما عادت الوطنية شعوراً.. بل شعاراً، يرفعه كل من أراد أن يجلب الحَمَام إلى قفصه.. دون أقفاص الآخرين !

أم أنها صدق انتماء وشعور ضاغط بزيادة المكتسبات الجمعية وتقشير البثور عن وجه الوطن؟

هل الوطنية مشروع صهر المجموع في واحد، أم أنها وجه «شوفيني» يلمّع المواطن.. في سبيل ازدراء غير «المواطن»؟

ثم هل الوطنية عند العرب هي ذات المفهوم عند الأمريكان، وعند اليابان، أم أن التفسيرات لها تختلف كما تختلف الممارسة؟

وفي ظل طوفان العولمة، هل ستدرج الوطنية ضمن رفات ما قبل العولمة، أم أنها ستبقى على قيد الحياة، بل وقد تكون هي القشة التي تقصم ظهر العولمة؟

وأخيراً.. فما هو الملاذ الذي ينبغي للأمة العربية والإسلامية الركون إليه لتخرج من ذاتيتها المنشطرة: الوطنية أم الإقليمية أم العولمية أم الأممية؟

* * *

أسئلة هلامية متلاحقة وضعتها «المعرفة» أمام أعين عدد من المفكرين والمثقفين فجاءت إجاباتهم التي نأمل أن لا تكون هي الأخرى هلامية في عيونكم أيها القراء !

«العولمة» و«الوطنية» عند مالك بن نبي:

العالم الإسلامي سيلد.. ولكن بدون «قابلة دولية»!

[illegible]
[illegible]

إن الإسلام دين عالمي بطبيعته، وقد يكون هو الوسيلة الوحيدة لـ «عولمة» العالم أجمع، فهو يوفر المساواة بين الناس قاضياً بذلك على النزعات «الوطنية» و«القبلية» التي حاربها الرسول ص. ويضمن حرية الأفراد بقضائه على الديكتاتورية وتطبيق الشورى. كما يضمن حرية التجارة وحركة السلع والخدمات والأفراد ورأس المال. ويطبق السلام، فيضرب على يد الظالم وينصف المظلوم. أليست هذه أحلام «منظمة التجارة العالمية» و«النظام العالمي الجديد»؟ أليس هذا ما ترنو إليه «العولمة»؟

إن قيام الإسلام بتوحيد الجزيرة العربية ما هو إلا تحول من القبلية إلى العالمية. وقد كانت النزعات القبلية تاريخياً شديدة العداء للإسلام فأوهنته وأضعفته. وتظهر القبلية حالياً بوجه جديد، وجه الوطنية. فانفصلت بنغلاديش بسبب اللغة والعرق على حساب الوحدة الإسلامية، كما تحاول «البوليساريو» الانفصال عن المغرب. وتشيع «الفوقية» في كافة أنحاء العالمين العربي والإسلامي، بحيث لا يمكن في العديد من الأحيان أن يجلس مسلمان في دولتين مختلفتين على مائدة واحدة. إن هذا المفهوم للوطنية هو المفهوم «العلماني» الذي قد يستغل ديناً أو مذهباً معيناً لتنمية الشعور الوطني ومعاداة الشعوب المجاورة.

إنه من الممكن أن تتحقق هذه العولمة طالما أنها صادرة عن «الإسلام» وليست مفروضة عليه. من الممكن أن تتحقق طالما أن «الإسلام» لن يُستخدم كمطية «للعولمة». من الممكن أن تتحقق طالما أن هناك توازناً بين الأشخاص والأشياء والأفكار التي تكون هذا العالم فإذا طغى الشيء غرقنا في المادية، وإذا طغى الشخص غرقنا في العبودية، وإذا طغت الفكرة الخاطئة عم الضلال. هذا ما رمى إليه مالك بن نبي -رحمه الله- في العديد من

* استاذ اقتصاديات الطاقة في جامعة كولورادو

كتاباته، وخصوصاً في كتابي «مشكلة الأفكار في العالم الإسلامي» و«المسلم في عالم الاقتصاد». فهو يرفض «العولمة» الغربية المفروضة على العالم الإسلامي بسبب «الوطنية» الدينية، -إن جاز التعبير- التي تشكل نسيج العالم الإسلامي. هذه الوطنية تمثلها الآية الكريمة «كنتم خير أمة أخرجت للناس».

فالتعارض الآن ليس بين مفهوم «العولمة» المجرد و«الوطنية» الدينية وإنما بين المفهوم الغربي للعولمة المطبق حالياً ومبادئ الإسلام(١) فمالك بن نبي يرى أن سر تخلف العالم الإسلامي هو افتقاره للأفكار وليس للوسائل المادية التي يمكن أن توفرها «العولمة». فأراضي العراق وأندونيسيا من أخصب دول العالم وكلاهما تتمتع بثروات معدنية هائلة ومع ذلك لم تتمكن أي من البلدين من التطور. يقول مالك بن نبي:

«فالمجتمع المتخلف ليس موسوماً حتماً بنقص في الوسائل المادية (الأشياء) وإنما بافتقار الأفكار، يتجلى بصفة خاصة في طريقة استخدامه للوسائل المتوفرة لديه، بقدر متفاوت من الفعالية، وفي عجزه عن إيجاد غيرها، وعلى الأخص في أسلوبه في طرح مشكلاته أو عدم طرحها على الإطلاق، عندما يتخلى عن أي رغبة ولو مترددة بالتصدي لها (٢).

لقد أرست التطورات التي تلت حرب الخليج الثانية مبادئ «النظام العالمي الجديد» فتم إنشاء «الاتحاد الأوروبي» واستخدام «اليورو» كعملة رسمية للدول الأوروبية، كما تم التوقيع على اتفاقية التجارة الحرة لأمريكا الشمالية. إضافة إلى ذلك تم إنشاء منظمة التجارة الدولية في عام ١٩٩٥م لترسيخ قواعد «النظام العالمي الجديد» الذي يوحي اسمه بفكرة «العولمة» و«حرية التجارة». وفي الوقت نفسه قام قادة «النظام العالمي الجديد» بشن عدة حروب باسم «العالم» لحماية النظام الجديد، كما حصل مؤخراً في يوغوسلافيا. كما تم فرض عقوبات اقتصادية على العديد من الدول لعزلها عن «العولمة» مثل ليبيا والسودان والعراق وافغانستان والباكستان وبورما وكوبا وكوريا الشمالية. وقد يكون هذا العزل مبنياً على تصرف هذه الدول «الوطني » والذي لا يتفق مع «العولمة».

ولكن فكرة العولمة لم تلق ترحيباً كبيراً حتى من المؤيدين التقليديين لحرية التجارة الدولية لأسباب عديدة قد يكون أهمها النزعات الوطنية والإقليمية، وبذلك تصطدم العولمة بالوطنية حتى في أشد الدول تأييداً لـ «العولمة». وظهر ذلك واضحاً في الاجتماع الوزاري الثالث الذي عقدته منظمة التجارة العالمية مؤخراً في مدينة سياتل الأمريكية.

كما يعود سبب رفض العديد من الدول لـ «العولمة» وحرية التجارة إلى الطريقة التي قدمت بها فكرة العولمة والتي أثارت حفيظة كثير من السياسيين والمفكرين حيث إنها «علّبت» بحيث يكون الخيار أن تؤخذ كلها أو تترك كلها والتارك خاسر.

وأوحت طريقة «التعليب» هذه أن الدولة ستفقد سيادتها لحساب منظمة دولية مما أثار النزعة الوطنية. كما صورت منظمة التجارة العالمية وسابقتها «الجات» مفاوضات الدول كـ«ساحة حرب» حيث تم استخدام تعابير (حربية) في الاتفاقيات فمثلاً تناقش الاتفاقيات موضوع تخفيض التعرفة الجمركية على أنه «تنازل» مما أشعر بعض البلاد أنها تتنازل عن شيء ثمين كقطعة من أرضها مثلاً، فلا يمكن لبلد ما أن «يتنازل» عن حقه في فرض التعاريف الجمركية حتى «يتنازل» الطرف الآخر، مع أن الخلاف هو حول ضريبة أوجدها نظام معين لا علاقة لها بالسيادة الوطنية، وربما لا علاقة لها بالشعب ولا باختيار هذا الشعب. فهل «نقصت» سيادة تشيلي أو الأرجنتين أو أصابهما «العار» عندما قامتا بإلغاء وتخفيض التعاريف الجمركية من طرف واحد دون «تفاوض» أو «تنازل»؟

وقد أدت هذه المفاهيم المختلفة إلى تناقضات عجيبة خاصة في الولايات المتحدة، أهمها وقوف الجمهوريين المحافظين المؤيدين تاريخياً لحرية التجارة ضد «العولمة» و«منظمة التجارة العالمية» بينما وقف الديموقراطيون «الليبراليون» المشهورون بعدائهم لحرية التجارة مع «العولمة» و«حرية التجارة». ويعود ذلك طبعاً لطريقة تعليب «العولمة» و«منظمة التجارة العالمية» من قبل حكومة الرئيس الأمريكي بيل كلينتون وغيره من زعماء العالم. فقد اقترنت حرية التجارة في ذهن المواطن الأمريكي بـ«تمويل» الدولة

الآسيوية التي انهارت اقتصادياتها وبدفع الديون الأمريكية للأمم المتحدة مع أن هذين الأمرين لا علاقة لهما بحرية التجارة على الإطلاق. إن حرية التجارة تعني حرية التبادل وحرية الاختيار والتحرر من ضرائب الحكومات وقوانين الحكومات التي تحد من هذه الحريات.

وتوضح الكثير من الدراسات العلاقة العكسية بين العولمة والوطنية، ويعتقد البعض أن زيادة العولمة ستزيد من حدة الوطنية. والغريب في الأمر أن فكرة العولمة وحرية التجارة مبنية على المنطق والتفكير المنهجي بينما تقوم الوطنية على عواطف الناس بعيداً عن المنطق والعقلانية. رغم ذلك فإن الأحداث الأخيرة أوضحت تغلغل الوطنية الكبير في الكثير من الشعوب رغم انتشار التجارة والاتصالات والمواصلات وكل وسائل «العولمة».

والوطنية كفهوم سياسي ظهر في القرن التاسع عشر مفاده أن مصالح الأمة ككل تفوق على كل المصالح الأخرى، والإخلاص والوفاء لهذه الأمة مع الشعور بالتفوق على الأمم الأخرى، وغالباً ما يقوّي هذا التاريخ المشترك والدين واللغة ووحدة العرق(٣). وقد تجنح هذه الوطنية لتسبب كوارث إنسانية كالتي سببتها ألمانيا النازية أو الصرب في بوسنيا وكوسفو. وتكون الوطنية في أعلى مستوياتها في الأمم الأكثر جهلاً والناشئة حديثاً. وبذلك نرى أنه ما أن تستقل دولة ما حتى تقوم بالتأميم وفرض حظر على السلع والخدمات من دول معينة وإنشاء العديد من القوانين التي تفرق بين المواطن وغير المواطن، رغم أن التاريخ أثبت فشل التأميم وأكد مساوئ الحظر الاقتصادي وأوضح خطر هذه «العنصرية». كما تقوم بإحياء اللغات واللهجات القديمة وتهتم ببعض الرقصات الشعبية والعادات والتقاليد القديمة لتوضح معالم هذه الوطنية وتميز شعبها عن الشعوب المجاورة.

ومع مرور الزمن، تقوم هذه الدول بتغيير قوانينها وأسلوبها في محاولة لقبولها في المجتمع الدولي ومشاركتها في «العولمة». وقد نرى أحياناً أن الحكومة نفسها التي قامت بالتأميم تسمح بالشركات الأجنبية للعودة وممارسة نشاطها كالمعتاد. إن هذا التطور التاريخي يؤكد شيئين، التعارض بين الوطنية والعولمة من

جهة، وعدم منطقية «الوطنية» من جهة أخرى. ونظراً لوصول المفكرين إلى هذه النتيجة أخذت الحمية بعض المفكرين «الوطنيين» فقالوا بوجود نوعين من الوطنية: الوطنية الحضارية ومثالها الولايات المتحدة والوطنية غير الحضارية ومثالها ألمانيا النازية. ولكن يبدو أن الاثنين سواء من وجهة نظر «العولمة».

وفي الوقت الذي ركز فيه الكثير من المفكرين على التعارض بين «العولمة» و«الوطنية» وأسباب نشوء كل منها، وفي الوقت الذي يركز فيه الاقتصاديون والسياسيون على الفوائد الكبيرة التي تجنيها الدول من التجارة في السلع والخدمات أوضح مالك بن نبي الموقف المتميز للعالم الإسلامي من «العولمة» و«الوطنية». فهو بلا شك من دعاة العولمة «المشروطة» ويتضح ذلك في تأييده لمؤتمر باندونغ وكتاباته المختلفة حول الحوار الأفروآسيوي.

ففي الوقت الذي ركز فيه المفكرون على حرية تجارة السلع والخدمات كوجه أساسي للعولمة، رأى مالك ابن

نبي الوجه الآخر الذي جعل اليابان والصين من الدول العظمى، بينما مازالت دول العالم الإسلامي ترتع في التخلف شاكرة للدول الأخرى ما تنعم عليها من مخلفات التكنولوجيا

وتتمثل فكرة مالك بن نبي في أن «عولمة» العالم الإسلامي أو أي دولة إسلامية لم تنجح حتى لو تم استيراد الآلات والأموال والخبرات الأجنبية لصنع معجزة اقتصادية. ويعود هذا إلى نوع «خاص» من الوطنية إذا جاز التعبير. هذا النوع «الخاص» يختلف تماماً عما ذكره المفكرون في دراساتهم المختلفة، فهو نوع «متمم» للعولمة وليس ضدها إذا توفرت الشروط المناسبة. وإذا ما تمت هذه العولمة فإن المعجزة الاقتصادية ستحصل تلقائياً.

ويوضح مالك بن نبي آراءه مستخدماً المثال الإندونيسي لما يتوفر فيه من شروط: فإندونيسيا أكبر بلد إسلامي، كثيف السكان، كثير الخيرات، ويتمتع بموقع استراتيجي، ولكنه مصاب بتخلف كبير. وعندما أرادت ألمانيا تكرار المعجزة الاقتصادية التي قامت بها بعد الدمار الشامل الذي لحق بها في الحربين العالميتين الأولى والثانية في إندونيسيا. قامت ألمانيا بتوفير الأموال والتكنولوجيا والخبراء. أليس هذا ما تهدف إليه العولمة؟ أليس هذا ما تهدف إليه منظمة التجارة العالمية» ألا تهدف إلى حرية حركة رؤوس الأموال وحرية الاستثمار؟ ورغم ذلك فشلت التجربة الألمانية في إندونيسيا. ويعلل مالك بن نبي هذا الفشل بقوله «لقد بدأت ألمانيا في التحرك في عام ١٩٤٨ بخمسة وأربعين ماركاً «بعد الدمار الكامل في الحرب العالمية الثانية» وهذا مبلغ تافه في الاستثمار. أما الاستثمار الحقيقي، فقد كان في رأسمال الأفكار، التي هي في رأس كل ألماني، في تصميم الشعب الألماني، وفي الأرض الألمانية التي كانت فقيرة ومحتلة من الآخرين، لكنها السند اللازم لكل نشاط(٤). وطبعاً لم يتوفر هذا السند في أندونيسيا ولم تتلاءم «أفكار» المجتمع الأندونيسي المسلم مع «الأفكار» التي صنعت المعجزة الألمانية

ويؤكد مالك بن نبي على دور الأفكار حيث يقول إن الدولة الإسلامية بنيت أصلاً على فكرة «اقرأ» في غار حراء والتي مزقت ظلام الجاهلية وجاءت بنور لا ينطفئ

وليس وجود الفكرة هو المهم، وإنما الإيمان بها وتناسقها مع محيطها. وبذلك فإن «العولمة» بشكلها الحالي لن تنجح في العالم الإسلامي.

ويرى أن انتشار هذه العولمة سيؤدي إلى انفصام شخصية المسلم والمجتمع المسلم وانتشار الازدواجية في كل مكان بما في ذلك ازدواجية اللغة، حيث تصبح اللغات الأجنبية منافسة للغة العربية في عقر دارها. والمشكلة تصبح أكبر إذا عبرنا عن فكرنا باللغة الأخرى، حيث إنه «يكتسي أحياناً مظهر الجهل الكامل بالثقافة الوطنية، إذا لم يكن خيانة لها».

ويمكن للإسلام أن يقود عملية العولمة وينتفع بما يجري حالياً إذا قام العالم الإسلامي «بتقبل الأفكار وإبداعها وتمثلها، تليها مرحلة تُبلَّغ فيها الأفكار إلى مجتمعات أخرى»، وقد استشف مالك بن نبي ذلك من حديث الرسول ص «مثل ما بعثني الله عز وجل به من الهدى والعالم كمثل الغيث الكثير، أصاب أرضاً فكانت منها بقعة قبلت الماء، فأنبتت الكلأ والعشب الكثير، وكانت منها بقعة أمسكت الماء، فنفع الله عز وجل بها الناس فشربوا منها وسقوا وزرعوا، وكانت منها طائفة قيعان لا تمسك ماء ولا تنبت كلأً» متفق عليه. ويشبه مالك بن نبي الشعوب الإسلامية الآن بالنوع الثالث من الأرض، ولكن عليهم أن يكونوا من النوع الأول.

وبذلك فإن «العولمة» و«منظمة التجارة العالمية» و«البنك الدولي» و«صندوق النقد الدولي» لن يستطيعوا تنمية وتطوير العالم الإسلامي، حتى لو أرادوا ذلك، لأن التاريخ أثبت نجاح الأمم التي «تُولِّد» الأفكار وتلتزم بها. والعالم الإسلامي قد يكون «حاملاً» وستكون ولادته صعبة جداً، ولكنها ستتم بنجاح دون «قابلة دولية»! ■

الهوامش:

(١) إرنست جلنر، أحد أشهر المفكرين في موضوع الوطنية ونشأة الأمم، أفرد بحثين كاملين في كتابه (Nationalism) عن «الوطنية الإسلامية» و«الأصول الإسلامية»

(٢) مشكلة الأفكار في العالم الإسلامي، ص ٣٦

(٣) انظر مثلاً (Nationalism) لمؤلفه أنتوني سميث

(٤) مشكلة الأفكار في العالم الإسلامي، ص ١١٦.

الفضاء الكوني ليس بديلاً للعالم الحقيقي:

الإنترنت لن يضعف الوطنية

[illegible]
الولايات المتحدة الأمريكية

الوطنية وبناء الوطن وتأسيس الهوية الوطنية كانت قوى دولية وأساسية في القرن الماضي، وتمثل الشكل الحقيقي المؤسساتي الجديد والوحيد لهذه القوى في المنظمات الدولية التي تميزت عن السابق بكون الدول هي أعضاء المنظمة، وبلغ ذلك ذروته في الأمم المتحدة وإن كان قد ظهر ذلك أيضاً في منظمات دولية متخصصة للعمال والاقتصاد والثقافة والغذاء والزراعة.

أدى انهيار الإمبراطوريات بدءاً بالعثمانيين في أول هذا القرن إلى البريطانية والفرنسية في منتصف القرن وانتهاء بالاتحاد السوفيتي في آخره إلى تضاعف عدد الدول وإقرار «الدولة» على أنه الشكل القانوني الوحيد للوجود. وإذا كانت هذه قصة القرن العشرين، فالكثيرون الآن يرون أن الانعكاس الكامل لهذه المسيرة هي قصة المستقبل، وأن تكنولوجيا الاتصالات ستكون المحرك الذي سيأتي كبديل لتأثير الثورة الصناعية.

في اللحظة نفسها التي تصل فيها «الدولة / الأمة» إلى أعظم نجاحاتها المؤسساتية والثقافية، تعاني «الدولة» بشكلها الحديث مشكلات تزيد عما عانته خلال القرنين الماضيين. عالم اليوم يسير بسرعة نحو ما سماه أحد مهندسيه «والتر ريستون» الرئيس السابق لشركة «سيتي كورب» بـ«انحطاط السيادة الوطنية». إن الزمن والمسافة يتأثران اليوم بانتشار تكنولوجيا الاتصالات في مختلف مجالات الحياة من الاقتصاد الدولي إلى التجارة الإقليمية، من التعليم إلى الترفيه، في كل من الثقافة الجماهيرية العامة والثقافة المتخصصة، من تجارة السندات إلى العلم الديني.ريستون رأى العولمة من وجهة نظر اقتصادية تمتد من التمويل إلى التجارة إلى الاقتصاد السياسي.

ولكن الكثير من العلماء السياسيين يتشككون في الأفكار المغالية حول تأثير ثورة الاتصالات، الدولة لم تمت بعد كما أن «الأمة» ليست حقيقة مطلقة. الأمم والدول مازالت عوامل مهمة في الحياة حول العالم مع تنافس الناس لتحديد الدول لتوجيهها. بل لعله من الممكن القول

* رئيس مشروع المعلوماتية العربية بمركز الدراسات العربية المعاصرة في جامعة جورج تاون الأمريكية

أن هناك أشكالاً سياسية أقل الآن مما كانت عليه الأمور قبل قرن من الزمن، حتى المجموعات الدينية بدأت تسيطر عليها الرغبة بتمثيل نفسها على شكل دول- كما يبدو ذلك واضحاً في أحد أحدث الأمثلة في الحزب الهندوسي الحاكم في الهند- ومن خلال المؤسسات التي تصل بها لذلك كما لم يمكن ذلك حادثاً من قبل.

من جهة أخرى، عملية تحديد الهوية الوطنية وتوجيه الدولة انتقلت إلى الأثير في فترة نشوء الجيل الماضي، والآن تنتقل هذه العملية إلى الإنترنت حيث يعاد تشكيل الهوية وتوجيه الدولة من خلال تكنولوجيا المعلومات الأكثر حداثة. بالنسبة للجيل السابق، كان التلفزيون والإعلام الجماهيري، الآن الإنترنت هو رمز تكنولوجيا الاتصال، ويتمثل الإنترنت في كونه شبكة عالمية للمعلومات ووسيلة اتصال فتنت الصحفيين والأكاديميين وبدأوا يستخدمونها لتوسيع مجموعاتهم المتخصصة. على الصعيد الاجتماعي، إن لم يكن التكنولوجي، الإنترنت جاءت إلى الدول النامية لتصاحب البث الفضائي والهواتف الجوالة ليصبحوا جميعاً قنوات مفتوحة للاتصال، وأيضاً للمشاركة في الساحات العامة التي صنعتها الوسائل الجديدة وتتمدد بشكل مستمر.

كما تبين حديثاً في الدراسة التي حررتها بالاشتراك مع دليل إيكيلمان بعنوان «الوسائل الجديدة في العالم الإسلامي» والتي نشرت في كتاب صدر العام الماضي عن جامعة إنديانا، هذه التكنولوجيات لها تأثيران يكمل بعضهما بعضاً. الأول هو الفرصة التي تتسع تدريجياً للمزيد من الناس للمشاركة في الإعلام الجماهيري ابتداء من المجالات الاقتصادية إلى الثقافية. الأثر الآخر هو توسع فرص المشاركة خارج حدود الزمن والمساحة التي كانت موجودة سابقاً. على سبيل المثال، الهواتف الجوالة التي تنتشر بسرعة في الدول العربية ليست فقط وسيلة لمتابعة الأمور المتعلقة بالعمل، بل أيضاً وسيلة للحفاظ على الاتصال الدائم بالأسرة والأصدقاء عندما يكون الأفراد خارج البيت. البث الفضائي فتح الكثير من الخيارات، كما لم يكن متاحاً من قبل، أمام مساحات الثقافة العربية من خلال التلفزيون بما يعكس تنوع المجتمع العربي بعد أن كانت هذه المساحة مغلقة بسبب

احتكار البث التلفزيوني

بالطريقة نفسها يوسع الإنترنت مجال المشاركة في كل شيء يلامسه، منذ عدة سنوات وحتى الآن، قامت مجموعة حيوية، وإن كانت في تغير دائماً، من الطلاب والمتخصصين الفلسطينيين بنقل النقاش حول التحديات التي تواجه بناء الأمة الفلسطينية إلى الإنترنت، وبينما لاتزال المعارضة السياسية على الإنترنت جذابة للانتباه، فإن هناك أوجهاً وجهوداً أكثر انتشاراً بكثير تتمثل في محاولة استعمال الإنترنت لتخيل وإعادة تخيل العالم العربي البديل. بعض هذه الجهود أدبية وبعضها ثقافية، بعضها مرتبط بالماضي وبعضها يتخيل المستقبل. هذه الجهود تأتي لمحاولة إجابة عن السؤال «من وما هو العربي؟».

تعدد وتخصص الإجابات عن هذا السؤال تعكس إمكانات التكنولوجيا التي أوجدت جمهوراً أكبر وأكثر مشاركة «ماهو العربي؟» و«من هو العربي؟» تصبح لها أهمية جديدة مع فرصة أكبر متعددة الأشكال مع وجود كل أنواع تكنولوجيا الاتصالات. في الإعلام الجماهيري وجمهوره الواسع، هناك أصوات قليلة محددة مسبقاً وتحمل مؤهلات معينة تستطيع استخدام منبر الإعلام لتتحدث للجمهور الواسع. وهؤلاء كانوا في العادة يتحدثون عن الأمة وهوية الأمة بمصطلحات فردية. اليوم عدد الناس الذين يستطيعون المشاركة من خلال تكنولوجيا الاتصال الحديثة أكثر بكثير من الناس الذين كانوا يستطيعون المشاركة من خلال البث التقليدي أو الطباعة، وذلك لأن المهارات المطلوبة لمرسل الرسالة على الإنترنت لا تزيد كثيراً على تلك المهارات التي يحتاج إليها مستقبل الرسالة.

هذا صنع على ما يبدو أزمة مفاجئة في تحديد المؤهلات التي تجعل الشخص مرسلاً للرسالة، ولكنها أزمة فقط إذا قورنت الأمور بما كانت عليه من قبل حين كان الحكم لمن يراهم الإعلام الجماهيري- الذي لا يزيد عمره في العالم العربي على قرن من الزمان- أصحاب مؤهلات. إنه ليس أمراً جديداً أن تبحث أو توجد مجموعات لاستقبال نوع معين من الرسائل الإعلامية، ولكن الجديد هو المسافات التي يمكن للرسالة الإعلامية

اختراقها حالياً وكسر حواجز الزمن والمكان التي تأسر الناس العاديين.

هذا قد لا يبدو وكأنه «عولمة»، ولكن الديناميكية الاجتماعية للامتداد في المكان واختصار الزمن التي تمثل قاعدة لها هي نفسها قاعدة «العولمة» هذه الديناميكية جعلت من الممكن، على سبيل المثال، مشاركة فلسطينيي المهجر في مشروع بناء الدولة.

الإنترنت بما لها من ميزات الارتباط برغبات مستقبل الرسالة وفتح باب المشاركة للجمهور جعل من الممكن، كما لم يكن ممكناً من قبل، إدخال هؤلاء الذين يعيشون وراء البحار، كما جعل من الممكن لأولئك المغتربين أن يؤكدوا حقهم في أن يكونوا جزءاً من الإطار. من الطريف، أن هذه التكنولوجيا نفسها التي يخاف الكثيرون منها على أنها ستسبب ضعف الثقافة ستجعل العكس تماماً ممكناً، حين تفتح الباب لإثراء ثقافي يعمل على اتجاهين بين المنفى والوطن من خلال وسائل المشاركة التي هي بالضرورة ثنائية الاتجاه.

الدراسات التي بدئت في مشروع المعلوماتية العربية في جامعة جورج تاون تشير إلى أن العولمة في فلك المعلومات لا تؤدي إلى عكس اتجاه بعض التيارات المرتبطة بمرحلة تنامي الوطنية. عالم الإنترنت يسمح بالعلاقات العابرة للحدود والمتعددة كما يسمح بتمدد الثقافات ولكن أول ما يتمدد هو الثقافة الوطنية نفسها، وهذا يشمل الثقافات، العربية ومشروعات بناء الأمم والحلم الوطني أيضاً. من المحتمل أن تنمو حياة جديدة لهذه المشروعات التي بمساعدة الإنترنت تضم أناساً جدداً، أو على الأقل توسع دائرة النقاش العام، إن المثال الدراماتيكي والمتطرف في مخاطبة الجمهور الدولي لن يتمثل فقط في السياسة المعارضة التي تنتقل لعالم الإنترنت بحثاً عن ساحات دولية، بل أيضاً يتمثل في تلك الأصوات التي لا تخاطب الجمهور الدولي.

وبناء على ذلك، فأثر الإنترنت لن يكون إضعاف الوطنية، على الأقل على المدى القصير، بل تأكيدها وتقديم نوافذ جديدة لها وفتح فرص جديدة لمتابعتها، وفوق كل ذلك جماهير جديدة أو إضافية لتشارك في نقاشها.

ويلاحظ هنا أن القلق العام من كون تكنولوجيا المعلومات الجديدة كالإنترنت تسبب التفرق والتعددية المتطرفة يقيس في الأساس على نموذج الإعلام الجماهيري التقليدي الذي يقرن تفوق الجماهير بالبيروكيالية (الارتباط بفكرة ضيقة محددة) الثقافية والعرقية. بالنسبة للبعض يبدو مشروع الوطنية وكأن هناك من يهدمه بمشاركة المزيد من الناس في تحديده. بعض الراديكاليين يتنبأ بـ «مابعد الوطنية» حيث مجموعات المصالح الخاصة ستأتي كبديل لهوية يندمج تحت مظلتها مجموعات أكبر من الناس مثل «الدولة». ولكن ربما هذه المجموعات للمصالح الخاصة هي «خاصة» بالفعل، وبعيداً عن فئة صغيرة جداً من المتحمسين، الفضاء الإلكتروني لن يأتي كبديل للعالم الحقيقي.

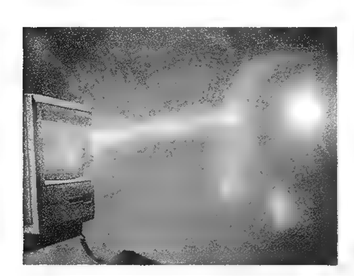

لو كان الإنترنت مكاناً فإنه سيكون -مثل أي مكان آخر- مكاناً يستحضر الناس فيه قيمهم ومصالحهم، وبين أول هذه القيم والمصالح حتى الآن هو تجميع أبناء الأمة والدين الواحد، مع ذلك، هذه تكنولوجيا جديدة، وجزء من تاريخ تكنولوجيا المعلومات حديثة النشوء خلال القرن الماضي. في الشرق الأوسط العربي كان تقديم ساحات جديدة حيث يتم مناقشة قضايا الهوية العربية، بدأ ذلك من خلال الصحافة في أول هذا القرن ومن خلال الإعلام الجماهيري في منتصف القرن، حالياً، هناك فرصة جديدة، وقد يمكن للشخص أن يتنبأ بجزء من رد الفعل لهذه الفرصة بأنه سيكون قومية عربية جديدة أو مجددة. في أي فلك هذا سيحصل قد يكون أمراً يستحق الانتظار. ■

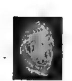

جعلت الوطنية موضع خلاف لا وسيلة توحيد:

التباسات الوعي تشل الإرادة

بقلم: الفضل شلق *
لبنان

إن الوطنية انتماء والتزام، لكن الوضوح في تحديد ماهية الوطنية يقف هنا، إذ يتشوش الوعي العربي بسبب تداخل وتشابك مفهومي الوطن والأمة وبسبب تناقضهما أحياناً. فالعربي ينتمي إلى وطن وإلى أمة ويلتزم بهما، في آن معاً، رغم تناقض المفهومين أحياناً. والمقصود بالوطن هو الأرض الإقليمية التي تحكمها دولة معينة، أما الأمة فأهم مكوناتها هي الثقافة كمعطى تاريخي وكمشروع مستقبلي.

لا تُحَلّ إشكالية الوطن بتحديد الأرض وترسيم الحدود، علماً بأنه لا يكاد يوجد قطران عربيان متجاوران دون مشكلة ترسيم الحدود بينهما. وما أن توجد الدولة القطرية حتى تبادر للسعي إلى إعادة تشكيل ثقافة رعاياها بما يتناسب متطلبات وجودها ومصالح حكامها، فتنشأ ثقافة قطرية تتنافس مع الثقافة القومية، أي مع ثقافة الأمة، على احتلال حيز ذهني واحد؛ وكثيراً ما ينشأ التعارض والتناقض بين ثقافة التعبئة القطرية وبين ثقافة الأمة. يضاف إلى ذلك أن الثقافة، بشكل عام ليست معطى محدداً ثابتاً يمكن قياسه أو تقنينه.

فهي وإن تكونت من عناصر محددة، إلا أنها تتغير بتغير العلاقات بين هذه العناصر التكوينية. والتغير الدائم في هذه العلاقات يستتبع أيضاً تنوع الأهواء والمشاريع السياسية والمصالح الآنية والرؤى المستقبلية.

ينتمي العربي إلى وطنين أحدهما قطري والآخر عربي، في آن معاً. وهما يختلفان في الحدود كما في المعنى. والوطن بمعناه القطري (على سبيل الإجمال) يمثل في الوعي العربي حيزاً محلياً ضيق الأفق؛ أما الوطن العربي فهو حيز رحب وأسع الأفق؛ الأول واقعي متحقق متعين، أما الثاني فهو حقيقة متوقعة لكنها ماتزال وهمية؛ الأول قد يتآكل تحت وطأة الإثنيات والطوائف والأنظمة القطرية، والثاني يوحي بالوحدة والاندماج.

إن الوطن مشروع تصنعه الدولة، بمعنى أنه لا يوجد الوطن، متحدداً متعيناً، قبل أن توجد الدولة. فالدولة ككيان سياسي، كسلطة مهيمنة، هي شرط وجود الوطن؛ إذ بمقدار ما تمتد هيمنة الدولة ترسم حدود الوطن، ومتى استقر الوطن في إطار الدولة، تنشأ أو تنمو القومية التي تعني الانتماء إلى الوطن وثقافته، وتظهر الدولة القومية. فالدولة القومية تختلف عن الإمبراطورية في أن الأولى قد حققت الاندماج بين مختلف الجماعات التي تتشكل منها،

* رئيس تحرير جريدة «المستقبل» اللبنانية

أو هي في طريقها إلى تحقيق ذلك، أما الإمبراطورية فهي تعترف بالجماعات الدينية أو الأثنية ككيانات ثابتة ولا تسعى إلى إدماجها.

والمفارقة عند العرب هي أن الدولة القومية لم تتحقق إلا على صعيد الدولة القطرية؛ لكن هذا التحقق يبقى وهمياً لأن الدولة القطرية أقل اندماجاً من الدولة القومية فيما لو تحققت على صعيد الأمة بمجملها. والسبب في ذلك هو أن الدولة القطرية لا تستطيع تبرير نفسها ووجودها إلا بالرجوع إلى الثقافة والتاريخ قبل الإسلام، الأمر الذي يقود إلى مزيد من الانقسام والتفتت لا إلى الاندماج والتوحد. فالدولة القطرية، بحكم وجودها، لا بسبب نظامها السياسي وحسب، هي مشروع حرب أهلية دائمة.

ولا غرابة في ذلك، لأن في الدولة القطرية نزوعاً دائماً وطبيعياً نحو المحلي والريفي المتعزل الساذج، أما الدولة القومية المتحققة على مساحة الأمة فهي المشروع الذي يصل بما هو كوني وعالمي. وما يوحد شعباً من الشعوب هو المفاهيم الكونية لا المحلية. والأمة العربية لن تستطيع أن تحقق نفسها بإضافة قطر أو أقطار إلى أخرى، بل كمشروع كوني ومتجدد في آن معاً. والأمة العربية نفسها تشكلت بعد الفتوحات بفعل المشروع الإسلامي ذي النزوع الكوني.

لكن الأمة ليست تجلياً لفكرة أو قدراً محتوماً بل هي تاريخ مترابط الحلقات متجدد منبعث من عواطف الناس ووجدانهم وكل ذلك يجعل من الأمة مشروعاً يتحقق بقدر ما يرتبط بوعي سياسي من نوع معين، وتبقى وهماً ما لم يوجد المشروع السياسي. والمشروع السياسي هو الذي يصنع التاريخ ولا يتلقاه وحسب؛ هو الذي يحول الموضوع إلى ذات فاعلة. المشروع السياسي هو الناس، الشعب، المجتمع، في تحقق وعيهم وإرادتهم. فالأمة إرادة فاعلة هي مشروع يصنعه الناس، لا ينتظرون أن يأتي به الغيب.

حتى نهاية السلطنة العثمانية ما كان العرب، في معظمهم، يسعون للانفصال عنها، بل كان الرأي السائد لديهم هو البقاء في إطارها على أن تكون دولة لا مركزية. وقد كانوا يحسبون أن نزوعهم الوحدوي يتحقق في إطارها. لكن زوال الدولة العثمانية استُتبع بتقسيم المنطقة العربية إلى دول قطرية وباستتباع كل من هذه الأقطار لإحدى الدول الأوروبية. وكانت هذه العملية قد بدأت بوادرها قبل زوال السلطنة العثمانية النهائي، في أعقاب الحرب العالمية الأولى. ولم يكن التقسيم والاستتباع مجرد مؤامرة غربية، بل استند إلى بعض من التاريخ وتأبد بفعل مصالح فئوية مهيمنة. ومنذ ذلك الحين، حتى يومنا هذا، فشل العرب في تحقيق وحدتهم القومية، رغم النزوع الدائم نحوها.

لكن الفشل في تحقيق الوحدة القومية لا يعني أن الأقطار تستطيع أن تحافظ على وحدتها القطرية أو أن تحقق انسجاماً داخلياً يقيها التفتت والحرب الأهلية، بل إن وحدة كل قطر عربي ترتبط لا بقطريته بل بنزوعه الوحدوي، شرط ألا يتحول النزوع الوحدوي إلى إيديولوجيا استهلاكية لمصلحة فريق ضد آخر.

والفشل في تحقيق الوحدة القومية هو من ناحية أخرى ليس نتيجة ضعف الانتماء والالتزام عند العربي بقدر ما هو حصيلة تشوش مفاهيم الوطن والأمة والثقافة والدولة القطرية... إلخ فهي تتداخل وتتشابك، بحيث يتراخى تأثيرها فتصبح وسيلة تعبئة لصالح المؤسسات القطرية بدل أن تشكل مشروعاً سياسياً يفرض نفسه على المؤسسات وعلى الفئات المحيطة بهم لصالح الأمة والمجتمع.

ولا يوجد مفهوم يؤدي إلى نتائج خاطئة بل كارثية أكثر من مفهوم الهوية. يؤخذ هذا المفهوم على أن هناك جوهراً ثقافياً وموروثاً ثابتاً هو الذي يحدد الهوية التي يوصف بها انتماؤنا الوطني والتي بدونها نعتبر خارجين على المجتمع متنكرين له. والهوية بهذا المفهوم معطى موغل القدم يتشكل من بعض الرموز والطقوس؛ أما الانتماء الوطني الذي تحدده هذه الهوية فهو أشبه بالغريزة البيولوجية. والبيولوجي هنا مرتبة دون الإنساني لا دون السياسي وحسب. وبذلك يتحول الانتماء إلى معطى مفروض، وتصير الوطنية رابطة قرابة أكثر مما هي رابطة سياسية (وفي لبنان خلال السنوات الماضية صاروا يتحدثون عن «أهلنا» لا عن «شعبنا»، وذلك بمقدار ما أدت الظروف إلى نزع ومسخ الحياة السياسية).

عندما نضع الهوية أو الوطنية والانتماء خارج التاريخ فإننا نخرجهما من السياسية فلا تعود إرادة فعل ذاتي هادف في إطار مشروع تاريخي، وتقتصر على أن تكون

موضوعاً سلبياً معطى يتلاعب به الجميع فيستخدمه الأقوى ليفرض نفسه على الآخرين (والآخرون هنا العرب جماعة وأفراداً). وفي هذه الحال لا تشكل الهوية مصدر قوى للعرب بل تصبح نقطة ضعف يستخدمها الآخرون.

عندما تخرج الهوية من السياسة ومن التاريخ تصير مجموعة من الرموز والطقوس التي يتكتل حولها العرب ليحافظوا عليها ويصونوها من الضياع. ويظنون أنهم بذلك يدافعون عن أنفسهم كأمة لمنعها من الانهيار والاندثار. لكنهم في الحقيقة يتقوقعون حول أنفسهم وينعزلون عن العالم ويمتنعون عن الخوض فيه، وتسيطر عليهم أجواء الرهبة من العالم ومن تقنياته الحديثة ومن منجزاته العلمية والثقافية، فيكتفون بما هم فيه ويستدام تخلفهم، إذ لا يستطيع شعب أن يقف مكانه وسط عالم يتقدم باستمرار.

إن على الوطنية، بمعنى الانتماء والالتزام بمجتمع وأمـه، أن تخرج من إشكالية الهوية، ولا يتم ذلك إلا بتجاوز الانغلاق على الموروث الثقافي إلى صياغة المشروع السياسي ذي النزوع الكوني، وبالخروج من الماضي إلى التاريخ. دون ذلك، ستبقى موضوعاً يصنعه الغير ونعجز عن التحول إلى ذات فاعلة تصنع المصير.

لاشك أن هذا التوجه محفوف بالصعاب؛ لكن مصدر الصعوبة ليس بالدرجة الأولى الظروف الموضوعية مثل التجزئة والتأخر والتبعية... إلخ، وهي ظروف صعبة بل هو التباسات الوعي الذي يشل الإرادة. وما يشوش الوعي العربي ليس نقص الانتماء أو تراخي الالتزام بل هو التباس المفاهيم الناجم عن قصور نظري.

في المرحلة الأخيرة التي استمرت عقوداً من السنين، وربما منذ نكبة فلسطين حتى اليوم، أعطينا نحن العرب الأولوية للممارسة على النظرية فانهزمنا. وكانت الهزيمة قاسية إذ شملت النواحي العسكرية والسياسية والاقتصادية. والهزيمة لم يلحقها بنا الآخرون لأنهم الأقوى، بل صنعناها نحن عندما اعتبرنا أن المسائل النظرية محلولة، وأن ما نملكه من تراث وماض مجيد يكفيان وحدهما لإنارة الطريق أمامنا. لكننا كنا نتلمس طريقنا في الظلام، ظلام التصور النظري؛ فكانت خياراتنا خاطئة، وربما كان الأكثر خطأ بين هذه الخيارات أننا

اعتبرنا جوهر القضية العربية مسألة فلسطين في حين أنه كان يجب أن يكون تحقيق الوحدة العربية. وبعد خمسين عاماً نكتشف أننا خسرنا الاثنين.

ولم نخسر فلسطين وقضية الوحدة وحسب، بل خسرنا المعركة على الجبهة الاقتصادية، إذ إن إنتاجنا اليوم (بما فيه النفط) لا يشكل سوى نسبة ٢,٢٥٪ من إنتاج العالم في حين أننا نحتل ١٠٪ من مساحة العالم و٥٪ من سكان العالم؛ فنحن لا ننتج ما يكفي شعوبنا، لا في الزراعة ولا في الصناعة ولا في قطاع الخدمات. فقد فصلنا الاقتصاد عن السياسة وأعطينا الأولوية للسياسة، ظناً منا أن السياسة قضية حق، وأنها يمكن أن تكون ناجعة دون تعبئة تشمل شتى النواحي الاقتصادية والاجتماعية. وكان ذلك أيضاً خياراً خاطئاً.

نحن الآن على أعتاب مرحلة جديدة، يكون علينا منها أن نعيد حساباتنا من أجل وضوح نظري يحدد الأهداف الممكنة التحقيق على أساسه. ليست المهمة سهلة، لكن التصدي لها هو الخطوة الأولى الضرورية من أجل الخروج من حالة التمزق الفكري والنفسي التي نغرق فيها، والتي جعلت من الوطنية موضع خلاف لا وسيلة توحيد. ■

لتوليد المشاعر الوطنية لابد من امتلاكها:

ثقافية جديدة نحو العدل

بقلم: عبدالكريم بكار *
المملكة العربية السعودية

مفهوم **الوطن أكبر المفاهيم التي تتغلغل في طبقات وجودنا غير الواعي. ويبدو أنه راسخ في التراث الجيني للبشرية، كما أنه كذلك بالنسبة إلى الحيوان.**

المجال الحيوي الذي يرسمه كل واحد منا لنفسه، يعمق مفهوم (الوطن) واقتحام ذلك المجال يثير فينا مشاعر عدوانية لا يثيرها أي تصرف آخر. الأعلام والرايات التي ترفعها الدول فوق أراضيها تحمل معنى الاختصاص بمكان والتمسك به والذود عنه. وللمكان عبقريته الفذة القادرة على توليد ما لا يحصى من المشاعر والمفاهيم والخلفيات المشتركة بين كل أولئك الذين يقطنون فيه، ومنها جميعاً تتشكل معاني (المواطنة) على نحو مبهم وغير مرئي.

ولعلي أقف مع مسألة الوطنية الوقفات التالية:

١- الوطنية ذلك المعنى النبيل شيء أسمى من الحضور في مكان والانتماء إليه، إنها كيان معنوي يبنيها الأفراد الصالحون من خلال التضحيات التي يقدمونها من أجل صلاح المجموع وسلامتهم وكرامتهم. وهذه التضحيات تتعاظم لتبلغ حد التضحية بالحياة نفسها؛ ولذا فإن (الشهيد) يمثل رأس الهرم في البناء الوطني، ولن يكون المواطن صالحاً إلا إذا حمل بين جوانحه معنى من معاني الشهادة، التي تمثل قمة العطاء غير المحدود، وغير المشروط. والذين لا توحي إليهم (الوطنية) بمعنى من هذا القبيل يشكلون عبئاً على أوطانهم.

٢- حب الوطن والساكنين فيه ومناصرتهم؛ غريزة لدى الإنسان، يندفع للعمل بمقتضاها دون وعي منه؛ لكن من الثابت أيضاً أن اجتماع الناس بعضهم مع بعض، يولد في حد ذاته توترات كثيرة بسبب ضعف المفاهيم الجامعة وتصادم المصالح وانتهاك الفضاءات الخاصة. وهذا يعني أن على أبناء كل وطن أن يبحثوا عن صيغة للتعايش إذا ما أرادوا تحقيق درجة من التقدم الحضاري. وهذه الصيغة لايمكن لها أن تنشأ من غير توفير الحد الأدنى من القيم المشتركة والفهم المتبادل. وهذا من جهته يتطلب أن ننمي في العقلية الجماعية رؤية واضحة لمعطيات الواقع وآفاق المستقبل. إن ما لدينا من غرائز ودوافع فطرية، يظل كافياً لتوجيه وتنظيم أوضاعنا البدائية، مما هو على شاكلة النمو والتكاثر والحد الأدنى من البقاء؛ لكن الإنسان الذي كرمه الله تعالى - وجعل منه خليفة ومتعه بالخيال والطموح والإرادة الحرة - لا يستطيع أن يحيا بكامل خصائصه،

* أستاذ بجامعة الملك خالد - أبها

كما لا يستطيع توفير كل حاجاته إذا ما خضع للدوافع الغريزية، بل عليه دائماً أن يتخذ قرارات صعبة وشاقة، ومن تلك القرارات تنبثق إنسانيته، حيث تنشط دوافعه العدوانية في ظل نظم قيمية تكسر حدتها، وتجعلها جزءاً من حياة طيبة متوازنة تلبي فيها الرغبات في إطار من المشروعية والتعاون والتضامن الأهلي.

٣- على مدار التاريخ، وفي كل مكان من الأرض ظلت (الوطنية) تعاني معضلتين اثنتين، هما: فوضى المشاعر، وعدوان الطموحات غير المحدودة. ونجد في سياق المعضلة الأولى أن سعي الكائنات الحية بدءاً بالفيروس وانتهاءً بالإنسان إلى المزيد من الاستقلال قد أجج مشاعر الأنانية والبحث عن الخلاص الشخصي لدى كثير من الناس بعيداً عن التفكير في شجون الآخرين. وجاءت (العولمة) لتعزز هذه النزعة، فهي تزيد في مشاعر الفردية، وتدمر أحاسيس التعاون والانتماء بما تمارسه من خلع للفرد من أسرته، وللأسرة من المجتمع، وللمجتمع من أمته الكبرى. وهذا ما أشاع في الناس هواجس الخوف من المستقبل.

ونجد إلى جانب هذا مشاعر الولاء المتطرف للوطن والتعلق بكل ما فيه، والحرص الشديد على عدم مغادرته مهما كان الثمن، ومشايعة أهله على الحق والباطل. وقد تضخم ذلك عند بعض الشعوب حتى أفرز حركات قومية وعنصرية (النازية نموذجاً) غاية في التطرف وتمجيد الذات واحتقار الآخرين. وهي تطل برأسها من جديد اليوم في أكثر دول العالم إحرازاً للتقدم التقني. وهذا كله يتم بدافع من الغريزة بعيداً عن موازين الحق والعقل. وقد قال الشاعر العربي قديماً:

وهل أنا إلا من غُزَيَّة إن غوت
غويت وإن ترشد غزية أرشدِ

وقال آخر:

إذا أنا لم أنصر أخي وهو ظالم
على القوم لم أنصر أخي حين يظلم

إن مجال الوجدان يستعصي أكثر من أي مجال آخر على سلطان العقل؛ مما يجعل الفوضى والاختلال من سماته الأساسية.

حين جاء الإسلام رشد قضية الولاء للوطن ومشايعة أهله في جملة ما رشد من شؤون الحياة. ونجد في هذا الصدد أن الله تعالى أخذ على المنافقين أنهم متشبثون بالإقامة في أوطانهم إلى حد عصيان أمر الله حيث يقول: ﴿ولو أنا كتبنا عليهم أن اقتلوا أنفسكم أو اخرجوا من دياركم ما فعلوه إلا قليل منهم ولو أنهم فعلوا ما يوعظون به لكان خيراً لهم وأشد تثبيتاً﴾. وذكر أنه قد يكون في مغادرة الأوطان والهجرة في سبيل الله سعة في الرزق وإرغام للعدو: ﴿ومن يهاجر في سبيل الله يجد في الأرض مراغماً كثيراً وسعة﴾.

وفي الحديث الصحيح: «انصر أخاك ظالماً أو مظلوماً». فقال رجل: يا رسول الله أنصره إذا كان مظلوماً؛ أفرأيت إذا كان ظالماً كيف أنصره؟ قال: «تحجزه عن الظلم فإن ذلك نصره». وقد كان من جملة بنود الوثيقة التي أنجزها النبي ص لتنظيم العلاقة مع اليهود في المدينة نصرة المظلوم والأخذ على يد الظالم. إنها صياغة جديدة للمشاعر والمواقف وردود الأفعال.

المعضلة الثانية التي أخذت بالمشاعر الوطنية هي الطموحات الجامحة لدى كثير من الناس، والتي تدفع على نحو صارخ إلى اختراق المجال الخاص للآخرين والعدوان على حقوقهم وحرمانهم من فرص الترقي الاجتماعي والاقتصادي. إن الشعور بالواجب تجاه حقوق الوطن والمواطنين، لا يتولد لدى المرء إلا إذا شعر بشرف الانتماء لذلك الوطن، وهذا من جهته لا يتوفر إلا إذا أحس الناس بأنهم ينالون ما يستحقونه دون عناء. وقد قال أحدهم: «لماذا أدافع عن وطن لم يطعمني من جوع، ولم يؤمني من خوف»؟!

انخفاض سوية الالتزام لدى كثيرين منا، بالإضافة إلى أزمة (قصور المفاهيم) التي نعانيها على أكثر من صعيد - يجعل الشأن العام بعيداً عن بؤرة الاهتمام.

ويبدو أن ما أحرزه الفرد من وعي أعلى بكثير مما أحرزه المجتمع، مما يجعله يندفع نحو أهداف وغايات غامضة، ويجعل نمو المعاني والمفاهيم الجمعية بطيئاً.

لا يمكن توليد مشاعر وطنية صادقة من غير توفر كتلة حرجة من النماذج الخيرة التي تعلم الناس بسلوكها معاني الاستقامة والتضحية، ومن غير امتلاك شفافية جديدة نحو العدل (بكل مستوياته ومظاهره) ومن غير مراقبة جيدة لاستثمار التفوق حتى يظل ضمن أطر مشروعة. وإلى أن يتم ذلك، فإن لنا أن نتوقع الكثير من أنماط الإساءة للمعاني الوطنية، والمزيد من الاستغلال الجائر لها. ■

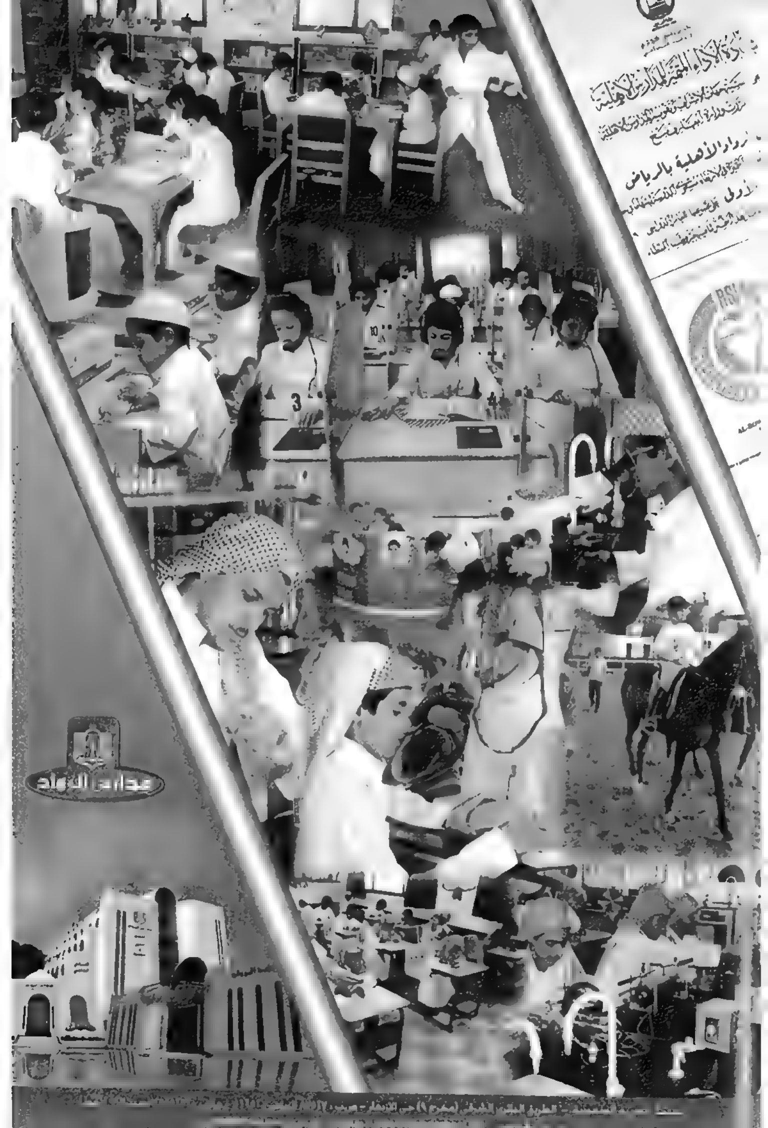
الأداء المتميز للمدارس الأهلية
الأهلية بالرياض
مدارس الرواد

التاريخ

يكتبه المنتصر.. ويقرؤه المهزوم!

رئيس التحرير

جمعني مجلس عامر بنخبة من المؤرخين -متخصصين وهواة- فاكتشفت أن الاختلاف ليس حكراً على الفقهاء، الذين يتعاملون أحياناً مع نصوص ظنية الدلالة، ولا على الأطباء، الذين يتعاملون مع أعراض ظنية الثبوت! بل حتى المؤرخين الذين يفترض أنهم يتعاملون مع وقائع وأرقام وجدتهم يختلفون في سرد الأحداث قبل تأويلها.

وكنت أظن أن مردّ ذلك هو أنهم أيضاً يتعاملون مع أحداث ووقائع ظنية الثبوت قد مرّ عليها قرون لا يُدرى ما الثابت فيها من المدسوس، حتى بلغ سياق حديثهم «التاريخ المعاصر» - وحين أقول التاريخ المعاصر فلست أعني أحداث بدايات هذا القرن ولا بدايات هذا العقد، بل أحداث بدايات هذا العام فاختلفوا في رواية أحداثه! عندها أدركت لماذا يختلف المؤرخون.. لأنهم لا يريدون الاكتفاء بكتابة الأحداث فقط، بل بكتابة «النوايا» التي كانت وراء الأحداث!

وكتابة تاريخ النوايا فن يجيده كل إنسان يؤمن بنظرية: «خرافة الحياد».

* * *

إذا كان يقال: التاريخ يكتبه المنتصر، فإني أضيف: ويقرؤه المهزوم!

وهذا هو حالنا الآن، فنحن مهزومون نقرأ تاريخ انتصاراتنا، نتسلى بها ونطرّي بها جروحنا.

وهذا هو حال الغرب الآن فهو لا يجد الوقت الكافي لقراءة تاريخه الماضي، لأنه منتصر يكتب تاريخه الآن.

لكن السؤال هو: إذا كان التاريخ يكتبه المنتصر.. ويقرؤه المهزوم، فنحن من سيكتب تاريخنا المهزوم الآن؟!

من سيكتب عنا، ما دمنا لا نكتب بل نقرأ؟

من سيضعنا في مقررات التاريخ لطلابنا بعد ١٠٠٠ سنة من الآن؟

ثم كيف سنُعامَل تحت وطأة «الخرافة»، فلا المنتصر محايد ولا المهزوم محايد، فالمنتصر حين يكتب التاريخ يمجّد انتصاراته ويخفي مثالبه، والمهزوم يمجّد ماضيه ويذم المنتصر الآن!

* * *

ولكن لماذا القلق على وجودنا في التاريخ، فالغرب المنتصر الآن هو الذي سيكتب التاريخ بالطبع، وأجزم بأنه لن ينسى ذكرنا في تاريخه.

وإن كنت أخشى أن لا يكتبنا الغرب في «التاريخ».. بل في «الجغرافيا» حين يتحدث بعد قرون من الآن عن تضاريس الكرة الأرضية في القرن العشرين فيقول:

كانت هناك أراضٍ عربية خصبة تعيش عليها «كائنات» هزيلة! ■

مفهوم الزمن ومعضلة بداية الكون

في الجزء الأول من هذه المقالة نتناول موضوع الزمن في العلم الحديث، تعريفه وطبيعته ومؤشراته والقضايا المتعلقة بلاعكوسية الظواهر الطبيعية مع تناظر القوانين في الزمن، وصلة ذلك بدالة الفوضى في النظم الحرارية وإمكانية تعميمها للنظم الميكانيكية.

وفي الجزء الثاني من المقالة نستعرض ونستبعد فرضية وجود مسارات زمانية مغلقة في بداية الكون، ونرفض مقترح خلق الكون نفسه المبني على هذه الفرضية ونربط كل هذه الاعتبارات بعقيدة المسلمين ومفهوم الزمن في القرآن الكريم.

* أستاذ الفيزياء بجامعة الملك سعود

مفهوم الزمن أساسي في حياة الناس، وهو جزء ضروري من الإطار الذي نرصد به كل ما يحدث حولنا. ولعل الإحساس بانسياب الزمن فطري عند بني الإنسان، كما أن فرضية انسيابه بمعدل واحد لدى جميع الناس تبدو بديهية. لذلك فإن عبارة نيوتن التي اشتهرت بعد مقدم نظرية النسبية الخاصة عن «الزمن المطلق الذي ينساب من ذاته دون أية علاقة بالأشياء الخارجية» لم تعتبر مقولة تلفت النظر في حينها.

وعندما ظهرت نظرية النسبية كان أول ما شد الانتباه وأثار الدهشة، لدى العلماء والعامة على حد سواء، ما قررته عن نسبية الزمن: بصفة خاصة «نسبية الآنية»، وهي إمكانية حدوث حادثين في آن واحد لدى مشاهد بينما يسبق أحدهما الآخر لدى مشاهد مختلف. وسرعان ما توالت المقالات والكتيبات توضح للناس أن ما تقول به نظرية النسبية لا يختلف عما الفوه في حياتهم من أن الزمن يمر بطيئاً في حال الهم والشجى بينما يمر سريعاً في حالة البهجة والحبور. بل إن بعض أمثال هذه الشروحات مايزال يجد طريقه للقراء والمستمعين حتى الآن، بعد مرور ما يقارب القرن على مقدم النسبية الخاصة، رغم أن الأمر لا صلة له إطلاقاً بالحالة النفسية للمشاهد!

هذه مسألة معذور فيها مؤلفو كتب تبسيط العلوم من غير المختصين. ولكن الغريب أن النقاش استمر بين أهل الاختصاص من الفيزيائيين لنحو نصف القرن، بعد ظهور النظرية، حول حقيقة نسبية الفترات الزمنية! وكان المحور الأساس لهذا النقاش المسألة التي اشتهرت باسم «لغز التوأمين». ملخص هذه المسألة أن نظرية النسبية تتنبأ بأن توأماً يسافر بسرعة عالية بعيداً عن الأرض ثم يرجع إليها، سيكون عند لقائهما أقل عمراً من توأمه المقيم. دار النقاش حول طبيعة هذا الفارق الزمني، هل هو حقيقي ومقيس أم أنه شكلي ووهمي؟ إذ يبدو أن التوأمين متماثلان ويحق لكل منهما ادعاء أن التوأم الآخر أقل سناً. ويحسم القضية ملاحظة أنهما غير متماثلين لأن المقيم مشاهد طبيعي ولم يتعرض للتسارع بالنسبة للنجوم البعيدة بينما لا يستطيع المسافر أن يدعي ذلك.

ولقد أبدى هذه الملاحظة بعض الباحثين منذ بداية النقاش ولكنها لم تنته، إذ رفضها كثيرون بسبب أنها تجعل القضية كونية: لنفرض أن النجوم البعيدة ليست موجودة، هل سيختفي الفارق؟ ولم يسمح آخرون بمثل هذه الفرضية التي تجعل العالم يختفي واحتجوا بمبدأ ماخ الذي يرجع خصائص المادة القصورية لتأثير كل العالم الخارجي، ويقتضي تلاشي الكتلة واستحالة الظاهرة موضوع النقاش متى ما اختفت كل النجوم!

واليوم أصبح اختلاف الأعمار باختلاف السرعات مما يؤخذ في الاعتبار عند تصميم تجارب الجسيمات الدقيقة وتقدير القوى والتسارعات اللازمة لإمكانية حدوث ورصد الظواهر. والواقع أن إرجاع الأمر للنجوم البعيدة لم يكن ضرورياً، لأن آثار التسارع الذاتي للمشاهد محلية ويمكن رصدها داخل معمل مغلق. ولذلك فليست هنالك صعوبة في تحديد الاختلاف بين التوأمين من واقع ما يُرصد في البيئة المحلية لكل منهما! وهذا يعني أن تعريف المشاهد الطبيعي محلي ولا يتطلب خصائص كونية، وكان من الممكن حسم هذا النقاش منذ البداية لو أن المتناقشين التزموا التعريف الإجرائي المحلي لمفهوم المشاهد الطبيعي؛ وما كانوا بحاجة لإقحام النجوم البعيدة أو الاستعانة بمبدأ ماخ الذي لا يستطيع أحد أن يؤكد صحته أو ينفيها!

التعريف الإجرائي هو التعريف الذي يوضح ما يلزم إجراؤه لتحديد الانتماء للمجموعة المعرفة. وفيه بيان بالمعنى المحدد الذي نلصقه بالمفهوم أو المصطلح في الاستخدام العلمي، بغض النظر عن معناه في اللغة.

من المهم التزام هذه التعريفات للمفاهيم في القضايا التي تثير جدلاً فكرياً بين المختصين. ولعل من أبرز من دعا لهذا الالتزام الفيزيائي الألماني الكبير فيرنر هايزنبيرج خلال السنوات التي وضع فيها، مع آخرين، أسس نظرية الكم. هذا الالتزام يهمنا في الاعتبارات التي نناقشها في هذه المقالة حول موضوع الزمن ومعضلة بداية الخلق. لذلك فإن العتبة الأولى أمامنا هي توضيح التعريف الإجرائي للزمن، وما ينبني عليه من خصائص مفهوم الزمن وطبيعته.

تعريف الزمن وطبيعته:

أعرف الزمن بأنه متغير رقمي يرصد ترتيب تتابع

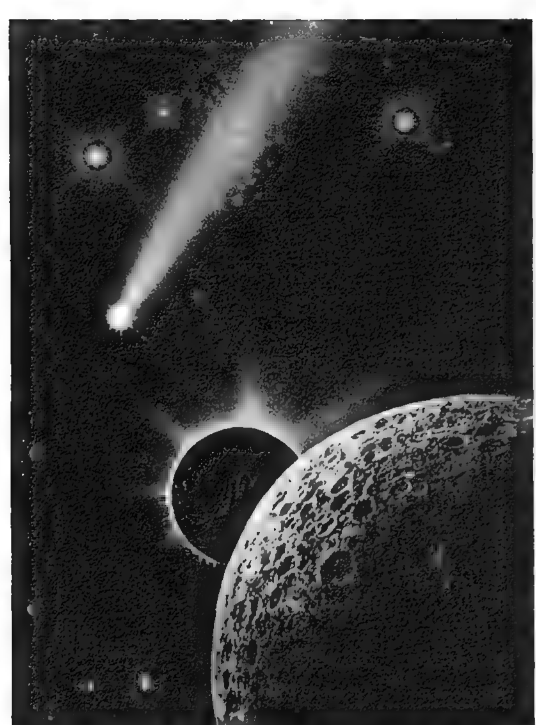

الحوادث والتغيرات في النظم الطبيعية. وهو متغير مقارنة يربط مجموعة الحوادث الآنية بحادثة معلومة معتمدة للقياس، مثل المسافة في حركة انتقالية منتظمة أو عدد الاهتزازات في حركة تأرجحية أو عدد الدورات في حركة دورية

وهذا التعريف شبيه بتعريف درجة الحرارة؛ فهي متغير رقمي يحدد مجموعة الحالات تكون في اتزان حراري مع حالة معينة معتمدة للقياس؛ مثل حالة المحرار الزنبقي المقيسة بمدى تمدد الزئبق على طول الأنبوب الرفيع

غير أن هناك اختلافاً بيناً بين متغيري الزمن ودرجة الحرارة: درجة الحرارة تزداد وتقل بينما يزداد الزمن باضطراد. سبب ذلك أن عدد الحوادث منذ بدء الخليقة وحتى كتابة هذه الجملة أقل منه بعد كتابتها. أما حالات الاتزان الحراري فتتعاقب دون ترتيب موجه

في خلفية هذا التعريف الإجرائي ينكر المرء عبارة نيوتن عن انسياب الزمن «دون أية علاقة بالأشياء الخارجية». في غياب الأشياء التي تتغير تغيب الحوادث، فلا شيء يُرصد ولا معنى لمفهوم الزمن أو انسيابه! ما تقتضيه ميكانيكا نيوتن، ليس عبارة نيوتن الفضفاضة، وإنما استقلالية الزمن المعرف بهذه الكيفية عن إطارالرصد؛ أي اتفاق المشاهدين الطبيعيين في تصنيفهم لمجموعات الحوادث الآنية. وهذا أمر يمكن أن تمتحن صحته بالتجريب.

من العبارات المشهورة التي حملت أكثر مما تطيق، عبارة منكوفسكي- الذي شارك مشاركة فعالة في تطوير الصياغة الرياضية لنظرية النسبية- «المكان والزمان، كل

على حدة، محكوم عليهما بالانزواء ليصبحا مجرد ظلين، وما يحتفظ بوجود مستقل هو نوع من الاتحاد بينهما». هذا الاتحاد هو مفهوم الزمكان، أي فراغ الزمان والمكان، الذي عمقته ورسخته نظرية النسبية العامة فيما بعد. ومرة أخرى نقول إن هذه العبارة أوسع مما يقتضيه الواقع؛ إذ يصعب على من يعرف الزمن على نحو ما ذكرنا قبول أن يكون الزمن في اتحاد مع المكان! ما تقول به نظرية النسبية هو أن عدداً كبيراً من المتغيرات المقيسة يعتمد على المشاهد؛ من ذلك مقيسات كانت تعتبرها الميكانيكا التقليدية مستقلة عن المشاهد، مثل الزمن والقوة والطاقة. وتوجد مقادير، تسمى اللامتغيرات، وهي دوال تعتمد على هذه المتغيرات أو بعضها، يتفق بشأن قيمها كل المشاهدين الطبيعيين. وجود هذه اللامتغيرات لا يمنع أن يكون لأي من هذه المقيسات، الزمن أو المكان أو الطاقة أو سواها، كينونته الذاتية عن كل مشاهد طبيعي على حدة، ونضيف أن هذه العبارات تختلف عن عبارة منكوفسكي في أمر مهم: بمقدورنا اختبار صحتها بالتجربة.

والواقع أن درجات الحرية في الحركة كانت أربعاً منذ بداية الميكانيكا،

هي أبعاد المكان الثلاثة والزمن. وليس صحيحاً أن الجديد المثير في نظرية النسبية اعتمادها الزمن بعداً رابعاً مع الأبعاد المكانية، كما يرد في العديد من شروح هذه النظرية.

الأمر الأساسي الذي يميز الميكانيكا التقليدية عن النسبية الخاصة عن النسبية العامة هو التحولات المكنة بين المشاهدين، وبصفة خاصة مجموعة اللامتغيرات المترتبة على هذه التحولات. التحول المعتمد في الميكانيكا التقليدية هو تحول جاليلي ومن بين لا متغيراته الزمن والمسافة والطاقة ومقادير الاندفاع. لذلك فليس غريباً أن تكون الجاذبية، في سياق ميكانيكا نيوتن، معتمدة على المسافة دون الزمن. التحول المعتمد في النسبية الخاصة وهو تحويل لورنتز، ومن بين لا متغيراته الزمن الصحيح -الذي تقيسه ساعة متحركة مع الحادث- وطاقة السكون. الزمن الصحيح لا متغير يعتمد على المسافة والزمن بينما طاقة السكون لا متغير يعتمد على الطاقة ومقدار الاندفاع.

من أجل تحقيق مبدأ تكافؤ المشاهدين في وضعهم للقوانين الطبيعية لزم، بناء على وجود اللامتغيرات المذكورة، أن ترفض النسبية الخاصة قانون حفظ الطاقة دون الاندفاع، كما ترفض اعتماد الجاذبية على المسافة دون الزمن. نظرية الجاذبية التي تحقق متطلب النسبية الخاصة على النطاق المحلي هي النسبية العامة.

يتضح من هذا أن صياغة القوانين الطبيعية بحيث تحقق متطلبات التحولات المعتمدة مسألة أساسية، بل وتبدو ضرورية. غير أننا نود أن نشير إلى أنها، في نهاية المطاف، شكلية وهيكلية. ذلك لأننا نضطر، عند النزول لمستوى المقارنة مع التجربة، لإبراز اعتماد الدوال على المتغيرات المقيسة، مثل الموقع والزمن والسرعة والتسارع، وتتراجع اللامتغيرات لخلفية الاعتماد الضمني. ورغم ما يبدو في الصياغة الشكلية من تماثل أو تكافؤ في معالجة الموقع والزمن، إلا أننا ننتهي إلى تعبيرات تظهر اختلافاً جلياً بينهما، من ذلك مثلاً أن المعادلات تعطي معدل تغير الموقع بالنسبة إلى الزمن ولا تعطي معدل تغير الزمن بالنسبة إلى الموقع؛ ولا أحد يرغب أن يعرف معدلات تغير الزمن بالنسبة لأي مقدار مقيس لأنها لا ترد في وصف الحركة والانتقال من حال إلى حال، كما لا ترد في التنبؤات التي تقارن بالتجربة.

بقي أن نذكر في ختام هذه الفقرة قضية مهمة في موضوع تعريف الزمن تتعلق بحدود هذا التعريف. وفق ما ذكرناه نستطيع أن نتخيل اللحظات المتعاقبة محددة بعداد سيار يُعطي رقماً تلو رقم بمعدل منتظم يسجل التأثيرات المعيارية عليه.

وعندما نرغب قياس الزمن في ظروف لا توجد فيها الظاهرة المعيارية ننتقل لمعيار آخر يناسب الظروف الجديدة. في مراحل تطور الكون السابقة لظهور الكتلة، مثلاً، بإمكاننا تعريف الزمن بوساطة درجة الحرارة أو مقدار الضغط، غير أن توغلنا في القيم الصغيرة للزمن سرعان ما يدخلنا منطقة الظواهر الكمية. وفي هذه الاضطراب الكمي الضروري في المقادير المقيسة على النظم الدقيقة. تعريفنا الإجرائي للزمن يقوم على فرضيتي ترتيب الحوادث وانتظامها. ولا يبدو أن هنالك معنى لترتيب الحوادث وهي متداخلة وذات اضطراب كبير في

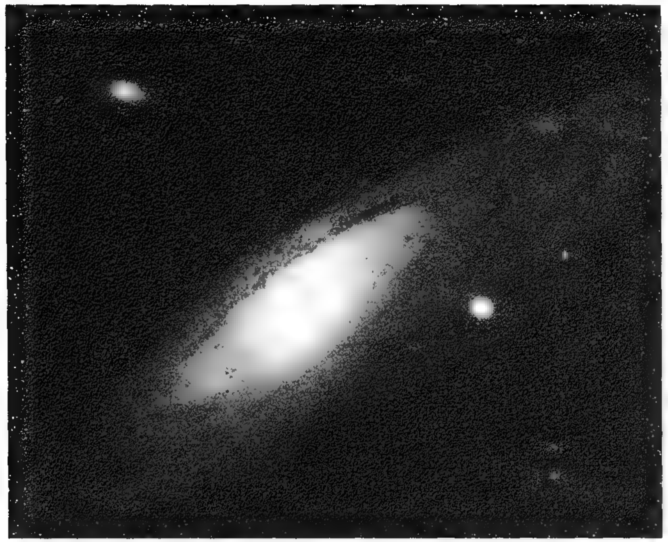

منتغيراتها المقيسة. وهذه ظروف يضيع معها معنى الانتظام كذلك، كما قد يضيع معها معنى مقارنة الحوادث في المواقع المختلفة.

في ظل هذه الاعتبارات يتساءل المرء: هل نستطيع رصد معلومات مفيدة عن تغييرات الأحوال التي تحدث، رغم غياب مفهوم الزمن كما عرفناه؟ هل هنالك متغير آخر، أو مجموعة من المتغيرات، يمكن أن تحل محل الزمن وتعطي معنى للتسبيب بين الحوادث؟

وعلى أي حال فإن ما قصدنا إليه هو مجرد التذكير بوجود حدود للتعريف الإجرائي الذي أوردناه للزمن. ولعلي أذكر هنا، دون اقتناع مني بجدوى المسعى، ما ذهب إليه بعض الباحثين المعاصرين من أن الزمكان، على المستوى الدقيق، كسوري في طبيعته وغير قابل للاشتقاق الرياضي وأن السلوك الكمي للنظم الدقيقة تعبير عن كسورية الزمكان وعدم قابليته للمفاضلة. يدعي هؤلاء الباحثون أن في هذا المبدأ تعميماً يوحد النسبية العامة ونظرية الكم.

هذا العمل ما يزال مستمراً ولا يبدو أن شيئاً ذا بال قد ترتب عليه حتى الآن

مؤشر الزمن والعكوسية:

للقوانين الطبيعية الأساسية تماثل بين الماضي والمستقبل، أي أنها تحتفظ بصيغها الرياضية تحت تحول عكس الزمن، وهو استبدال قيمة الزمن الموجبة بالقيمة السالبة المقابلة. غير أن هذه الانعاكسية في القوانين لا تبدو محققة في واقع الظواهر الطبيعية. دليل ذلك أن المرء يستطيع أن يميز ما إذا كان شريط حوادث طبيعية يُدار في الاتجاه الصحيح للوقائع أم في اتجاه التسلسل الزمني المعاكس. المثال الذي يذكر كثيراً في هذا الصدد هو مثال كوب زجاجي يتكسر على أثر سقوطه من المنضدة. إذا عكسنا مسار شريط التسجيل نحصل على حادثة تجمع الأجزاء المكسرة لتصبح كوباً يرتفع فيستقر على سطح المنضدة. وإذ إن هذا لا يحدث في الواقع، فإن

ما نستنتجه هو أن الشريط يُدار في الاتجاه المعاكس، وإذاً فهنالك سهم أو مؤشر للزمن، يوضح اتجاه التغير الممكن في الواقع رغم أن الاتجاه الآخر لا يناقض القوانين الطبيعية.

الذين تأملوا هذا الموضوع حددوا فيه تساؤلين محوريين:

(أ) ما سبب وجود مؤشر للزمن مع أن القوانين الطبيعية لا تحدده؟

(ب) هل هنالك أكثر من مؤشر؟ وهل تتفق المؤشرات إن تعددت؟

وأبدأ بالاعتبارات المتعلقة بالتساؤل الثاني، فأقول إن هناك شبه إجماع على أن أهم مؤشر هو «المؤشر الحراري» ويعبر عنه القانون الثاني للديناميكا الحرارية الذي يقرر أن انتقال النظم الحرارية المعزولة من حال إلى حال يكون في اتجاه زيادة الفوضى. وتقاس درجة الفوضى بقيمة دالة الفوضى، التي تعتبر أحد المتغيرات المحددة للحالة. وفي المثال الذي ذكرناه يقال أن الانتقال من السليم إلى المكسر هو الاتجاه الطبيعي للتغيير وفق القانون الثاني، لأن الأجزاء المبعثرة أكثر فوضوية من الكوب السليم. ولنا على هذا التفسير تعليق نذكره لاحقاً.

القانون الثاني يوضح أن الصفة المميزة لوجود مؤشر للزمن هي وجود دالة، مثل دالة الفوضى في النظم الحرارية، تزداد باضطراد أو تنقص باضطراد مع التغيير الطبيعي من حال إلى حال، في النظام المعزول وإذاً فعلينا البحث عن دالة لها مثل هذه الخاصية إن أردنا تعيين مؤشر آخر للزمن.

هذا الاعتبار يقود، على الأقل، لسهم آخر واضح هو «المؤشر الكوني»، ويقصد به اتجاه تمدد الكون الدالة التي تزداد، في هذه الحالة، هي المسافة بين مجرتنا وأبعد المجرات عنا، وتساوي نصف قطر العالم المشاهد، إن كان الكون مغلقاً. وفيما يخص اتفاق المؤشر الكوني مع المؤشر الحراري أجمع الباحثون على الأمر الواضح، وهو أنهما يتفقان حالياً، أي يزدادان في اتجاه التطور الطبيعي. ولكن الباحثين اختلفوا حول ما إذا كان انعكاس اتجاه التمدد الكوني سيعني انعكاس اتجاه الفوضوية، أي الانتقال الطبيعي إلى الحالات الأقل فوضوية مع تقلص المسافات بين المجرات وانكماش الكون. وكان ممن قال بنقصان الفوضوية مع الانكماش الفيزيائي النظري الشهري هوكنق، ثم عدل عن ذلك إلى القول باضطراد زيادة الفوضوية في حالي التمدد والانكماش.

أقول، وبالله التوفيق، إن تعددية مثل هذه الدوال التي تزداد أو تنقص بانتظام، في النظم المعزولة، أمر وارد. ومن الممكن أن نعتبر ذلك تعددية في مؤشرات الزمن إذا كانت الدوال المعنية شمولية ولا تقتصر على خصائص نظام أو نظم محدودة. ولكن السؤال عن اتفاقها في الاتجاه لا معنى له، إذ كل منها يرتبط بالزمن، والزمن يزداد دائماً. أما عما يحدث إذا أعقب التمدد الحالي انكماش كوني، فأجد الاختلاف حوله أمراً غريباً؛ ذلك أننا جميعاً نعتبر الكون نظاماً حرارياً معزولاً. وعليه فإن الزيادة في الفوضوية لازمة ولا صلة لها بالتمدد، وهي مشاهدة في النظم ذات الأبعاد الثابتة!

كيف نتوقع أن تبدأ الفوضوية في التناقص حال انتهاء التمدد وبدء الانكماش؟

يقول أصحاب الرأي بانعكاس اتجاه الفوضى إن القوانين الطبيعية الأساسية ستبدأ، بعد توقف التمدد مباشرة، إعادة الحال إلى ما كانت عليه قبل التمدد مباشرة، لأن هذه القوانين عكوسة والشروط الابتدائية تقتضي ذلك.

ولكن هذه الحجة تتجاهل أن سبب استحالة العكوسية هو أن التغييرات الطبيعية في النظم المعزولة يصحبها تبديد لازم في «الطاقة المفيدة» وهي الطاقة التي يمكن تحويلها إلى عمل. هذا التبديد يظل على ما هو عليه، في مرحلة التمدد وفي مرحلة الانكماش، ويضمن أن أحوال الكون المنكمش لن تكون بأي حال تكراراً لأحوال الكون المتمدد.

ولعلي ألاحظ هنا أن هوكنق لم يعدل رأيه الأول بناء على مثل ما سقناه من اعتبارات فيزيائية بسيطة وواضحة، بل قال إن انكماش العالم انكماشاً تاماً يرجعه للحجم الصفري لن يعيده للحالة الابتدائية تماماً لأن دالة رياضية معينة، هي «ممتدة فايل»، ستكون في النهاية بقيمة مختلفة عن قيمتها الابتدائية، وعليه فليس لدينا سبب لتوقع أن مسار رحلة الإياب سينطبق على مسار

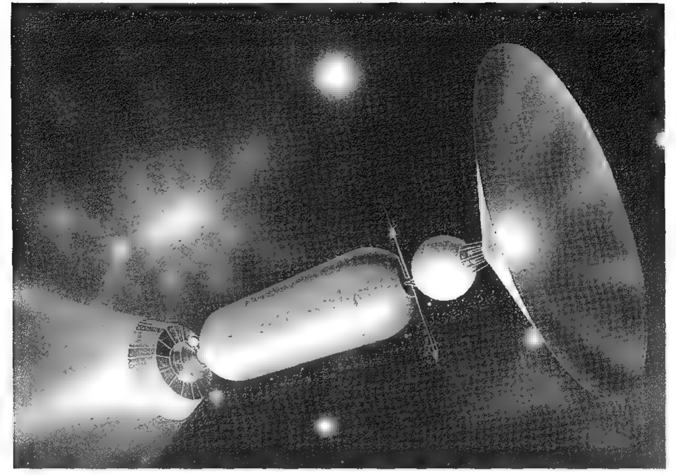

رحلة الذهاب. هذه الحجة توضح أمراً واحداً فقط، وهو أن هوكنق رياضي أكثر منه فيزيائياً.

أعود الآن للسؤال الأول عن سبب وجود مؤشر للزمن مع أن القوانين الطبيعية لا تميز اتجاهاً معينا في الزمن. وأبدأ مرة أخرى بمناقشة مثال الكوب السابق. خلافاً لما يورده كثير من الكتاب، تحطم الكوب لدى سقوطه ليس تطبيقاً للقانون الثاني! يتعلق القانون الثاني، ودالة الفوضى التي ترد في صياغته، بالنظم الحرارية، وهي النظم التي يبلغ عدد مكوناتها الدقيقة رقماً يجعل من المستحيل وصفها بالمتغيرات الميكانيكية للمكونات، فتجمل خصائصها الكلية في متوسطات إحصائية لهذه المتغيرات هي إحداثيات الحالة الحرارية مثل درجة الحرارة وقيمة الضغط. ولكن الكوب الزجاجي المتهشم نظام ميكانيكي بسيط وليس نظاماً حرارياً ويمكن وصف انتقاله من جسيم واحد إلى جسيمات عديدة بوساطة متغيرات الميكانيكا التقليدية وصفاً مضبوطاً. دالة الفوضى الحرارية غير معرفة على مثل هذا النظام. ولكن لهذه الدالة امتداداً غير حراري، يشمل كل النظم الطبيعية ويتفق مع دالة الفوضى الحرارية على النظم الحرارية. يعتمد تعريف هذا الامتداد، ولنسمه دالة الفوضى الإحصائية، على عدد الحالات الدقيقة التي تكون متوافقة مع حالة كلية معينة للنظام.

هذه الدالة تزداد أيضاً باضطراد مع تطور النظم الإحصائية المعزولة، وهي النظم الموصوفة بالميكانيكا الإحصائية وتشمل النظم الحرارية. غير أن هذه الدالة معرفة على كل النظم الطبيعية ولا تزداد بالضرورة بصفة عامة، وفي مثال الكوب المهشم، بصفة خاصة، نجد قيمة دالة الفوضى الإحصائية تساوي الصفر في البداية، وفي النهاية، بسبب أن الحالتين محددتان تماماً ولا يحوي النظام متغيرات إحصائية. وليس صحيحاً أن أجزاء الكوب المبعثرة أكثر فوضوية من الكوب السليم، أو أن الانتقال من الجسم السليم إلى أجزائه في الاتجاه الطبيعي الذي يحدده القانون الثاني بزيادة الفوضوية.

كشف تعميم دالة الفوضى من الحرارية إلى الإحصائية عن ارتباط وثيق بين خاصية الزيادة المضطردة في قيمة دالة الفوضى وفقد المعلومات الناتج

عن الاكتفاء بالمتوسطات الإحصائية أو المتغيرات الحرارية. ذلك أن زيادة قيمة دالة الفوضى تعني زيادة عدد الحالات الدقيقة المتوافقة، وهي التي نحسب عليها المتوسطات الإحصائية. وهذا يعني أن معلوماتنا عن النظام تكون أقل انضباطاً، أي أننا نفقد المعلومات في اتجاه الانتقال الطبيعي للنظم الإحصائية نحو التوسع في عدد الحالات الدقيقة لأقصى مدى ممكن. سبب فقدنا للمعلومات هو الكيفية التي نعالج بها هذه النظم، إذ إننا نضطر لحساب المتوسطات الإحصائية على عدد من الحالات يزداد زيادة كبيرة مع تطور النظام. لتوضيح هذه المفاهيم، خذ قدراً من الغاز محصوراً بحاجز في نطاق ضيق من وعاء مغلق.. متى ما أحدث الضغط ثقباً صغيراً في الحاجز، انطلق الغاز خلاله ليملأ بقية الوعاء.

عدد الحالات الدقيقة يعتمد على الحجم والطاقة. في حالة الانطلاق الحر تكون الطاقة بقيمة ثابتة ويزداد الحجم، فيتضاعف عدد الحالات الدقيقة المتاحة للنظام مضاعفات خيالية. وهذه هي زيادة قيمة دالة الفوضى ومعنى مصطلح الفوضوية، ولأن العدد الكلي لجسيمات الغاز ثابت، قبل وبعد التمدد، فإن معلوماتنا هي أن أياً من هذه الجسيمات يمكن أن يكون في أي من الحالات ذات العدد الخيالي بعد التمدد. وهذا هو فقد المعلومات عن النظام. ويمكن تقريب هذا الفقد بمدى حصر موقع الجسيمات قبل وبعد الانطلاق، إلا أن المقصود بالحالات الدقيقة هو حالات الحركة والطاقة للذرة الواحدة من ذرات الغاز.

تطبيق هذه الاعتبارات على النظم الميكانيكية ذات العدد المحدود من المكونات يوضح أن قيمة دالة الفوضى ثابتة عند الصفر وأن المعلومات لا تفقد، بسبب أن لمثل هذه النظم حالة واحدة فقط عند أية لحظة معينة. وهذا يفسر فشل الباحثين، على مر السنوات، في محاولاتهم الرامية لاستنتاج تزايد دالة الفوضى من قوانين الحركة الأساسية: زيادة الفوضى، ونقص المعلومات المصاحب لها، هما بسبب وصف النظام بالمتوسطات الإحصائية ولا صلة لهما بقوانين الحركة.

ثم إننا، فوق ذلك، نستنتج أمراً آخر في غاية الأهمية: اعتماد القانون الثاني -أو قيمة دالة الفوضى- مؤشراً للزمن محصور في نطاق النظم الإحصائية ولا يعطي معياراً كونياً شاملاً، إذ من الواضح أن مؤشر الزمن الفعلي يشمل النظم الميكانيكية لأن تطورها الطبيعي لا عكوسي أيضاً، كما رأينا في مثال الكوب المتهشم. محك اللاعكوسية، هو تمييزنا بين الظاهرة الحقيقية وصورتها بعد عكس اتجاه الزمن أو عكس دوران الشريط. وهذا محقق في النظم البسيطة بوضوح ولا يحتاج لأية مفاهيم إحصائية.

يتبع من هذا الاستنتاج الفصل التام بين زيادة دالة الفوضى واللاعكوسية، بسبب وجود النظم الميكانيكية البسيطة وهي لاعكوسية السلوك وتتلاشى فيها قيمة دالة الفوضى الإحصائية. وهذا الفصل هو الأمر المتوقع بناء على الحس الفيزيائي السليم، إذ من غير المعقول ربط اللاعكوسية، وهي خاصية حقيقية لا صلة لها بكيفية وصف المشاهد لحالة النظام، بنقص المعلومات الناتج عن تصنيف الحالات بوساطة المتوسطات الإحصائية للمتغيرات! هذا التصنيف يفسر زيادة دالة الفوضى الإحصائية ولكنه لا يفسر اللاعكوسية.

هذه الملاحظة تقودنا للبحث عن مؤشر الزمن الأشمل في سلوك النظم البسيطة وليس في النظم الإحصائية، بتأمل هذه المسألة نجد أن الخاصية التي يمكن تعميمها على كل النظم هي خاصية تبديد الطاقة المفيدة خلال التطور الطبيعي، أي التلقائي، للنظام المعزول. يتطور النظام تلقائياً بالتنقل من حالة إلى أخرى وفق معادلات الحركة، تحت تأثيرات البيئة وقيودها، حتى ينتهي إلى حالة استقرار تتلاشى فيها معدلات التغير، وبصفة خاصة تتلاشى فيها القوة وهي معدل تغير الاندفاع. في حالة الاستقرار تكون طاقة الكمون عند أقل قيمة لها تتوافق مع قيود البيئة. غير أن هذا التطور نحو حالة الاستقرار لن يكون بالضرورة مصحوباً بالتقليل المضطرد في قيمة طاقة الكمون، إذ من الممكن أن يكون الخلود إلى السكون مسبوقاً بتأرجح حول حالة الاستقرار.

المقدار الذي يقل باضطراد خلال التطور التلقائي للنظم البسيطة هو «الطاقة الميكانيكية»، وهي مجموع الطاقة الحركية وطاقة الوضع. سبب نقصان الطاقة الميكانيكية هو وجود القوى غير المحافظة في الطبيعة:

وهي قوى التصادم، ووجودها لازم عند أي انتقال للنظام ينتج عنه عمل. ويمكن اعتماد هذا المبدأ صياغة للقانون الثاني في حالة النظم الميكانيكية: التطور الطبيعي للنظام الميكانيكي هو الانتقال إلى حالات تتناقص فيها قيمة الطاقة الميكانيكية حتى بلوغ حالة الاستقرار التي تكون فيها هذه الطاقة عند أقل قيمة ممكنة لها. وأقصد بالنظام الميكانيكي النظام المكون من جسيمات مادية معينة ومجموعة من القوى والقيود التي تحدد تطورها. القوى المحافظة فقط هي التي تؤثر على مقدار الطاقة الميكانيكية؛ أما القوى غير المحافظة فتحدد معدل تناقص هذه الطاقة مع الزمن، وتؤدي -عند بلوغ حالة الاستقرار- إلى فقدان النظام للمقدرة على أداء أي عمل، وإذاً فوجود القوى غير المحافظة هو سبب اللاعكوسية التي تنتج عن دالة ترتبط بتطور النظام وتتناقص أو تتزايد باضطراد خلال هذا التطور. وفي هذا السلوك يكمن مؤشر الزمن.

تحول الكوب من وضعه على المنضدة إلى وضعه على الأرض انتقال إلى حال ذات طاقة ميكانيكية أقل، سواء تهشم أم لم يتشهم، فتعددية الأشلاء لا تتصل بالموضوع إطلاقاً! بل إن الأمر كله لا يعتمد على أية اعتبارات إحصائية. خذ جسيماً واحداً يتحرك داخل صندوق مغلق. قوى التصادم مع جدر الصندوق، وهي قوى غير محافظة، تنهك الجسيم بمرور الزمن وتحيله للسكون التام. انتقال هذا الجسيم، من حالة الحركة إلى حالة السكون، تطور في الاتجاه الطبيعي، وهو اتجاه نقصان الطاقة الميكانيكية وتبديد المقدرة على أداء العمل وفيه مؤشر واضح للزمن. رؤية الجسيم تدب فيه الحياة بعد السكون ويبدأ في مناطحة الجدران بطاقة حركية متزايدة تنبئ عن الاتجاه المعاكس للشريط، مما يؤكد اللاعكوسية في الأنظمة البسيطة دون حاجة لمفهوم الفوضى الحرارية أو الإحصائية.

وفي الجزء الثاني من المقالة نناقش، بإذن الله، قضية الزمن وبداية الكون ثم نربط الموضوع كله بعقيدة المسلمين ومفهوم الزمن في القرآن الكريم. ■

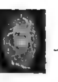

مركز الدراسات العربي - الأوروبي

CENTRE D'ETUDES EURO-ARABE

العالم الإسلامي في الاستراتيجيات العالمية المعاصرة

د. علاء طاهر

علاء طاهر:

متفائل بنهضة العالم الإسلامي

المعرفة: عدنان رمال - باريس

على الرغم من أنه كتاب متخصص إلا أنه أحدث ضجة الإعلامية، وأثار كما هائلاً من النقاش، ليس لدى المتخصصين فقط بل لدى قطاع كبير من القراء والمثقفين في مختلف قطاعات المعرفة، ومازال حدثا بارزا في الساحة الثقافية العربية والأوروبية على الرغم من مرور بضعة أشهر على صدوره. إنه كتاب جديد في كل ما يطرحه من موضوعات وإشكاليات هي في صلب اهتمام المثقف العربي حالياً ومستقبلياً. إنه كتاب «العالم الإسلامي في الاستراتيجيات العالمية المعاصرة»، للخبير والباحث الاستراتيجي العربي الدكتور علاء طاهر.

فهو نمط جديد في ميدان الكتابة الاستراتيجية في اللغة العربية، ويشكل مرحلة انتقال هامة في مجال الكتابة السياسية، إذ يتجاوز في نهجه ومعلوماته كافة الكتب السياسية الصادرة باللغة العربية منذ خمسين عاماً وحتى الآن . فالكتابة السياسية حتى الأكاديمية منها تبدو بعيدة عن العلم الاستراتيجي الصارم في منهجيته ومعلوماته ولغته الدقيقة كما تمثلت في كتاب علاء طاهر الجديد هذا. ومن هنا تنبثق الكثير من التساؤلات حول المنهج والمعلومات الموسوعية التي يتضمنها هذا العمل الموسوعي الشامل في دراسته لأهم مرحلة من مراحل تاريخ «العالم الإسلامي» الحديث هي مرحلة الهيمنات الاستعمارية الحديثة وأساليب تكتيكها واستراتيجيتها التي أهلتها لأن تلعب دور المهيمن والمتحكم في سياسات وشعوب البلدان الإسلامية حتى الوقت الحاضر، بل والتي ستمتد سياساتها في الهيمنة مستقبلاً على بلدان العالم الإسلامي.

ولأجل تفكيك العناصر والمتشابكة والغنية في هذا الكتاب كان لنا لقاء مع المؤلف الدكتور علاء طاهر في مكتبه في باريس.

**** قبل الدخول في تفاصيل هذا البحث هناك سؤال أولي قد يبدو شكلياً لكنه يفضي إلى تناول صلب الكتاب: كم من الوقت استغرقته في كتابة هذا البحث؟ وما المحفزات الشخصية التي قادتك إلى كتابته؟ هل هي محفزات شخصية محضة، أم أنها محفزات أكاديمية خاصة بعملك الجامعي؟***

- إذا كانت المحفزات الشخصية تتموقع داخل إطار التعاطف مع الموضوع أو التواطؤ معه فهناك محفز واضح منذ البداية هو الانتماء إلى العالم العربي والإسلامي كشخص، بكل ما يترتب على ذلك من تكوين سيكولوجي- ثقافي، أي عند الوصول إلى نقطة من الشعور الوجودي المعمق بأن التخصص في فرع ثقافي ما من فروع المعرفة

هو بالضرورة نمط من المحتمات التي تحدد انتماءنا إلى موضوع ما في البحث

فالعالم العربي الإسلامي لم يعد في هذه الحالة محض تشكل جغرافي- حضاري خارجي، بل غدا جزءاً من الذات الخاصة. ومن هنا تم اختيار الموضوع لأنه مهم للذات وللشخص أكثر من موضوع أوروبي محدد يمكن لأي باحث أوروبي جاد وعميق وهم كثر في أوروبا، يمكن له أن يعالجه. ولذلك فقد كان هنالك حافز ذاتي شخصي عميق غدا الموضوع عبره هماً شخصياً.

أما سنوات تأليف الكتاب فقد استغرقت أربعة عشر عاماً من عمري. وهي مدة طويلة لأجل كتابة عمل بحثي قد يأتي بجديد ولا يكون مجرد كتاب إضافي يوضع مثل غيره من مئات الآلاف من الكتب بجانب المؤلفات الأخرى. فالمكتبة ليست بحاجة إلى مجلد إضافي، بل بحاجة -في أية لغة- إلى عمل جديد، وهنا يدخل المحفز الموضوعي أو البحثي كما تصفونه في سؤالكم.

فبعد إنهاء دراسة الدكتوراه عام ١٩٨٢ بدأت مرحلة البحث الحقيقي وعملية التقصي البعيدة عن مرحلة التلمذة، وبحكم العمل في مركز البحوث الاستراتيجية في جامعة السربون مع البروفيسور «جان بول شارنيه» رئيس المركز، وبعد قراءة متواصلة في مجال العلاقات الدولية والتخصص بالذات في موضوع الشرق الأوسط والعالم الإسلامي، وضحت فكرة ما من خلال القراءة حول تاريخ هذه المنطقة هي أنه منذ نهاية الحرب الصليبية وبداية حركة الاستعمار الحديث منذ نهاية القرن الخامس عشر وبداية القرن السادس عشر، توجهت الدول الاستعمارية الكبرى، وكانت في البداية البرتغال وإسبانيا، ثم أصبحت بعد ذلك بريطانيا وفرنسا، نحو العالم الإسلامي باعتباره منطقة ثروات ومواد أولية كموضوع لها ثم تغيرت هذه الرؤية استعمارياً بعد حوالي القرنين من الزمن إلى اعتبار البلدان الإسلامية كموقع حضاري مخالف دينياً للعالم المسيحي الذي انطلقت منه حركات الاستعمار الحديث وكانت هذه الرؤية تأخذ أيضاً بنظر اعتبارها أن هذا الموقع الجغرافي للعالم الإسلامي هو مصدر للثروات والمواد الأولية. لكن هذا لم يعد يكفي لأن هنالك حركات مقاومة قد نشأت في هذه البلدان ضد الحركة الاستعمارية. وهذه الحركات قائمة على أساس ديني إسلامي على أساس أن الدول الغازية هي دول غير إسلامية. وبذلك فقد توجب الجهاد ضدها عبر فكرة رفض الحاكم أو المهيمن الذي لا يكون دينه الإسلام، وذلك وفق الضرورات والمحتمات الفقهية الإسلامية لدى هذه الشعوب، لكن من جهة أخرى فإن الدول الاستعمارية الأوروبية قد بدأت تنظر بشكل مغاير إلى بلدان العالم الإسلامي. فعلاوة على أنها منطقة استعمار لها بتوخي المردودات الاقتصادية فإنها -أي البلدان الإسلامية- ذات كيان ديني حضاري يختلف عنها، وتبرز حركات المقاومة فيه على أساس ديني وليس على أساس مقاومة ضد الاستفادة منها اقتصادياً

وهنا بدأت تنبثق لدى الدول الأوروبية الاستعمارية محتمات لتغيير استراتيجيتها بالتوزع آخذة بنظر الاعتبار الإسلام كعامل مقاومة ضدها وكعامل اختلاف حضاري معها، علاوة على نشوء عامل جديد أمام الدول الاستعمارية هو أن البلدان الإسلامية بمجموعها، الذي يشكل حالياً العالم الإسلامي، تمتلك موقعاً جيوستراتيجياً هاماً داخل خارطة العالم، بحيث إن الدول الاستعمارية بحكم الصراع فيما بينها على مصالح متباينة، وسعي كل منها إلى الهيمنة على رقعة جغرافية أكثر من غيرها، انبثق أمامها عامل جديد هو العامل الجيوستراتيجي الذي يمكن له أن يرجح قوة إحدى هذه الدول على الأخرى من خلال استخدام العامل الجغرافي للبلدان الإسلامية كموضوع للاحتواء، وكذلك وضع استراتيجية خاصة بها للتفوق على بقية الدول الاستعمارية في ترسيخ مكانتها داخل العالم الإسلامي. وهذا الكشف الجديد يتطلب دراسة مرحلة الانتقال من كون الاستعمار حركة تهدف إلى تحقيق مردودات اقتصادية فقط من خلال استيلائه على البلدان الإسلامية إلى كونه قوة تتعامل مع قوة حضارية مخالفة لها. ومن هذه «النقطة» أو المرحلة الزمنية في اختلاف الرؤية امتدت عملية تطوير الاستراتيجيات العالمية لنفسها فيما يخص العالم الإسلامي كموضوع احتواء لها، حتى امتدت إلى وقتنا الحالي عبر مراحل تغيرت خلالها نوعية الدول الاستعمارية من قوى الاستعمار التقليدي المتمثل في البرتغال وإسبانيا ثم بريطانيا وفرنسا ثم الولايات المتحدة الأمريكية وبريطانيا في المرحلة الراهنة.

فعلى الرغم من أن الدول الاستعمارية قد تغير اسمها إلا أن عملية التطوير في استراتيجيتها العسكرية أو الدبلوماسية لم يتوقف، بل ظل مواكباً للمتطلبات الدولية وصيرورة الأحداث داخل العالم علاوة على مواكبة التطور التكنولوجي وديناميكية الدبلوماسية العالمية وما أتى به

علاء طاهر

عام ١٩٨٢ حصل على شهادة الدكتوراه في التاريخ الحديث المعاصر من مركز البحوث الاستراتيجية في جامعة السوربون.

عمل منذ عام ١٩٨٢ وحتى عام ١٩٩٥ باحثاً متفرغاً في مركز البحوث الاستراتيجية في جامعة السوربون، ومنذ عام ١٩٩٥ يعمل خبيراً استراتيجياً في شؤون الشرق الأوسط في «مركز بحوث فلسفة الاستراتيجية» في باريس وهو المركز الذي انبثق عن المركز السابق في جامعة السوربون. يهتم بعلم المستقبليات وفلسفة الاستراتيجية والتوقعات المستقبلية للدبلوماسيات السياسية والنزاعات العسكرية.

نشر العديد من الأبحاث الأكاديمية الاستراتيجية والفلسفية المتخصصة في دوريات عربية وفرنسية منها: «الاستراتيجيات والتحليل السيولوجي» ١٩٨٥ «نظرية الأمن الإسرائيلي» ١٩٨٦، «مسارات في الفسفة النقدية الأوروبية» -١٩٨٦-١٩٨٧ «سمات الخصوصية الاستراتيجية العربية «١٩٨٧» «تقنية الحرب الفضائية» «المنطق الضمني للصراع العربي الإسرائيلي» ١٩٨٨ «العرب والعنف» ١٩٨٩ «نظرية الجهاد في الإسلام» ١٩٩٠ «النتائج الاستراتيجية المترتبة على حرب الخليج الثانية» ١٩٩١، وله عدة كتب منها «مدرسة فرانكفورد» مركز الإنماء العربي ببيروت و«حرب الفضاء ونظرية الأمن الإسرائيلي» القاهرة ١٩٩٠.

«العراق: في اصول النظام العسكري»، صدر باللغة الفرنسية، في باريس «الخصوصية الاستراتيجية للعالم العربي»القاهرة ١٩٩٢، واخيراً الكتاب «العالم الإسلامي في الاستراتيجيات العالمية المعاصرة» ١٩٩٩.

اسس وتراس مركز الدراسات العربي الأوروبي من عام ١٩٩٢-١٩٩٦، وشغل منصب المدير العلمي للمركز نفسه ١٩٩٥-١٩٩٨.

التطور التكنولوجي من وسائل جديدة ومستحدثة للسيطرة. وعبر هذه الفترة التي استمرت أربعة قرون من الزمن كان العالم الإسلامي موضوع احتواء، ومازال موضوع احتواء للاستراتيجيات العالمية وسيكون مستقبلاً -ولأجل غير منظور- موضوع احتواء مادام العالم الإسلامي يشكل جانب الضعف دولاً ومؤسسات، والقوى الكبرى تشكل جانب القوة. ومن هنا كان الحافز البحثي الأكاديمي لتناول هذا الموضوع وتتبع التغيرات التي طرأت على الاستراتيجيات الاستعمارية، بحيث مازالت تهيمن إلى الآن بقوة صارمة على العالم الإسلامي دون أن تنهض من هذا العالم حركات مقاومة مؤثرة بشكل كاف لخلخلة حالة التبعية لهذه الاستراتيجيات العالمية.

**** لقد كانت المرحلة المدروسة طويلة في أربعة قرون مع تركيزكم في البحث على فترة القرن العشرين، كيف تأتّى لكم دراسة هذه الفترة الطويلة بشكل كامل وواف بالغرض؟***

– إن اتباع المنهج التاريخي لم يكن ليفي بالغرض، فلو كان الهدف هو تقديم عرض تاريخي وتحليلي للأحداث لكانت الدراسة التاريخية تخدم القارئ على صعيد عرض المعلومات فقط، ولكن بما أن الهدف كان دراسة ديناميات الاستراتيجيات الغربية في تواصل واستمرار هيمنتها على العالم الإسلامي، فإن المنهج كان ينبغي أن يتغير، ولذلك اتبعنا منهج القراءة الاستراتيجية للتاريخ

**** وهذا نهج يبدو لنا جديداً جداً ولم يتبع من قبل في قراءة التاريخ الحديث، فهل هذا صحيح؟***

– ليس تماماً. فالمنهج الاستراتيجي في القراءة

التاريخية هو نهج متبع في الدراسات داخل العالم الغربي. وبما أن علم الاستراتيجيا هو علم غربي أوروبي حديث حتى في الغرب فإن مثل هذا المنهج متبع إلى الآن في الدول الغربية فقط. أما في الدول العربية فإن العلم الاستراتيجي لم ينشأ بعد بشكل متكامل ودقيق. ولذلك كانت معظم المراجع المعتمد عليها في البحث هي مراجع أجنبية بحكم تطور العلم الاستراتيجي في أوروبا والولايات المتحدة الأمريكية، وبالتالي تطور الفكر الاستراتيجي في هذه البلدان، ثم تطورت دبلوماسيتها استراتيجياً بحيث أهلها هذا التطور للحفاظ على منظور عقلاني يساعدها في مواصلة واستمرار هيمنتها على العالم الإسلامي الذي لم يتطور فيه إلى الآن فكر استراتيجي، الأمر الذي جعل من دول هذا العالم حكومات ومؤسسات موضوعاً للهيمنة والخضوع حتى هذه اللحظة. بينما بدت عمليات المقاومة الوطنية فيه هامشية على الرغم من أصالتها وقوتها، ذلك لأن أساليب المقاومة في العالم الإسلامي بدون استراتيجية عقلانية واضحة مقارنة بالاستراتيجية الدولية للغرب التي تتسم بالعلمية الدقيقة وبالتطور المتواصل حسب مقتضى الحال بالنسبة للمتغيرات الدولية.

**** هنالك حركات مقاومة يرصدها الكتاب منذ القرن التاسع عشر وحتى نهاية القرن العشرين، وهي حركات آخذة في التصاعد والتوجه نحو تطوير نفسها ذاتياً، فهل هي لا تفي بذلك؟***

– لا تفي بذلك. أي بإنجاز عملية المقاومة، لأن الاستراتيجيات الغربية قد طورت نفسها بالمقابل وبشكل أكثر فعالية وشمولية. فعلى الرغم من القوة الكبيرة والمتميزة التي يمتلكها العالم الإسلامي على المستوى الجغرافي السياسي والديمغرافي والاقتصادي والجيوبولتيكي، مازالت عناصر القوة هذه لم تستخدم بحكم تناقضية وعجز المؤسسة السياسية في معظم البلدان الإسلامية. وهذا العجز ليس بسبب عوامل خاصة بهذه المؤسسات فقط، بل أيضاً بسبب استمرارية التطوير الذاتي لإمكانات الاستراتيجية الغربية التي تلعب على مواطن الضعف وتناقضيته بشكل مدروس وتأسيسي.

**** على الرغم من رصدكم الدقيق لجوانب القوة المتميزة لبلدان العالم الإسلامي من خلال إحصاءات وجداول اقتصادية مفصلة يبرز هذا العالم بحاجة إلى قوة سياسية منظمة هي استخدام هذه الإمكانات، ألم تتوفر هذه القوة حتى الآن، أو يتوفر أساس واقعي لها قد يستخدم في المستقبل؟***

– لم تتوفر إلى الآن مثل هذه القوة السياسية المنظمة على الرغم من قيام محاولات لتوفرها، وهي محاولات ناضجة ولكن لم يكن هنالك تنسيق متواز بين هذه القوى السياسية المنظمة وبين محاولات أخرى تنهض للمقاومة في العالم الإسلامي نفسه، ولذلك بقيت محاولات مثل هذه منفردة على الرغم من نجاحها الكامل على صعيد وطني وخاص بدولة واحدة فقط، لكنه كان بحاجة إلى امتداد داخل بلدان إسلامية أخرى لكي تكون هنالك عملية شاملة من التنسيق الدبلوماسي والعسكري. تعم العالم الإسلامي برمته مثلما تحتوي الاستراتيجيات الغربية العالم الإسلامي برمته من خلال التنسيق المنظم بين سياساتها، فالدول الأجنبية قد تختلف في المصالح الخاصة بينها، لكن هناك هدفاً واحداً لا تختلف فيه هو استمرارية هيمنتها على بلدان العالم الإسلامي ككيان مخالف لها حضارياً، وكموضوع مصلحة جيوستراتيجية بالنسبة لها. ومن هنا كان التنسيق بين الدول الكبرى شاملاً مقابل غياب تام للتنسيق مقابل فعال لدى البلدان الإسلامية.

****هل بسبب هذا تركزون على التجربة السعودية التي قام بها الملك عبدالعزيز آل سعود في اختراق الاستراتيجيات الغربية، وكذلك تركزون على التجربة الإيرانية بعد قيام الثورة الإسلامية في إيران عام ١٩٧٩، باعتبارهما تجربتين متميزتين في مقاومة الاستراتيجيات البريطانية والأمريكية هذا مع الفارق بين التجربتين؟***

– ينبغي في البداية التركيز على الفارق أو الخلاف بين التجربتين. فبالنسبة لتجربة الملك عبدالعزيز آل سعود كانت أكثر نضوجاً وشديدة العقلانية، وكانت مواكبة لمسار التطورية التاريخية للأحداث، وذلك عبر إدراك كامل لهدف القوى الكبرى المهيمنة على منطقة الشرق الأوسط. أما التجربة السياسية للثورة الإسلامية في إيران فتختلف ولنبدأ بتجربة الملك عبدالعزيز بتوحيد المملكة العربية السعودية.

قام الملك عبدالعزيز بتوحيد الجزيرة العربية بعد نزاعات داخلية عديدة انبثقت فيها. كان أهمها النزاع مع الشريف حسين الذي كان يمثل الهيمنة البريطانية، وبعد توحيد الجزيرة وتأسيس المملكة العربية السعودية خرج

الملك عبدالعزيز من دائرة أكبر نفوذ استعماري في المنطقة هو النفوذ البريطاني، وبذلك بقيت المملكة الفتية آنذاك أول دولة عربية إسلامية تقف خارج نطاق الهيمنات الأجنبية السائدة بعد الحرب العالمية الثانية. وهذه السابقة هي الأولى من نوعها في العالم الإسلامي، أي: قيام دولة إسلامية حديثة معترف بها دولياً دون أن تكون هذه الدولة خاضعة لأية هيمنة من قبل دولة استعمارية كبرى، وذلك في مرحلة تاريخية خطرة شهدت أعلى مرحلة من مراحل الهيمنات الأجنبية على العالم الإسلامي.

وعلى الرغم من خضوع كل بلدان منطقة الشرق الأوسط في هذا الوقت إلى الاستعمار البريطاني وإلى دينامية الاستراتيجية العسكرية والدبلوماسية البريطانية، فإن الملك عبد العزيز كان حالة متفردة بمملكته الحديثة النشوء، إضافة إلى ذلك فإن تأسيس الدولة السعودية قد اقترن بعقد مؤتمر إسلامي، أي أن الملك عبدالعزيز بعد توحيد الجزيرة العربية وبعد إعلانه لتأسيس الدولة السعودية، وبعد إقراره للنظام السياسي فيها كنظام يلتزم الشريعة الإسلامية كدستور له لم يكتف بذلك، بل كانت كل إنجازاته السابقة ماهي إلا مراحل لهدف أعلى كان يأمله وهو القيام بتأسيس سياسة إسلامية على نطاق عالمي. وهو إدراك مبكر جداً لطبيعة خطورة الاستراتيجيات الغربية تجاه العالم الإسلامي وتأسيس لسياسة إسلامية بعيدة المدى. وفي الواقع عندما كنت أبحث عن وثائق ومراجع هذه المرحلة في أرشيفات وزارة الخارجية البريطانية والفرنسية وكتب تحليلية وأكاديمية أخرى دهشت بأن أرى شخصاً بدوياً يخرج من الصحراء العربية وغير دارس في الأكاديميات الجامعية والدبلوماسية له هذا الحدس السياسي الثاقب في إدراك عمق عقلانية الاستراتيجيات العالمية، بحيث يقوم برد فعل عقلاني في نتائجه الفعالة على مدى زمني بعيد. فهو إن جاز التعبير بالمستوى نفسه لعقلانية ودقة ونستون تشرشل في السياسة البريطانية. مع الفارق بأن تشرشل كان يدير سياسة دولة عظمى مثل بريطانيا، بينما كان الملك عبدالعزيز آل سعود يقود سياسة دولة ناشئة هي المملكة العربية السعودية، ولذلك فإن عناصر القوة كانت محدودة بالنسبة لديه ،إضافة إلى أنه كان منفرداً ليس هنالك من دولة إسلامية بجانبه يمكن أن ينسق معها ويمد إليها مشروعه السياسي/ الإسلامي. وبتجاوز التفاصيل واختصاراً لها كان مشروع الملك عبدالعزيز مشروع

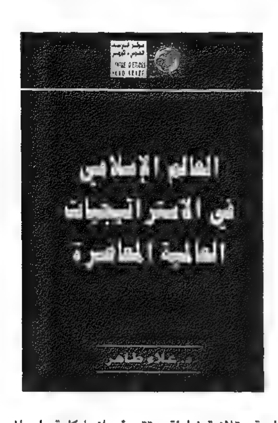

مقاومة عقلانية شاملة حققت أهدافها كلية على المستوى الوطني لدولته، لكن هذا المشروع لم يتحقق على مستوى الدول الإسلامية بسبب غياب نظام سياسي آخر له الرؤية الناضجة والهادئة نفسها التي كان يمتلكها الملك عبدالعزيز، ولذلك بقيت المملكة العربية السعودية بعيدة عن الصراع بين الاستراتيجيات الغربية في تلك الفترة. وأول تعاون مع قوة عظمى كان قد ابتدأه الملك عبدالعزيز لخرق الهيمنة الاستعمارية البريطانية عبر التقائه روزفلت في نهاية الحرب العالمية الثانية ليحدد بداية انفتاح سعودي على العالم الخارجي.

أما التجربة الإيرانية، فعلى الرغم من الطاقة الضخمة التي امتلكتها الثورة الإسلامية في إيران، وعلى الرغم من الاستقلالية التامة التي التزم بها آية الله الخميني تجاه القوى الغربية إلا أن الدبلوماسية الإيرانية في عهد الثورة كانت دبلوماسية مواجهة مفتوحة إعلامياً دون أن تكون الثورة الإسلامية في إيران قد وقفت على أقدامها بعد، بحيث تكون صلبة تجاه السياسة الغربية التي حاصرت بقوة الحكومة الإسلامية في إيران منذ اللحظات الأولى. كما أن الثورة الإيرانية قد أعلنت منذ اللحظة الأولى موقف معارضة وعداء لكل الأنظمة الإسلامية المجاورة لإيران، الأمر الذي استغلته القوى الغربية لكي تلعب على موازين العلاقات الإقليمية داخل منطقة الخليج العربي، وداخل منطقة الشرق الأوسط. ولذلك فإن الثورة الإسلامية في

إيران لم تنجح في إيجاد دولة مقاومة تراكم جهودها الاستقلالية رويداً وبالتدريج لكي تنتج بالتالي دولة مقاومة إقليمية- إسلامية ذات مشروع استقلالي إسلامي مؤثر وفعال على مستوى العالم الإسلامي كما فعل الملك عبدالعزيز. ومن هنا كانت محاولة الثورة الإسلامية في إيران على الرغم من ثباتها استراتيجياً، كانت خاطئة على مستوى التكتيك رغم تأثيرها الإيجابي على مستوى إنضاج الوعي الإسلامي اجتماعياً داخل البلدان الإسلامية. إلا أنه كخلاصة لذلك تبقى محاولة الملك عبدالعزيز هي الأكثر نضوجاً؛ لأنها حققت أهدافها كاملة سواء على مستوى بناء دولة إسلامية وطنياً، أم على مستوى تأسيسها لمشروع إسلامي عالمي دولياً.

***** بعيداً عن الكثير من تفاصيل الكتاب، وعن الكثير من الأسئلة التي يثيرها وخصوصاً فيما يتعلق بانتقادك العنيف للتيار القومي وما أدى إليه من أخطاء ونتائج تصل إلى حد الكارثة، هل هنالك من أمل مستقبلي بالنسبة للعالم الإسلامي بأن يكون قوة دولية على الرغم من تناقضاته الحياتية كما تقول؟**

- كل كتاب يؤلفه مؤلف ما هو إلا محاولة للبحث عن أمل وسط الركام. يكفي أحياناً أن نشير إلى مواطن الأزمة دون تقديم حلول، وهذه الإشارة بحد ذاتها هي فعل إيجابي لأنها فعالية للكشف وللتشخيص، فكشف مسببات الأزمة هو جزء من استشراف معالم حل محتمل ولكن يبقى التساؤل الأكبر حجماً هو: هل هنالك أمل؟ وهنا يبقى الجواب معلقاً بعملية تحديد المسببات التي تم إنجازها كما أمل في الكتاب. ثم لنعاود السؤال : هل هنالك أمل؟ والجواب اسمح لي أن يكون شخصياً وبسيطاً هذه المرة وليس أكاديمياً. ولذلك سيكون باختصار: متفائل.. إن شاء الله. ■

في مقهى المكتبة

ثقافة التوحيد

بقلم: عبد العزيز الوهيبي

في فترة ما من فترات تاريخها غير البعيد عادت نجد وما جاورها إلى صور من الممارسات والعادات والتقاليد تكاد تشبه تلك الحال التي كانت عليها الجاهلية الماضية. ونُسي العلم وعم التقليد الأعمى وطُمست كثير من معالم الدين الحنيف. حتى قيض الله لهذه الأرض الإمام الهادي الشيخ محمد بن عبدالوهاب - رحمه الله تبارك وتعالى-.

وإذ بأعمدة الجهل تتهاوى وتدور حركة ثقافية علمية قل نظيرها في عصرها؛ ثقافة مبنية على أساس من التوحيد الخالص، والإيمان بالله تعالى واليوم الآخر ثقافة يكون فيها التراث هو الحاضر الأول، وتتوارى خلفه كل التراثات والأفكار والعقائد والثقافات، ثقافة تعتز بهويتها وتؤمن بها إيماناً لا يتزلزل بأن هذا التراث هو المعيار الأعلى للصحة والسلامة والاكتمال... ثقافة لا تهتم بما يجري هناك على الضفة الأخرى من العالم من تطورات ولا تغيرات... لكن الحال لم يدم على ذلك - فدوام الحال من المحال - إذ لم تلبث هذه التطورات أن قرعت أبواب هذه الدعوة في عقر دارها، ومازالت بها حتى أثّرت على كثير من عقائد وسلوكيات وقيم وتصورات وموازين أبناء هذه الدعوة، فصرت ترى الفتى يعتمر القبعة الغربية، والفتاة ترتدي لباس الجنز الضاغط الذي يكشف أكثر مما يخفي، وصارت محلات الـ«Fast Food» تقابلك حيثما ذهبت تماماً كالبثور تعلو وجه فتاة صبوح.

وصرت تسمع - ويا لهول ما تسمع - عن أسر تضع والديها في مأوى العجزة، وعن امرأة تقتل زوجها، وولد يضرب أباه... والكثير الكثير من قيم ومعايير وأخلاقيات الآخر الكافر والمنحرف.

ومن هنا تجيء أهمية العودة بثقافتنا إلى منابعها أن تعود الريادة كما كانت من قبل مصدر هداية وإشعاع ثقافي للعالم الإسلامي بأسره. إنه حلم يراود المثقفين والمصلحين والهداة، فيعود الأدب والفن والعلم والثقافة والفكر - كما يجب أن يكون - في خدمة العقيدة ودفاعاً عنها، وكشف عن مدى الفقر والعوز والجفاف الذي تعانيه البشرية بعيداً عن ثقافة التوحيد. هل نتمكن في عام الثقافة أن نعلن عن توحيد الثقافة في ثقافة التوحيد.. أمل ذلك.

هل مناهجنا تهدي العلم لسارقيه؟!

لا يخفى على أحد ما للمناهج التعليمية من أهمية في الحفاظ على هوية الأمة وتراثها وحضارتها، ودورها في إعداد الأجيال وتسليحهم بثقافة أصيلة، تورث العزة والثقة بقدرات الأمة في ماضيها ومستقبلها، مما ينعكس على الناشئة من رفع روح المنافسة في ميادين التقدم العلمي المعاصر وما يواكبه من ثورات تقنية هائلة.

* أستاذ بكلية الملك خالد العسكرية

وإن المتأمل لتاريخ العلوم منذ نشأتها يجد أن العلماء المسلمين كانوا ضحايا لحملات تزييف وتزوير مورست عليهم خلال فترات من التاريخ. وخلال هذه الصفحات محاولة لتوضيح بعض ملامح هذه الحملات ودوافعها وإبراز لبعض الشواهد الواردة في ثنايا بعض كتب العلوم المقررة على طلابنا ومن دون استقصاء.

ولعل الدافع لذلك كله هو الشعور بالأمانة العلمية التي هي من أهم القيم والأعراف الأكاديمية، وهي تحتم على الباحث نسبة القول لقائله وإعادة الحق إلى نصابه والاعتراف لأهل الفضل بفضلهم، كما يوجب علينا الإنصاف والعدل حتى مع أعدائنا.

وقد كان هذا شأن العلماء الرواد في الحضارة الإسلامية عندما بدأت النهضة العلمية المبكرة في مرحلتها الأولى بترجمة مؤلفات الحضارات القائمة آنذاك من صينية وهندية وفارسية ويونانية، فنسبوا آراء أرسطو إليه وتعاليم بقراط الحكيم وفيثاغورث وبطليموس وغيرهم. خصوصاً وأن الظروف السائدة آنذاك ليست مشحونة بين المسلمين والأمم الأخرى، كما هي عليه عند بدايات النهضة الأوروبية، وكان للبلدان المفتوحة حديثاً دور بارز في احتكاك المسلمين بحضارات الأمم الأخرى عبر الباحثين والعلماء الذين اعتنقوا الإسلام بعد فتح بلادهم.

ولم يؤثر عن أحد من علماء المسلمين أنه انتحل رأياً لأحد أو فكرة أو كتاباً، وكان مانعهم من ذلك التزامهم بتعاليم دينهم وثقتهم بما قاموا به من أعمال رائدة جعلتهم في غنى عن التزوير والتزييف، فقد صححوا كثيراً من آراء من سبقهم وأخضعوها لمنهج علمي دقيق، وكانت لهم الريادة في وضع أساسات العلوم وهدايتها وتقويم مسيرتها والاهتمام بالتجربة العملية والثمرة التطبيقية من النظريات والعلوم.

يقول فرانس روزنتال في كتابه «استمرار علوم الإغريق القدماء في الإسلام» موضحاً دور موقف الدين الإسلامي من العلم وأنه الدافع والمحرك الكبير للنهضة العلمية عند المسلمين:

(.. وموقف الإسلام هذا هو الدافع الأكبر في السعي وراء العلوم، وفتح الأبواب للوصول إلى المعارف الإنسانية، ولولاه لانحصرت الترجمة في أشياء ضرورية للحياة العلمية وحدها)(١).

إلا أنه وعند أفول حضارة المسلمين وبداية انتقالها إلى الغرب عبر جامعات المسلمين في الأندلس وتوافد الطلاب من سائر بلاد أوروبا إليها وما أعقب ذلك من هيمنة الاستعمار الأوروبي على بلاد المسلمين واستيلائه على ثرواتها الاقتصادية والعلمية رحلت علوم المسلمين وذلك بنقل مخطوطاتهم وكنوز مكتباتهم وتراثهم وآثارهم إلى البلاد المستعمرة على حين غفلة من المسلمين آنذاك.

تمت هذه النقلة في أجواء عدائية بين المسلمين وأوروبا وكان الشعور السائد هو الحقد والضغينة والبغضاء مما انعكس بشكل واضح وجلي على عملية نقل العلوم والمعارف إلى أوروبا بخلاف ما كان عليه الوضع في بداية النهضة العلمية عند المسلمين، يقول فؤاد سزكين: (إن عملية الأخذ والتمثيل قد تمت لدى اللاتين على غير الصورة التي تمت بها عند العرب، ذلك أن المسلمين اهتدوا إليها بواسطة الذين اعتنقوا الدين الإسلامي -عند الفتح- وبواسطة مواطنيهم أصحاب المعارف الأجنبية. أما عند اللاتين فكانت على صورة أخرى.. لقد كانوا -أعني اللاتين- مضطرين إلى أخذ المعارف، وإلى أخذ أنظمة المؤسسات المختلفة، وإلى أخذ أساليب الجامعات وبرامجها من الأعداء السياسيين والدينيين. لقد كانوا يشعرون بشعور المعاداة والبغضاء تجاه من يأخذون عنهم، وانعكس ذلك على عملية الأخذ بصورة عقد نفسية، وطبيعي بعد هذا أن يفقدوا عنصري الوضوح والصراحة، وهما العنصران الأصليان في عملية أخذ المسلمين عن الآخرين)(٢).

ونتيجة لهذه الأجواء انطبعت العلاقة العلمية بين التلاميذ وأساتذتهم بطابع الانتحال والجحود حيث انتحل التلاميذ علوم أساتذتهم ونسبوها لأنفسهم يقول فؤاد سزكين:

(وهناك أكثر من هذا، فقد اتخذت عملية أخذ اللاتين من علوم المسلمين صفة الانتحال، ولقد بَيَّنَ هذا عدد من العلماء المتخصصين في بحوث كثيرة، إذ أظهروا كيف انتحل علماء لاتين لأنفسهم بحوثاً أخذوها من كتب العلماء المسلمين، أو انتحلوا كتباً كاملة ترجموها إلى لغتهم، زاعمين أنها من إبداعهم وتأليفهم، كما أنهم نقلوا كتباً عربية أخرى، ثم زعموا أنها لمشاهير من الإغريق مثل أرسطاطاليس وجالينوس وروفوس وسواهم)(٣).

ومن رموز هذا التيار المعادي زعيمهم روجيه باكون وريموندوس لولوس (الذي توفي سنة ١٣١٥م بعد أن بذل حياته وجهده في مقاومة كل شيء عربي، وألف عدداً كثيراً من كتب الكيمياء، ثبت أخيراً أن معظمها مؤلفات

عربية) وباراسيلسوس المشهور الذي كان ينتحل كتب العرب ويكافح تراثهم(٤).

وفي مقابل هذا التيار الذي ينادي لتجريد العلوم من هويتها العربية، كان هناك تيار منصف دافع عن العرب بدافع تقديره للعلوم الإسلامية، وكان أبرزهم أندرياس ألباغوس مترجم كتاب ابن النفيس الذي انتحله مايكل سرفت (Servet)، إلا أن تيار المعاداة ظل منتصراً عدة قرون إلى أن ظهرت الحركة الاستشراقية في القرن الثامن عشر، وبدأ الاهتمام بتراث العالم العربي والإسلامي وثقافاته.

وبنظرة سريعة لأحد الكتب العلمية المقررة في مراحل التعليم الأساسية وهي الكيمياء على سبيل المثال للصف الأول الثانوي نجد مصداق ما سبق ذكره خلال الأمثلة التالية:

أولاً: يقول المؤلفون في صفحة ١٦: (وعندما ترجم العرب المؤلفات اليونانية، اطلعوا على أفكار من سبقهم من العلماء وبحثوا فيها وأضافوا إليها) وهي عبارة تنطوي على شيء من الإجحاف بحق الحضارة الإسلامية ودورها في مسيرة العلوم، وذلك لأنها تجعل دور المسلمين منحصراً في الترجمة والبحث والإضافة فقط في حين أن جهود علماء المسلمين تتجاوز ذلك كثيراً، حيث أعادوا صياغة العلوم وصححوا كثيراً من الأفكار الخاطئة التي علقت بها وأخضعوها للتجربة العملية فما أيدته التجربة قبلوه وما خالفها رفضوه. فأعادوا البحث العلمي إلى طريقه الصحيح وصححوا مسيرته بعد أن كادت أن تتخبط بسبب النظريات الفلسفية المجردة التي وضعها أرسطو فنقضوا آراءه بإمكان تحويل المواد الخسيسة إلى نفيسة، وقالوا باستحالة تحول المواد إلى ذهب وأنها مجرد طلاءات دون تغيير لحقيقة معدن الذهب، وكان منهم ابن سيناء وأيد ذلك شيخ الإسلام ابن تيميه، تقول الكاتبة زيغريد هونكه: (إن العرب لم ينقذوا الحضارة الإغريقية من الزوال ونظموها ورتبوها ثم أهدوها إلى الغرب فحسب، إنهم مؤسسو الطرق التجريبية في الكيمياء والطبيعة والحساب والجبر والجيولوجيا وحساب المثلثات وعلم الاجتماع. وبالإضافة إلى عدد لا يحصى من الاكتشافات والاختراعات الفردية في مختلف فروع العلوم والتي سُرق أغلبها ونسب لآخرين، قدم العرب أثمن هدية وهي طريقة البحث العلمي الصحيح التي مهدت أمام الغرب طريقه لمعرفة أسرار الطبيعة وتسلطه عليها اليوم)(٥).

ثانياً: نسب الكتاب هذا الإنجاز الذي مر ذكره إلى الباحث روجيه بيكن (Roger Bacan) وغمز علماء المسلمين الذين ذكرنا فضلهم ودورهم في رفض فكرة أرسطو بعبارة لا تمت إلى المنهجية العلمية بصلة، وهي أقرب للتعابير الأدبية العاطفية البعيدة عن الدقة والمنهجية علاوة على عدم صحتها وما فيها من تعميم وصف «التقليد الأعمى» وهو أبعد ما يكون عن الدقة والموضوعية. والعبارة هي:

«وفي القرن السادس عشر هاجم بيكن (Bacon) آراء أرسطو والتقليد الأعمى الذي جاراه العلماء فيه، وأيد فكرة تكوين المادة من ذرات، ودعا إلى إجراء التجارب وتكوين الملاحظات وإعمال الفكر السليم المبني على

الحقائق والبراهين».

كيف يوصف علماء جهابذة أسسوا علم الكيمياء وصححوا مسيرته (بالتقليد الأعمى)، نحن لا ننفي أن شريحة من المسلمين -هم الفلاسفة والمتكلمون- تابعت أرسطو، ولكن نقطع بأن بيكن ليس أول من هاجم آراء أرسطو ودعا إلى إجراء التجارب وتدوين الملاحظات وإعمال الفكر السليم المبني على الحقائق والبراهين -كما تنص عبارة الكتاب المقرر-، بل كان ذلك جزءاً مما قدمه علماء المسلمين للحضارة وليس بيكن أو بويل الإيرلندي، بل يعتبر أهم إنجاز للعالم جابر بن حيان أنه أدخل العلوم إلى المختبرات وأخضعها للتجربة. يقول مؤرخ المنطق برانتل (C. Prantl): «إن روجيه باكون أخذ كل النتائج المنسوبة إليه في العلوم التطبيقية من العرب»(٦).

ويقول فيرمان بكل صراحة ووضوح: «إن ما توصل إليه روجيه باكون أقل بكثير مما كان موجوداً عند العلماء العرب القدماء، ويوضح أن مهمة العلماء المسلمين لم تكن تعتمد على التجربة وحدها، وإنما اهتموا في الواقع بمسألة أن التجربة يجب أن تسبقها النظرية»(٧).

ومما يعزز ذلك ويؤكده ما يقوله الباحث في تاريخ العلوم والحضارات فؤاد سزكين عن باكون في تعليقه على ظاهرة العداء لكل ما يمت للعرب والمسلمين بصلة: «ربما تمتد هذه الظاهرة إلى عهد روجيه باكون (١٢١٠-١٢٩٠م) الذي اقتبس جميع ما نسب إليه من نتائج علمية من الكتب العربية المترجمة إلى اللاتينية»(٨).

ثالثاً: في صفحة رقم (١٨) وتحت عنوان (قوانين الاتحاد الكيميائي ونظرية دالتون)، يشرح الكتاب الأعمال التي قام بها بريستلي وبعده لافوازيه الفرنسي والتي أدت إلى استنتاج ما يعرف بقانون «بقاء المادة». على الرغم من أن ما قاما به هو بالضبط ما أجراه العالم أبو القاسم المجريطي في القرن الرابع الهجري -العاشر الميلادي أي قبلهما بثمانية قرون تقريباً.

يقول د. الدفاع: (كما تطرق أ. ج. هوليارد في كتابه (الكيمياء حتى عصر دالتون) إلى هذه التجربة التي وضعها لنا جابر الشكري في كتابه (الكيمياء عند العرب)، وتوصل هو ليمارد في نهاية المطاف إلى إعجابه بما توصل إليه أبو القاسم المجريطي من هذه التجربة، وهي القاعدة الكيميائية المعروفة (قاعدة بقاء الكتلة) أو بقاء المادة: (وهذا الناموس يقول بأن مجموع كتل المواد الداخلة في أي تفاعل كيميائي مساوٍ لمجموع كتل المواد الناتجة عن التفاعل، الأمر الذي أدهش معظم علماء الكيمياء. كما أضاف هوليارد في كتابه (صانعو الكيمياء): «إن أبا القاسم المجريطي يكفيه فخراً أنه انتبه إلى قاعدة بقاء المادة التي لم ينتبه إليها أحد قط من الكيميائيين السابقين له. وبعد مضي عدة قرون طور كل من بريستلي ولا فوازيه هذه القاعدة التي لعبت دوراً هاماً عبر التاريخ. وتعتبر قاعدة بقاء المادة من أسس علم الكيمياء الحديثة.

نال أبو القاسم المجريطي شهرة عظيمة بتحضيره أكسيد الزئبق، حيث إن المجريطي لم يسبقه أحد في وصف التجربة التي أدت إلى تحويل الزئبق إلى أكسيد الزئبق. والجدير ذكره أن كلاً من بريستلي ولا فوازيه استفادا من هذه التجربة، لذا يمكن أن نقول وبكل صراحة إن أول من حضر أكسيد الزئبق أبو القاسم المجريطي، ومن ثم أتى كل من بريستلي ولافوازية فطورا التجربة المخبرية التي قام بها أبو القاسم المجريطي»(٩).

رابعاً: وبعد ذلك كله ينسب الكتاب المقرر قانوناً آخر وهو قانون النسب الثابتة لفرنسي آخر هو براوست ويذكر المؤلف -على غير المألوف- أن القانون ينسبه البعض للجلد كي على وجه الشك دون جزم. في حين أن برنارد جافي في كتابه «بواتق وأنابيق» يقول عن الجلد كي وهو تلميذ للعالم المجريطي سالف الذكر: (ويعتبر آخر كاتب عربي معروف، وهو القائل أن العناصر عندما تتحد بنسب في الوزن واحدة»(١٠).

كما يقول أيضاً هوليارد في كتابه (الكيمياء في عصر دالتون): «إن الجلدكي توصل وبكل جدارة إلى أن المواد لا تتفاعل فيما بينها إلا بنسب وأوزان ثابتة»(١١).

ويقول الدفاع: «وقد تحدث عز الدين الجلدكي عن قانون النسب الثابتة الذي لعب دوراً عظيماً عبر التاريخ، وشرحه شرحاً مفصلاً اعتمد عليه كل من كبلر وجاليليو ونيوتن في دراساتهم»(١٢).

وبنظرة أخرى مماثلة لكتاب الكيمياء أيضاً للصف الثاني الثانوي نجد ما يلي:

أولاً: عند الحديث عن أصل المواد العضوية وتقسيم المواد، أورد المؤلفون في صفحة رقم (١٩٢) نبذة تاريخية عن تقسيم المواد بدءاً بتقسيم «العالم» لمري (Lemery) عام ١٦٧٥م للمواد حيث جعلها ثلاثة أقسام وهي الخضراوات والحيوانات والمعادن، في حين تجاهل الكتاب تقسيم الرازي المترجم له في أول الكتاب المتوفى عام

٣٠٢هـ-٩٣٢م للمواد وأنها أربعة أقسام: المعادن والمواد النباتية والمواد الحيوانية والمشتقات(١٣).

كما تجاهل تقسيم العالم المجريطي (المدريدي) المتوفى في عام ٣٩٨هـ-١٠٠٨م(١٤).

ثانياً: في أول سطر وفي أول صفحة من الفصل الأول للكتاب تجد النص التالي:

«لقد رأينا في كيمياء السنة الثانوية الأولى كيف أن دالتون قد استطاع في مطلع القرن التاسع عشر أن يفسر قوانين الاتحاد الكيميائي بنظريته الذرية التي تنص على أن العناصر تتألف من دقائق صغيرة تدعى الذرات، وأن الذرة هي أصغر جزء في العنصر، وأن ذرات العنصر الواحد متشابهة تماماً في جميع الخواص بينما تختلف العناصر باختلاف ذراتها» في حين أن هذا الكلام سبق أن قيل في عبارة أوضح منها وأدق علمياً وسابقة لها بألف عام حيث يقول جابر بن حيان عالم الكيمياء الذي أنتجته الحضارة الإسلامية ما نصه: (يظن البعض خطأ أنه عندما يتحد الزئبق والكبريت تتكون مادة جديدة في كلتيهما. والحقيقة أن هاتين المادتين لم تفقدا ماهيتهما، وكل ما حدث لهما أنهما تجزأتا إلى دقائق صغيرة، وامتزجت هذه الدقائق بعضها ببعض، فأصبحت العين المجردة عاجزة عن التمييز بينهما، وظهرت المادة الناتجة من الاتحاد متجانسة التركيب، ولو كان في قدرتنا الحصول على وسيلة نفرق بها بين دقائق النوعين لأدركنا أن كلا منهما محتفظ بهيئته الطبيعية الدائمة، ولم يتأثر مطلقاً)(١٥).

وكم كانت هذه العبارة دقيقة رغم تقدمها وكم كانت ثقة جابر بن حيان في كلماته حين يجزم بأنه لو كانت الوسائل العلمية متوفرة لديه لاستطاع إثبات كلامه علمياً. ثم انظر عبارة المؤلفين عن دالتون (قد استطاع)!.. (أن يفسر)!.

ثالثاً: أهمل الكتاب عند الكلام عن استخلاص الذهب من مخلوطه مع الفضة الإشارة إلى جهود العالم الجلدكي في (أنه أول عالم كيميائي يتوصل إلى فصل الذهب عن الفضة بواسطة حمض النتريك، الذي يذيب الفضة تاركاً الذهب الخالص)(١٦).

رابعاً: عند تعداد أهم طرق تحلية الماء في موضوع كيمياء الماء وفي صفحة رقم (٩٢)، ذكر طريقة التقطير دون نسبتها إلى مكتشفها العالم أبي المنصور الموفق الهراوي، حيث يقول المؤلف هوليارد عنه في كتابه «صانعو الكيمياء»: (... واهتم بكيفية تحضير العقاقير بالتقطير والتصعيد (التبخير) وكذلك تقطير ماء البحر)(١٧).

بعد هذا العرض السريع لبعض الشواهد والأمثلة يتوجه الحديث إلى فئتين لهما دور مهم في تلافي هذه السلبيات وتحقيق الأهداف السامية للتعليم هما:

أولاً: المسؤولون عن المناهج التعليمية بضرورة تعديلها أو أخذ ذلك بعين الاعتبار ولا يكتفى بوضع نبذة موجزة في بداية الكتاب عن أحد علماء المسلمين قد تهتم بجوانب شخصية أكثر من اهتمامها بالجانب العلمي الحضاري.

هذه النبذة لا يهتم بها المعلم فضلاً عن الطالب كما أنه ليس من المناسب أن تفرد بمادة مستقلة تكون عبئاً على الطالب تزيد من معاناته، لكن لعل الطريقة المثلى أن تكون إشارات متفرقة مع كل مبدأ أو قانون أو نظرية علمية يشار إلى صاحبها ومكتشفها الحقيقي مع نص

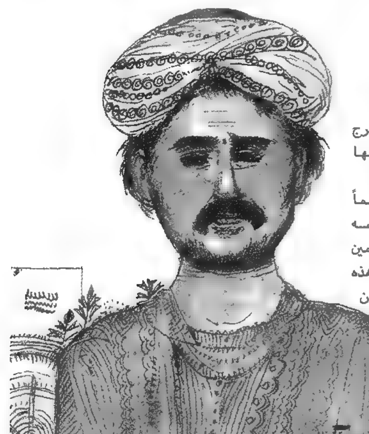

عبارته والمصدر الذي ذكرها فيه -إذا أمكن- لئلا يتخرج الأجيال منقطعين عن ماضي أمتهم المجيد وتاريخها العريق.

ثانياً: الأساتذة والمدرسون حيث إن لهم دوراً مهماً في تلافي أي نقص في المناهج الدراسية وتعويضه وضرورة اهتمامهم بذلك واطلاعهم على منجزات المسلمين في تخصصاتهم لئلا يكونوا أدوات سهلة في تعميق هذه السرقات وترسيخها في أذهان الطلاب الذين يدرسونهم.

ومن المؤسف حقاً أن تجد كثيراً من الأساتذة يردد ما هو مقرر في الكتب الدراسية، وكثيراً من المؤلفين والمترجمين يرددون ما هو موجود في المراجع الأجنبية دون تمحيص. فلا عجب إذاً أن يستقر في عقول الطلاب تعظيم الحضارة الغربية وتبجيل علمائها الذين تنسب لهم الإنجازات زوراً وتعدياً.

إن المدرس الناجح في تصوري هو من يضيف إلى تمكنه من المادة العلمية والقدرة على توضيحها للطلاب إلمامه بتاريخ العلم الذي يدرسه والظروف التي واكبت نشأته وزامنت تطوره.

وبوجود هذه النوعية من المدرسين التي تحرص على ربط العلوم بتاريخها يمكن تعويض ما يفتقده الكتاب المقرر من إشارات ومقدمات تاريخية تثري الموضوع وتعمق العلاقة بين الطلاب والمادة المدروسة.

وأختم هذه الأسطر بكلمات مضيئة وتصريحات منصفة للمستشرقة الألمانية زيغريد هونكه حتى يشاركني القارئ شعور الاعتزاز والفخر بالماضي المشرق لأمتنا وشعور التفاؤل بالمستقبل حيث تقول في مقدمتها للطبعة العربية: (لهذا صمَّمت على كتابة هذا المؤلف، وأردت أن أكرم العبقرية العربية وأن أتيح لمواطنيَّ فرصة العود إلى تكريمها، كما أردت أن أقدم للعرب الشكر على فضلهم، الذي حرمهم من سماعه طويلاً تعصُّب ديني أعمى أو جهل أحمق)(١٨). ■

الهوامش:

(١) محاضرات في تاريخ العلوم. فؤاد سزكين، ص ١٣

(٢) محاضرات في تاريخ العلوم. فؤاد سزكين، ص ٢١

(٣) محاضرات في تاريخ العلوم. فؤاد سزكين، ص ٢١

(٤) محاضرات في تاريخ العلوم. فؤاد سزكين، ص ٢١

(٥) شمس الله تسطع على الغرب. زيغريد هونكه، ص ٤٠١، ص ٤٠٢

(٦) محاضرات في تاريخ العلوم. فؤاد سزكين، ص ١٩.

(٧) محاضرات في تاريخ العلوم. فؤاد سزكين، ص ١٩

(٨) محاضرات في تاريخ العلوم. فؤاد سزكين، ص ٢٢

(٩) إسهامات علماء العرب والمسلمين في الكيمياء ص ٢٠٦، ص ٢٠٧.

(١٠) إسهامات علماء العرب والمسلمين في الكيمياء ص ٢٨٥

(١١) إسهامات علماء العرب والمسلمين في الكيمياء ص ٢٨٦

(١٢) إسهامات علماء العرب والمسلمين في الكيمياء ص ٢٨٥

(١٣) إسهامات علماء العرب والمسلمين في الكيمياء ص ١٧٠

(١٤) إسهامات علماء العرب والمسلمين في الكيمياء ص ٢٠٧

(١٥) إسهامات علماء العرب والمسلمين في الكيمياء ص ١٣١، ص ١٣٢.

(١٦) إسهامات علماء العرب والمسلمين في الكيمياء ص ٢٨٥

(١٧) إسهامات علماء العرب والمسلمين في الكيمياء ص ٢١٥

(١٨) شمس الله تسطع على الغرب. زيغريد هونكه، ص ٩

دائماً طازج
نادك
nadec
FULL CREAM
نادك
حليب طازج
FRESH MILK
مع إشراقة كل صباح

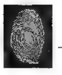

ارفعوا القبعات!

في المدرسة وخارجها، تجري الفتيات بلا هدف، قلق في النهار، وفي الليل أرق! شكوى وتذمر، شعور بالظلم من قبل الأسرة والمعلمات وكل من حولهن! يسعين للحصول على كماليات ما أن تصل إلى أيديهن حتى يشحن بوجوههن عنها... صداقات متعددة وشخصيات متذبذبة، يعشن الحيرة بكل تعرجاتها! تقودهن للتذبذب بشتى طرائقه! في مرحلة حرجة من أعمارهن تُدعى «مرحلة المراهقة».

من بعيد، في مكان غير المدرسة، بل هو بعيد عن الجو المدرسي، لا نظام يحكمه.. إن شئت أطلق عليه مسمى استراحة أو مخيم أو منتجع، كما يحلو لنا أن نضع تسميات متعددة لمعنى واحد!!

في هذا المكان يمارس الصغار اللعب، والكبار متعة الخروج عن المألوف بعيداً عن الروتين الممل! وهناك في الزمان والمكان نفسهما فتاة صغيرة تقف وجلى أمام كل خيمة وتتأكد من وجود سيدات بها قبل أن تدخل! تنظر للوجوه وتتفرسها، تقيس مدى تقبلهم لها، ثم تعرض عليهم بضاعتها تبحث عن مشتر أو مقدر لحاجتها!

بيدها كيسان في أحدهما لعب أطفال، بينما يحتوي الآخر كماليات للزينة.. تنثر بضاعتها بينهم فقليل يشتري وكثير منهم فضول!

أصابتها خيبة أمل حين قالت لها إحدى السيدات إن بضاعتك غالية الثمن... لملمت أغراضها وولت عنهم في عودة إلى طَرْق وجوه جديدة.

تصادف ضمن تلك الوجوه من تسألها عن اسمها وفي أي فصل دراسي... ترددت في الإجابة عن الجزء الثاني من السؤال بعد أن قالت إن اسمي «سمر» وكانت الصدمة لما قالت إنها في الصف الثاني متوسط!

دهش الجالسون ومرت لحظات صمت كانت خلالها النظرات المتبادلة تجول في المكان وكل واحد يريد من الآخر أن يتأكد من الإجابة! وعندما لمحت الفتاة الضئيلة الجسم الحيرة والاندهاش في عيونهم بددتها بكلمات مقتضبة بأن لديها نقصاً في هرمونات الطول!

أطرقت الرؤوس وشعر الجميع بالحرج ما عدا تلك الفتاة التي تابعت حديثها بأنها تعاني من قصر شديد في القامة وهي بصدد العلاج وأن الأمر لا يعدو عن كونه مسألة وقت ومال!! وسوف تنعم بالطول المناسب لسنها.

ما أصعب أن يجد المرء نفسه يعزي الآخرين بمصيبته ويخفف عليهم هولها!

ولم تكتف الفتاة بهذا السرد بل أعقبت ذلك بأن هذا الأمر أخف بكثير من أمراض أخرى لا علاج لها حيث أشارت أنها شاهدت أشخاصاً يملكون المال والجاه ويعانون من أمراض مختلفة شاعت في عصر الترف والرفاهية يستعصي علاجها ولم يفدهم وجود المال بين أيديهم!!

وكأن هناك بركاناً يكاد ينفجر حين قالت: أنا أبيع هذه الكماليات والاكسسوارات والألعاب لأحصل على المال اللازم لعلاجي!

قليلاً قليلاً بدأت تلك الرؤوس ترتفع خجلاً أو حرجاً... فكلنا نملك الجسد المكتمل فهل نملك تلك الروح؟! ونحن كما قال جل شأنه ﴿إذا مسه الشر جزوعاً﴾.

بدأت الأسئلة الطائشة تتناثر من الجالسين... عن مدة العلاج ونوعيته، ومدى التحسن ونجاحه!! وتأتي الإجابات الواثقة تباعاً من تلك الفتاة حتى خيل لهم أنهم أمام شخصية متكاملة، وبدأوا ينعون جيل أبنائهم المتعلق

الاختصاصية الاجتماعية في المجتمع إنسانة، تحمل في جوانحها طموحات كبيرة.. قد تتحقق فتطير جذلاً! وقد لا تتحقق فتتكور ألماً! وما تلبث أن تتمدد.. إلا أنها أبداً لا تملك من مصباح علاء الدين إلا أحقية إضاءته للتائهين في طرقات الألم.. بداية الطريق فقط! وتترك لهم فرصة إضاءة بقية الطريق.

رقية الهويريني
الرياض

بكلمة (طف ش) وضيقة الصدر والفارق في العاب (البلاي استيشن) وأفلام الكرتون والمشروبات الغازية وشرائح البطاطس ذات الرائحة المنتنة!

أفصحت الفتاة الصغيرة عن عشقها للأدب والقراءة والشعر كما تمنت أن تعمل بالصحافة، وكأن لديها رسالة تود أن تصل للمجتمع بعد سؤالها عن هوايتها واتجاهها الوظيفي!

أبدت إحدى الجالسات رغبتها في مساعدتها عن طريق إحدى الجمعيات الخيرية. وكأنها استهجنت العرض حيث ردت عليها بأنها تود أن تكون تكاليف علاجها من عمل يدها!

لا تندهشوا، الفتاة عمرها يتراوح بين الثالثة والرابعة عشرة وهمها الكبير الذي لم تصرح به ولكنه يسكنها هو: هل تستطيع الزواج مستقبلاً؟ ومن سيقبل بها زوجة؟! وأنت تقدر عمرها الحالي بين السابعة والثامنة!! ولا تعلم تلك الفتاة أن هناك من يفوقها طولاً وارتفاعاً إلا أنه لا يملك ما تملكه من عقل وفكر نير ومعنويات مرتفعة وعزة نفس. تحار حين تحدثها وأنت تعلم أنها نتاج منهج قديم و - ربما - معلمة تمضغ الكسل وأسرة تتقاذفها متطلبات الحياة وتطحنها نواجذ الركض خلف ضروراتها!

فهل هي طراز فريد من النجابة؟ أم أنها وليدة المعاناة التي تمخضت عنها شخصية متكاملة من النضج الفكري والوجداني.

ما بالنا نربي أولادنا على القيم والمبادئ التي نؤمن بها ونحقق لهم الرفاهية التي تشعرهم بكيانهم ونسعى لعدم احتياجهم للآخرين أو حتى لأنفسهم ثم لا يكونون بالصورة المطلوبة؟! ألسنا بذلك نكون قد ضربنا حصاراً شديداً على أولادنا ضد البرد والجوع والصدمات وحتى ضد المعرفة والنجابة؟! هل هذا هو الاسم الحقيقي للتدليل الذي جعل أبناءنا لا يعرفون عن ذواتهم إلا أسماءهم مجردة فحسب؟! وهذا الخليفة عبدالملك بن مروان يقول حين سمع ابنه يخطئ في القراءة: حبنا للوليد جعلنا لا نخرجه للبادية لكي يتعلم لغة العرب!

وها نحن نعيد خطأ عبدالملك الذي انتبهت له الفتاة الصغيرة «سمر» حين تركت عنها اللعب مع لداتها واتجهت لهدف آخر هو أن تبتاع وتبيع لكي تحصل على ثمن العلاج الذي سيجعلها بحول الله تعيش الشكل الذي ترتضيه... وحين تشفى «سمر» ستكون اكتسبت طولاً في القامة، وضخامة في التجربة الثرية التي لولا عاهتها لكانت تسعى بلا هدف سهر في الليل وقلق في النهار - أسوة بزميلاتها وصويحباتها - تشتكي متذمرة من ظلم أسرتها ومعلماتها، وهذا الفستان لا يناسب تلك العدسات اللاصقة، وهذا الحذاء لا يناسب الحقيبة!

«سمر» تنتظر الليل لينقذها من الركض فتخلد للنوم بلا أرق! وتنتظر الصباح لكي تنتظم في فصلها الدراسي بلا قلق! وحين يأتي المساء تسعى لرزقها الحلال بلا هدر لإنسانيتها التي كرمها الله فعفتها عن سؤال الناس أعطوا أو منعوا.

نحن لا نريد لأبنائنا أن يتجولوا بائعين لعدم حاجتهم لذلك، فقد كفل الله تعالى لهم العيش الهانئ برزقنا وإغداقه علينا فلا حرمان إذاً. فقط نريدهم أن يدركوا الهدف الذي من أجله أوجدوا ويعيشون له. نريدهم أن يعرفوا أهمية الوقت والصحة والشباب فلا يصرفوها إلا لهدف نبيل.

أما «سمر» فندعوا لها بالشفاء من عاهتها، ولنرفع القبعات تحية لها ولعصاميتها! ■

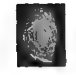

د. «أم»

نامت وفوق رأسها شهادة الدكتوراه

شعر: صالح الأحمر
الرياض

ها هنا..
ترقد عانس
وحدها..
والحلم فارس
فوقها صفّت زهور
ذبلت..
تحت (شهادات المدارس)!
وهنا..
ديوان شعر
فوقه بعض مناديل شجاها..
حرُّ ما كانت تلامس
وعلى الرف ملابس
طولها شبر، ونصف الشبر..
كانت قد شرتها..
لتناغي بخيال الأم طفلاً
وتناديه بـ«فارس»
كل شيء فوق هذا الرف
أغراض لفارس
دمية..
لهَّاية .
صوف على شكل قلانس
بينها رضاعة نامت.. تغطت..
بخيوط قد تدلت..
من عُرى شرشف فارس
***
ألف آه.. أم فارس
وتوسلتِ، وذا الدمع
على نقش مصلاتك بائس..
إيه يا أماً بلا طفل
وياروحا على أعتاب إطراقة يائس
تحبسين الدمع بين الناس
إصراراً..
وما للدمع يا عانس حابس
نمتِ والدمع بأجفانك، آهٍ..
من ترى يفهم دمعاً..
نام في مقلة عانس؟
***
يُحرق القلبُ..
تذوب الروح..
تُكوى شفة البسمة.
إذ يهمس هامس:
تلك عانس!

اليوم.. أنا امرأة

حصة الجهني
المدينة المنورة

قصة قصيرة

مشاعر متداخلة تتزاحم في نفسها.. لأول مرة اليوم ترتدي عباءة.. بالأمس قالت لها معلمتها في الصف: لقد كبرت ولابد لك من لبس العباءة، لا تذكر ماذا قالت لها المعلمة بعد ذلك، ولكنها أومأت برأسها على استحياء، عادت إلى المنزل والمشاعر المتداخلة تتصارع في أعماقها.

هل أرتدي العباءة غداً؟ أكبرت حقاً؟ ولم لا؟ آه.. أخيراً سأرتدي عباءة جميلة مثل أمي، لكم لهوت بالعباءة وأنا صغيرة، كانت لعبتي المفضلة أن أسير متبخترة وقد انتعلت كعب أمي العالي، ورفعت طرفي العباءة وأمسكت بهما في يد والحقيبة في اليد الأخرى.. آه لكن ذلك كان لعباً ولهواً، والأمر اليوم ليس مثله بالأمس.. إن أنا لبست العباءة اليوم فهذا يعني أنني لن أخرج إلى الشارع مرة أخرى بدونها.. وأترك أصحابي! نعم أصحابي فأنا أقود الأولاد في الحارة، وهم لا يستطيعون أن يفعلوا شيئاً بدوني. المشكلة ليست في صديقاتي البنات فهؤلاء أستطيع أن أراهن في أي وقت.. لا ليست هذه هي المشكلة، المشكلة في أصدقائي الأولاد، كيف سأراهم بعد ذلك؟ كيف أستطيع أن أتركهم هكذا وأمضي.. لا.. لا.. لا أستطيع أن أفعل ذلك.. لا أستطيع. لقد تعودت أن أقود أبناء الحارة في كرة القدم، أجل كرة القدم، ثم أنا التي أحفر لهم الحفر في الشارع لنلعب بها، وأنا التي أشتري لهم (الطراطيع)، فهم لا يعرفون من أين يشترونها. أأترك كل هذا وأختفي في المنزل؟ وماذا عساي أن أفعل في المنزل؟ أغسل وأمسح وأطبخ؟ لا.. لا أستطيع.

حسناً.. ولكنني أحب أن أرتدي العباءة، وأحب أن أشعر بأنني أصبحت فتاة كبيرة مثل ليلى ومريم بنات جيراننا. دائماً كنت أغبطهن على لبس العباءة، وأشتاق لليوم الذي سأصير فيه مثلهن.

إذن لماذا.. لماذا أنا حزينة هكذا؟ هأنا اليوم مثلهن، أسير في الشارع بعباءة وحقيبة على الكتف، فهل أنا حقاً مثلهن؟ لا لست مثلهن، إنني أقع في الشارع أكثر مما أمشي، الشارع مليء بالحفر، والعباءة تقع من على رأسي وأطرافها تتدلى من الجهتين ولا أعرف كيف أمسك بها مع حقيبة المدرسة هذه.

كانت حلماً من أحلامي. أجل كانت العباءة مستقبلاً بعيداً أتمنى اقترابه، وحين تحقق الحلم، والمستقبل أصبح حاضراً ملموساً بين يدي لم أجد للحقيقة عذوبة الأحلام، لم أكن أتصور أن الأمر صعب هكذا، لكم رأيت أمي وهي ترتدي العباءة والحقيبة في يدها وأخي الصغير فوق كتفها. ومع كل هذا تسير بمنتهى الثقة والاطمئنان فلم لا أكون اليوم مثلها؟!

لقد خرجت هذا الصباح متوجهة إلى مدرستي، وقد قررت أن أرتدي العباءة كما أمرت معلمتي، ولكن هيهات فمذ خرجت من المنزل وأنا في ارتباك شديد، وقعت في الشارع مئة مرة ومرة، وسقطت العباءة عن رأسي ألف

مرة ومرة، وعرفني أبناء الحارة كلهم؛ فالذي لم يرني وأنا أقع في هذه الحفرة رآني وأنا أقع في تلك، والذي لم يضحك على وقوعي في الحفر، وما أكثره، ضحك على العباءة وهي تسقط عن رأسي. إنني أذوب خجلاً واستحياءً وأنا أسير بين هذه الجموع التي تحلقت حولي، وهم يمسحون عيونهم من كثرة الضحك. ولكن لا بأس أنا قررت، ويجب أن أتحمل النتائج وأن أتحدى العقبات، ثم إن هذه أول مرة، نعم أول مرة. ولابد أنهم سيألفون الأمر بعد ذلك.

أهل الحارة لم يفهموا شيئاً من وداعي الباكي بالأمس؛ لقد خرجت إلى الشارع من بعد صلاة العصر ولم اعد إلى المنزل إلا في وقت متأخر، نعم لقد جمعت الأولاد جميعاً ولعبت معهم كل الألعاب التي في نفسي، أجل دخلت كل دكاكين الحارة، ومشيت في كل الطرقات وفي كل زاوية لي ذكريات وذكريات معها، نظرت إلى الوجوه.. كل الوجوه، ودعتها بقلبي ودمع عيني. تعجب الأصحاب مني كثيراً وأنا أردد: آخر مرة.. آخر مرة، لم يفهموا شيئاً، كانوا يتساءلون، ولكنني احتفظت بالأمر لنفسي، ونظرت في وجوههم، وقلت دون أن يسمعوا: غداً ستعلمون، وحين تأخر الوقت وأردت العودة إلى المنزل صافحت كل الأولاد.. كل أصحابي ودعتهم وأنا أعرف أنها آخر مرة.

نظرت إلى الشارع ملياً وأنا أقف موارية لباب منزلنا، وقلت في نفسي: نعم.. نعم.. الآن (شبعت)؛ نعم تشبعت نفسي وروحي من الألعاب كلها، لقد فعلت كل ما تتوق إليه نفسي، ودعت أصدقائي، وأسلمت قيادتهم إلى أحد الأولاد في الحارة لقد آن الأوان، نعم آن أوان الطفلة أن تكون امرأة.

واليوم هأنا ذي أسير.. تعثرت خطوتين لكن الثالثة استقامت، وإني سعيدة بخطوتي الثالثة، فما مضى كان طفولة عمري وبراءة أيامي، وما هو آت سيكون العمر الأجمل، العمر الذي أرسم فيه أحلام الانتماء إلى عالمي الذي خلقت من أجله، اليوم تبدأ أيام العمر الحقة.. اليوم أرسم أحلام امرأة.. ولأول مرة اليوم.. أنا امرأة. ■

قد هدمنا الكون؟!

شعر: فيصل الحجي
الرياض

يا سادتي الذين قد علونا
ما بالهم كأنهم جفونا؟
لم يسمعوا بنا ولم يرونا
نحن المدرسين كم شكونا
لكنما الصدى يجيء هونا
مالي أرى الطلاب قد اتونا
كأنهم بجحفل غزونا؟
كالغُرَبَا في بيتنا غدونا
ولم نر من (المدير) عونا
عوناً يصون البائسين صونا
حتى غدا البؤس لوجهي لونا
كالميْت... بل قد لا تلاقي بونا
لكنه نجا وما نجونا
أليس يكفي الفصل.. كم تلونا؟
وكم كتبنا الدرس أو محونا؟
وكم وقفنا فيه أو خطونا؟
يا ويلنا لو أننا سهونا!
ويشهد الطلاب كم سخونا!
وكم أغاظونا وكم عفونا!
وما ظلمناهم وما قسونا
نَقود هذا الجيل هوناً هونا
لسنا أبا جهل ولا فرعونا
لكننا (نعيا) كما ترونا
نكدّ مثل النمل مذ صحونا
فما يضير العلم لو خلونا؟
في فسحة.. عن همنا سلونا؟
ومن شراب منعش سقونا
وفي حديث ممتع لغونا
فهل ترانا قد هدمنا الكونا؟!

إنا كبود

شعر: صالح العبودي
القصيم

لسنا قطيعاً في الحظيرة.. يا أبي
إنا شغاف من حناياك.. ارتمت
مهج تفيض.. مشاعراً رقراقة
إنا كبود- يا أبي- مجروحة
دعنا بصلبك إن اردت شقاءنا
أبتاه طال رجاؤنا.. وتكسرت
لو كنت جباراً.. بلعنا حزننا
او كنت منحرفاً.. صبرنا دهرنا
او كنت تحت الأرض.. كنا ننطوي
لكنك الرجل الذي.. يسمو به
أوَ ما يمر عليك من أياته
ابتاه.. سافر حزننا بحياتنا
أبتاه هلا بسمة.. نزهو بها
أبتاه مالك معرض عن بثّنا
من ذا يُعوّضنا صبا- يا والدي
أوّاه.. يرحل عمرنا في غربة
هي فرصة- يا والدي- هلا أتت
عد يا أبي.. فقلوبنا ملتاعة

تغدو علينا.. تارة وتروح
في ساعديك.. وسرُنا مفضوح
واريجها.. في الخافقين يفوح
حرى.. على فقد الحنان تنوح
اولا.. فدعنا كالنجوم نلوح
عبراتنا.. والعطف منك شحيح
ياساً.. ولم يبد الشكاة فصيح
حتى تزول عن الخنا.. وتشيح
طي البساط، لكي تبل جروح
-بين الورى- القرآن والتسبيح
الأخذ-بالإحسان-والتسريح
فمتى يحين.. اللهو والترويح
بين الصغار.. فزهونا متبوح
أو ما سباك البوح والتبريح؟؟
-إن فاتنا-من قلبك-التفريح؟
نشقى ببعدك يا أبي.. ونصيح!
من قبل ألا يجديَ التصحيح
لم يروها التلميح.. والتصريح!!

الغــرفــة

قصة قصيرة

إبراهيم مضواح الألمعي

في عشية يوم من أيام سنة سبع وأربعمئة وألف للهجرة، جلس الأخوان يحتسيان الشاي إلى جوار الغرفة التي استأجرها لهما أبوهما منذ أسابيع؛ كانت أياماً ثقيلة فقدا خلالها الشهية في الطعام والكلام، وفقدا متعة المنافسة الدائمة بينهما في كل شيء، تبدلت حالهما منذ سكنا هذه الغرفة، الصمت يخيم عليهما، إلا عندما يصبح الحديث ضرورة، سؤالاً عن شيء، أو طلباً لأمر مهم، كان كل منهما أيلاً للبكاء، ولكنه يتماسك لكي لا يكون صاحب المبادرة.

مَلا رتابة الحياة الساكنة، بعد حياة الصخب والدأب التي كانا يحيانها في بيت أسرتهما الكبير، يستيقظان في الصباح على أصوات مزامير السيارات وحصحصة دواليبها، التي تدور حول الغرفة فتثير غباراً يقتحم الغرفة من نوافذها المخلّعة، فيكسو كل أشيائهما ثوباً ترابياً مزعجاً، ومع ذلك يشعران بالامتنان لها فهي تؤدي دور ساعة التنبيه.

يتجهان إلى المدرسة بشيء من الانزواء والترقب، يعودان إلى الغرفة ظهراً، وفي طريقهما يمران على عامل المطعم المجاور للمدرسة، الذي أصبح يعرف الطلب (نصف دجاجة مع الأرز) ويسجل القيمة في دفتر الحساب.

يتغديان في صمت، ثم يتلهيان بأي شيء، فالنوم في النهار يطيل انتظاره ليلاً، يصليان العصر ثم يعد أحدهما الشاي، ويجلسان في ظل شجرة الكينا، وتبدأ ظلال الكآبة الثقيلة تخيم عليهما، وهما يرقبان الشمس المائلة نحو الجبل - الذي أحبا كل موضع فيه - لتعانقه وتختفي وراءه، لم يعد للشاي مذاق محدد، يفكر كل منهما قليلاً قبل أن يحدث الآخر، وهو يشعر بغصة العبرة في حلقه، ويتمنى لو يرخي العنان لدموعه، فيغسل بها الحزن المكتوم في صدره، كان كل واحد يدرك ما يعتمل في صدر الآخر من لوعة فراق الأسرة الكبيرة السعيدة، ومع ذلك لم يجرؤ أحدهما على البوح بما يختزنه من كآبة، لأنهما يستحضران وصية والدهما التي كررها مراراً حين قال وهو يودعهما: «يا أولادي لقد أصبحتما رجلين ودخلتما المرحلة الثانوية؛ ولأن المدرسة بعيدة عن القرية فقد استأجرت لكما غرفة بجوار المدرسة، الله الله في دروسكما يا أولادي».

كان النوم أمنية ليلية صعبة المنال، يطرده من عينيهما محاولة استجلابه، وسط الوساوس الليلية التي تنتابهما في هدأة الليل الذي يحسبان حسابه من النهار فلا ينامان في الظهيرة، برغم حاجتهما للنوم، وفي المساء يحاولان تزجية الوقت بإعداد العشاء الذي لا يأخذ سوى دقائق، عشاء بسيط، غالباً ما يكون شيئاً من الجبن مع الخبز والشاي، ثم

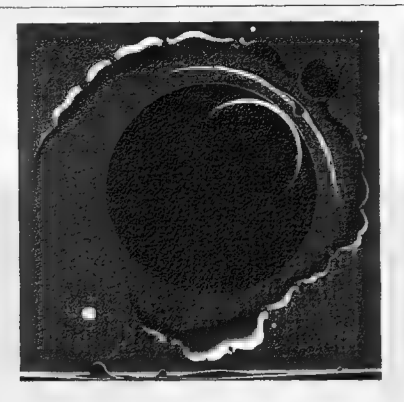

ينشغلان بحل الواجبات، ولكن كل ذلك يتم بسرعة ويبقى وقت طويل، ولابد من إطفاء (الإتريك) لتوفير الغاز، ثم يستلقيان على فراشيهما؛ يلفهما الظلام الدامس، يستمعان إلى الراديو ذي الموجة الواحدة، وبين الحين والآخر يحدث أحدهما حركة ليطمئن أن الآخر لا يزال مستيقظاً، ثم يعود السكون ووحشة الظلام إلى الغرفة.

تمر الليالي بصعوبة بالغة وعندما يولد الفجر يشعر كل واحد منهما أنه انشق عنه قبره ليعود إلى الحياة من جديد، كانت الليالي لا تطاق، لقد أدرك الأخ الأكبر أن الاستمرار على هذه الحال مستحيل، وأن هذا الجو الكئيب، سيحول بينهما وبين النجاح.

كانت المشكلة الحقيقية بالنسبة لهما هي فراق أمهما الحبيبة – وإن كانت المشكلة لا تبدو كذلك – فيمكن سلوان أي شيء إلا أمهما التي ودعتهما بدموع حبيسة في المحاجر، يعلمان أنها سترخي لها العنان عما قليل.

كان الأخ الأصغر يحاول بث أخيه ما يجد واستدراجه للكلام حين قال: لقد رأيت أمي في المنام البارحة؛ رأيتها.. لم يكمل عبارته فقد قاطعه أخوه الأكبر حين انفجر في نوبة بكاء كانت المخرج الوحيد من أزمة نفسية حادة، بادله الأخ الأصغر البكاء، واستمرا يبكيان كطفلين صغيرين، جفت الدموع وانقطع النحيب، وإذا كل واحد يحاول استعادة ما انخدش من كبريائه بابتسامة كاذبة.

وقبل أن يتكلما رأيا سيارة تتجه نحو الغرفة، مسحا الدموع، واقتربت السيارة، إنه زميلهما (أحمد) يوقف سيارته الجديدة إلى جوار الغرفة، فرحا بمجيئه؛ فسيخرجهما من كآبتهما، ويكفيهما مؤونة تبرير الدموع، وهو أول زائر لهما في هذه الغرفة، ثم إنه زميلهما الوحيد في المدرسة الذي يعرفانه من المرحلة المتوسطة؛ كل هذا كان دافعاً لاستقباله بحفاوة مبالغ فيها.

باركا له بالسيارة الجديدة، بغيرة ودهشة تختفي وراء الكلمات، قدما له الشاي، وكانا ينتظران معرفة سبب مجيئه إليهما في هذا الوقت، لم يسألاه، ولكنه أدرك ذلك فبادرهما بقوله: لقد اتفق أبو كما مع أبي على أن نأتي إلى المدرسة سوياً من القرية كل يوم بسيارتي الجديدة، وبعثني إليكما لآخذكما، وتتركا الغرفة.

كانت المفاجأة أعظم من أن تصدق، يفرحان ثم ينتابهما الخوف أن تكون إحدى مقالب (أحمد) الكثيرة، حتى أقسم لهما إنه يقول الحقيقة؛ فجمعا أشياءهما في السيارة، وانطلق الأخوان باتجاه القرية تجللهما فرحة افتقداها منذ زمن، فعجزا اليوم عن التعبير عنها إلا بالدموع. ■

فيروس الإيدز يسرّع من فاعليته:

محمد مصطفى السمري
الإسكندرية

قفز الدرن -مرة أخرى- على خريطة الأمراض بعد أن تم محوه منها لسنوات طوال، وذلك رغم التقدم العلمي الهائل والسريع الذي اجتاح العالم في مجالات التشخيص والعلاج والدواء.

عاد الدرن -طبقاً لآخر الإحصاءات التي أعلنتها منظمة الصحة العالمية وأوردها الاتحاد الدولي لمكافحة الدرن ليقتل ٣ ملايين شخص كل عام بواقع شخص واحد كل ٦ ثوان، ويصيب ٨ ملايين شخص كل عام. ويعيش الآن في عالمنا حوالي مليارين يحملون ميكروب الدرن في أجسامهم. وتشير توقعات العلماء والباحثين إلى أن الدرن سوف يغتال حياة نحو ٥٠ مليون شخص خلال العقود القليلة القادمة!!.

وتكمن خطورة الدرن في كونه يصيب الإنسان وهو في عمر الإنتاج والعطاء، وبالتحديد خلال فترة العمر من الخامسة عشرة حتى الخامسة والأربعين. فضلاً عن كونه شديد العدوى، إذ تبلغ عدد الميكروبات في البصاق الإيجابي (الذي يحتوى على الميكروب) ٥ آلاف ميكروب في السنتيمتر الواحد، بينما تعادل ٥٠ ألفاً عند العطس أو السعال من المريض.

ما هو الدرن؟

مرض معد قديم، عرفه ووصفه قدماء المصريين قبل ٥ آلاف سنة، يسمى أيضاً (السل) أو (التدرن). تسببه جرثومة الدرن العَصَوية الشكل، والتي اكتشفها العالم الألماني الشهير روبرت كوخ عام ١٨٨٢م.

وثمة نوعان أساسيان من جرثومة الدرن.. ومن ثم ينقسم الدرن -بكتريولوجياً- أي حسب نوع الجرثومة إلى نوعين هما:

* الدرن البشري: ويشكل ٧٥٪ من الحالات، وينتقل من شخص إلى آخر عن طريق البصاق الذي يحتوي على الميكروب. وتظهر الإصابة الأولية في الرئة، ثم تنتقل العدوى من الجهاز التنفسي إلى الجهاز الهضمي في الشخص نفسه عن طريق ابتلاع البلغم الملوث بالميكروب بعد نوبة من السعال. وقد ينتقل المرض عن طريق الدم إلى أي عضو بالجسم مثل الغدد الليمفاوية أو الكلى أو العظام أو الجلد... الخ.

* الدرن البقري: ويشكل ٢٥٪ من الحالات، وينتقل عادة للإنسان نتيجة تناول لبن الأبقار أو الجاموس، أو منتجاته كالجبن والزبد الملوثة بجرثومة الدرن، أو أكل اللحوم غير تامة النضج المصابة بالمرض.

وأساس هذا المرض هو حدوث (الدرنات) -ومن هنا جاء الاسم- سواء في الرئة أو غيرها من أعضاء الجسم، فحينما تصل العدوى إلى مكان ما في الجسم تأخذ العصيات في التكاثر، في حين تحيط بها خلايا الجسم الدفاعية، وتتكون مجموعة من الدرنات الصغيرة بحجم رأس الدبوس ثم تتصل ببعضها لتصبح بحجم البندقة ثم تتحلل وتُتلف خلايا العضو المصاب، وقد تنفجر الشرايين والأوردة فيبصق المصاب دماً به الميكروب. أما إذا كانت الإصابة خفيفة ومقاومة الجسم جيدة فإن هذه الدرنات تأخذ في الشفاء بالتليف ثم التكلس دون ضرر على العضو المصاب.

أنواع الدرن

هناك نوعان من الدرن: درن رئوي، ودرن غير رئوي.

أما الدرن الرئوي فهو الدرن المعتاد الذي يحدث في أغلب المصابين في المدن والأماكن المزدحمة بالسكان.

أما الدرن غير الرئوي فهو عدة أنواع هي: درن الأمعاء، والدرن البريتوني، درن الغدد الليمفاوية، درن العظام والمفاصل، درن الجهاز البولي والتناسلي، درن الأغشية السحائية بالمخ، درن الجديد.. الخ.

ويعد الدرن (الرئوي) أخطر هذه الأنواع قاطبة، نظراً لأن المريض نفسه هو الذي ينشر العدوى فضلاً عن كونه أكثر أنواع الدرن انتشاراً.

طريق العدوى

أولاً: الجهاز التنفسي (٩٢٪): عن طريق استنشاق الرذاذ أو البصاق المتناثر من أنف أو فم المريض، أو استنشاق الهواء والغبار المحمل بميكروب المرض.

ثانياً: الجهاز الهضمي (٧٪): وتتم العدوى عن طريق تناول الألبان الملوثة ومنتجاتها نتيجة شرب ألبان الماشية المصابة بالدرن.

ثالثاً: الجلد (١٪): وتحدث العدوى عن طريق خدوش بالجلد تؤدي إلى حدوث قرح درنية.

أكثر الأشخاص تعرضاً للإصابة

أولاً: الأطفال وخصوصاً المخالطين للمرضى.

ثانياً: مرضى الأمراض المزمنة وخصوصاً السكر والفشل الكلوي والإيدز والجذام وسرطان الدم والحصبة.

ثالثاً: المرضى الذين يعالجون بالأدوية الكيمائية والكورتيزون.

رابعاً: سوء التغذية.

خامساً: التدخين والخمور.

سادساً: الأجناس ذات البشرة السوداء.

أعراض الدرن

أولاً: الدرن الرئوي: (٧٥٪ من الحالات) ويشكو المريض عادة من ارتفاع بسيط في درجة الحرارة خصوصاً قرب نهاية النهار وفي المساء، وفقدان الشهية للطعام، ونقص مستمر في الوزن، وسعال مستمر لمدة ٣ أسابيع لا يستجيب للعلاج بأدوية السعال والمضادات

يصيب الدرن ثلث سكان العالم (٢مليار) يموت منهم ٨ ملايين سنوياً

الحيوية، وتكون بصاق (بلغم) مدمم مع إجهاد وكسل وخمول يزداد تدريجياً، وتستمر هذه الحالة دون تفسير واضح.

ثانياً: الدرن غير الرئوي: (٢٥٪ من الحالات) ويشكو المريض عادة من فقدان الشهية للطعام، ونقص شديد في الوزن، وارتفاع درجة الحرارة وظهور العرق ليلاً، مع ظهور أعراض موضعية حسب مكان الإصابة.

أسباب عودة الدرن

أولاً: انتشار مرض نقص المناعة المكتسبة (الإيدز)، حيث وجد ميكروب الدرن مرضى الإيدز صيداً سهلاً وثميناً فنفذ إلى أجسامهم وتمكن منهم. مما أدى إلى ارتفاع معدلات الإصابة بالدرن، نظراً لوجود علاقة عكسية بين قوة الجهاز المناعي واحتمال الإصابة بالدرن.

وتشير الدراسات الطبية الحديثة إلى أن الإيدز مسؤول بدرجة كبيرة عن عودة الدرن مرة أخرى، فقد أعلن مركز مراقبة الأمراض في (أطلانتا) أن عدد إصابات الدرن في عام ١٩٩٠م، ارتفع ٩٪ عن السنة السابقة لها، وهي السنة التي ظهر فيها تكاثر الدرن بعد عشر سنوات من التراجع التام.

ويرى الباحثون أن انتشار فيروس نقص المناعة يسرع من فاعلية الدرن عند الأشخاص المصابين، الأمر الذي سوف يعود بكارثة الدرن إلى فترة الثلاثينيات من القرن الماضي عندما فقدت مدينة مثل (كورنو ول) بإنجلترا ١٪ من تعداد سكانها في عام واحد.

ثانياً: استعمال بعض العقاقير المثبطة لمقاومة ومناعة الجسم مثل (الكورتيزون) أصبح واسع الاستعمال للحاجة إليه في كثير من الأمراض. وأيضاً، العقاقير التي تستعمل لعلاج بعض الأورام، وكذلك بعض العقاقير المستعملة في حالات نقل الأعضاء مثل عمليات نقل الكلى والقلب.. وكذلك مرضى السكر.

ثالثاً: حدوث طفرات في نوعية الميكروب المسبب للدرن وظهور ميكروبات جديدة ذات مقاومة للعقاقير المستعملة في علاج الدرن، بحيث لا تتأثر بالعلاج ولا تستجيب له. مما يجعل المريض المصاب بهذا النوع من الميكروبات الخطيرة مصدر عدوى للآخرين من المخالطين له في البيت أو في العمل فينتشر بينهم المرض.

رابعاً: اكتشاف أساليب حديثة وتقنيات متطورة

تساعد في التشخيص الدقيق للمرض وبيان الأعداد الحقيقية للمصابين. من هذه التقنيات المتطورة المستجدات المعملية والوسائل الشعاعية المختلفة والمناظير مما ترتب عليه اكتشاف حالات كان يصعب اكتشافها في السنوات القليلة السابقة.

خامساً: تزايد معدلات الفقر وتردي مستويات المعيشة والتغذية خصوصاً على مستوى سكان العالم الثالث.

سادساً: تلوث البيئة وقلة التهوية.. ومعروف أن العدوى بالدرن تحدث عند استنشاق الهواء والأتربة المحملة بميكروب الدرن بعد جفاف بصاق المريض. ومن ثم ينتشر المرض بين أفراد الأسر الفقيرة الذين يعيشون غالباً في أعداد كبيرة داخل حجرة واحدة سيئة التهوية.

سابعاً: استعمال العقاقير المضادة للدرن في علاج الالتهابات غير الدرنية دون داع، مما أدى إلى انخفاض فاعلية هذه المضادات.

ثامناً: علاج بعض حالات الدرن بعقار واحد فقط، مما أدى إلى ظهور سلالات من الميكروب أكثر مقاومة للعلاج.

تاسعاً: ارتباط التعرض للدرن بالإقبال على إدمان المخدرات الذي يقلل الشهية للطعام ويحطم الجهاز المناعي للجسم، وبالسهر وبتناول المشروبات الكحولية وممارسة العلاقات الجنسية غير السوية.

تشخيص الدرن

أولاً: الفحص السريري (الإكلينيكي) الدقيق للمريض.

ثانياً: فحص الصدر بالأشعة: للفحص بالأشعة أهمية قصوى في تشخيص ومتابعة مريض الدرن.

ثالثاً: فحص البصاق واكتشاف ميكروب الدرن فيه هو العلامة المؤكدة على وجود مرض الدرن.

رابعاً: اختبار (التيوبر كلين) ويجرى هذا الاختبار للمساعدة في التشخيص المبكر والسريع للمرض، وخصوصاً في الأطفال. ويتم حقن جلد المريض ببروتين مستخرج من ميكروب الدرن. وفي أثناء الحقن يحدث انتفاخ حول مقدمة الإبرة. ويكون الاختبار باطلاً إن لم يحدث هذا الانتفاخ، ويلاحظ مكان الحقنة بعد ٤٨ و٧٢ ساعة، ولا يهم بحدوث احمرار، ولكن يهتم بحدوث ورم صلب مثل (الزرار) تحت الحقنة، ويقاس قطر هذا الورم

يساعد اختبار (التيوبركلين) في التشخيص المبكر والسريع لمرض الدرن

فإن كان أكثر من ١٠ مم يعتبر إيجابياً.

خامساً: التشخيص بالأحماض الأمينية: وتعد أسرع وأدق طريق للتشخيص، وذلك باستخدام تقنية حديثة جداً. وهذه الطريقة تستطيع تشخيص وجود ميكروب الدرن في فترة زمنية قصيرة غير أن هذه الطريقة مكلفة.

سادساً: هناك أبحاث أخرى يحتاجها الطبيب منها صورة الدم، وسرعة الترسيب، وبعض التحاليل الأخرى حسب حالة المريض ونوعية علاجه.

علاج الدرن:

قديماً كان المرض قاتلاً، فلم يتم اكتشاف المضادات الحيوية الأساسية في العلاج حتى سنة ١٩٤٠م. واعتمد العلاج وقتئذ على الراحة التامة والهواء الطلق والغذاء الجيد مع علاج الأعراض ومتابعة الحالة في مصحات الصدر.

أما الآن، فقد أصبح علاج الدرن بحمد الله ميسوراً،

ونتائجه بإذن الله مضمونة. ويعتمد العلاج على (مضادات الدرن) التي تضمن القضاء على ميكروب الدرن في أقرب وقت، وتمنع انتشار العدوى للآخرين، وتحد من احتمالات ظهور سلالات من الميكروب مقاومة للعلاج.

أيضاً، يجب الراحة التامة، نفسياً وجسمانياً، وتناول غذاء سليم متوازن يحتوي على جميع العناصر الغذائية، مع تهوية الحجرات، وعدم تعريض المريض لتيارات الهواء.

وثمة بروتوكول للدواء معترف به دولياً، إذ تؤخذ توليفة خاصة من دواءين أو أكثر، حسب حساسية الميكروب، ولمدة تتراوح عادة بين ستة أشهر إلى تسعة أشهر. ونحن هنا نحذر من أن عدم اتباع تعليمات الطبيب المعالج بدقة، فيما يختص بمدة العلاج ونوع الدواء وجرعته، يؤدي إلى مقاومة ميكروب الدرن للأدوية وانتشار المرض ومن ثم صعوبة علاجه بعد ذلك

طرائق الوقاية

أولاً: التطعيم ضد الدرن: حيث يتم تطعيم كل الأطفال إجبارياً ضد الدرن بالطعم المسمى بي. سي. جي (B.C.G). ويعطي مناعة بإذن الله تصل إلى ١٠٠٪. ويعطى حقناً في كتف الطفل خلال الثلاثة أشهر الأولى من عمره، ويعاد التطعيم به عند سن ست سنوات.

ثانياً: ضرورة الفحص الدوري للأطفال. وعند اكتشاف حالة درن لابد من الفحص الطبي لكل أفراد الأسرة والمخالطين للمريض وعلاجهم في حالة إصابتهم

ثالثاً: المبادرة بزيارة الطبيب الاختصاصي فور حدوث سعال يستمر اسبوعين أو أكثر دون الاستجابة للعلاج، أو فقدان للشهية ونقص في الوزن، وذلك لتشخيص الحالة مبكراً وعلاجها، حيث إنها تشكل بؤرة لانتشار المرض كما أن العلاج المبكر أكثر فعالية في القضاء على المرض

رابعاً: تعقيم اللبن أو غليه لمدة لا تقل عن خمس دقائق قبل تناوله، مع إحكام الرقابة على الماشية وفحصها دورياً وتطعيمها.

خامساً: تدعيم المستشفيات والمستوصفات والمراكز الصحية المختلفة بوسائل الفحص والتشخيص وأحدث أساليب علاج الدرن.

سادساً: إعلام الناس عن طريق وسائل الإعلام المختلفة بخطورة مرض الدرن، وطرائق العدوى به، وأعراضه، وطرائق الوقاية منه.

سابعاً: جرثومة الدرن ضعيفة جداً، فهي تموت بمجرد تعرضها لأشعة الشمس أو المطهرات، بيد أنها قادرة على أن تعيش في البيئة الرطبة والمظلمة.. ومن هنا تأتي أهمية توفير البيئة الصحية المتمثلة في دخول الشمس للمنازل وتهويتها وتفادي الغبار والأدخنة.

ثامناً: زيادة الوعي الصحي لدى الناس حتى تتوفر لهم عادات صحية سليمة مثل: عدم البصق على الأرض، وتغطية الفم أو الأنف أثناء السعال أو العطس، وعدم مخالطة المرضى، وتجنب الأماكن المزدحمة خصوصاً في فصل الشتاء، وعدم استعمال (شيشة) أو (جوزة) مشتركة، والامتناع عن التدخين والخمور والمخدرات، والاهتمام بالتغذية الصحية السليمة لأن سوء التغذية أو الجوع يقلل مناعة الجسم ضد المرض. أيضاً، يجب عدم نفخ بالونات الأطفال بالفم، فعند انتقالها من فم طفل أو شخص إلى فم طفل أو شخص آخر لمحاولة نفخها بالفم تتسرب الأمراض وتنتشر من المرضى إلى الأصحاء.. ولذا يجب عدم نفخ البالونات بالفم بل يجب نفخها بمنفاخ خاص بها.

تاسعاً: يجب على المريض الانتظام في أخذ العلاج بكل دقة، وعدم التسرع بإيقاف العلاج لمجرد الشعور بتحسن ظاهري، كما يجب تعريض أدوات المريض وفراشه وملابسه لأشعة الشمس التي تساعد على قتل ميكروب الدرن في دقائق، وحرق المناديل الورقية التي يستعملها مع مراعاة قواعد النظافة الشخصية لأنها من أهم وسائل مكافحة انتشار مرض الدرن. ■

المراجع:

1- Cecil Text Book of Medicine.

2- Harrison's Principles of Internal Medicine.

٣- الأمراض المتوطنة والأمراض المنقولة من الحيوان للإنسان أ.د. محمد فتحي عبدالوهاب، مركز الأهرام للترجمة والنشر، مؤسسة الأهرام، الطبعة الأولى، ١٩٩٩م.

٤- التحاليل الطبية وصحتك، أ. د. أحمد فتحي الصيفي، كتاب اليوم الطبي، مارس ١٩٩٥م.

٥- أعداد من مجلة طبيبك الخاص، دار الهلال بمصر.

٦- أعداد من مجلة (عالم الإعاقة) السعودية.

الشللية - الجزء الثاني

تشكيل لا يلبث أن يظهر، ونجد أنفسنا داخله، ملتزمين بأنظمته وأدبياته، متأثرين بقراراته..
في المدرسة.. للمدير شلة خاصة. وفي الوزارة للمسؤول شلة خاصة وفي مواقع أخرى..
إذا كنت داخل شلة المسؤول أياً كان فأنت ذو حظوة وستصل بسرعة والعكس صحيح.
أنت أخي القارئ: هل لمست شلة في موقع عملك، ولمست تأثيرها الموجه ضد المصلحة العامة..؟
هل تعتقد عكس ذلك فترى أن الشللية تحقق الأهداف بخطوات مختصرة.. وتقضي على الروتين..
هل يمكن اعتبار (الميانة) نظام عمل..!

المعرفة

الشللية عذر «بالجبنة»!

هيفاء عبدالله الوعلان
الرياض

إذا قلت: إننا شعب عاطفي ربما ستوافقني افتراضاً جدلياً أو واقعاً، ذلك أن عيبنا الأكبر هو أن سحائب عواطفنا الرمادية تغطي عقولنا، وتزكم أنوفنا، وتصيبنا بالحساسية الشديدة.

جميل منكم أن تفتحوا قاعة مجلس شورى المعرفة للحديث عن «الشللية» بروح حيادية نوعاً ما.

أنتم تسمونها «شللية» هل لديكم تعريف منضبط لمصطلح الشللية؟

هناك من يسميها «فريق عمل» فهل لديكم اعتراض منطقي عليه؟

إذن الشللية أو فريق العمل مثل أي تصرف سلوكي آخر من تصرفات البشر يخضع للأحكام التكليفية الخمسة!!

في رأيي الضعيف أن الشللية المنضبطة وسيلة من وسائل إتقان العمل، المدير أو رئيس الجهة لا يستطع العمل بجد وسلاسة إلا مع أشخاص يعرف قدراتهم ويعرفون مبادئه وأهدافه وطريقة عمله، لذا فهو يستقدم الشللية- حسب تعبيركم- القادرة على وضع أهدافه وطموحاته موضع التنفيذ.

ألا ترى أن كل وزير جديد وكل مسؤول جديد يبدأ

إمسك لي أقطع لك

مبارك بن فهد العصيمي
مكة المكرمة

قضية المجتمع الخفية، خطرها عندما يصل أي مسؤول إلى مركز قيادي في اختلاف تنوعه، يلتف حوله (الشللية) ويعتبرهم المسؤول رجاله وسنده في تحقيق طموحاته وأطماعه ورغباته ويتبادل معهم (مائدة) الغذاء المتوافرة في مؤسسته أو دائرته ويترك الفتات من هذه المائدة العامرة بالغذاء للبقية الباقية خارج مجتمع الشللية.

لذا أرى إعداد جهاز يتبع ديوان المراقبة مهمته محاربة الشللية يدرس ملفات كل دائرة وإنجازاتها ويفصل الاشتباك /العائلي، الزمالة، حيث تبادل المصالح التي عنوانها (امسك لي واقطع لك). ■

عمله بمدير مكتب جديد وسكرتير جديد، وأحياناً كثيرة بوكلاء أو بمديرين جدد للإدارات التابعة.

هي ليست ميانة- كما تسمونها- ولكنها، في الغالب، سعي من المسؤول في سبيل تحقيق قدر مشترك من الفهم بينه وبين من ينفذ تعليماته.

الشللية غير المنضبطة، أو الموجهة ضد المصلحة العامة شيء آخر، هي فاسدة حقاً، ولكن فسادها نتيجة حتمية لفساد من أوجدها، والفساد ليس من الشللية نفسها، لأن من أوجدها فاسد حتى بدون شللية، وفي كل مجالات الحياة هناك رديء وهناك جيد، وهناك بين بين!!

اسمحوا لي أن أقف متأملة أمام سؤالكم: هل تعتقد عكس ذلك، أن الشللية تحقق الأهداف بخطوات مختصرة وتقضي على الروتين؟

ولكي أجيب على السؤال يجب أن أتخطى الإيحائية الواضحة من السؤال ضد الشللية بإطلاق، وسأجيب برغم ذلك: نعم إذا صلحت نية المسؤول وأحسن اختيار أعضاء مجلس الشللية الموقر.

للأسف الشديد فإن الشللية هي العذر الجاهز- عذر بالجبنة- للفاشل الذي كشفت الشللية المنضبطة الاعيبه أو ضعف قدراته وعجز إمكاناته، ألا ترون أن هذا يمكن أن يقول عن قسم بكامله افسد عليه طموحاته المريضة: هذه شلة المستشارين، وهذه شلة المحققين،...إلخ.

لا يجوز أن نمدح الشللية لمجرد أننا انتفعنا منها، أو حققت لنا خدمة «ما» نستحقها أو لا نستحقها، كما لا يجوز العكس بأن نذمها لمجرد أنها وقفت حائلاً بين اللقمة والفم، فقد يكون موقفها حقاً للمصلحة العامة.

والسؤال المطروح هو: هل هناك من يغلب المصلحة العامة على المصلحة الشخصية؟

أقول لكم بصدق إنه لا أحد يفعل ذلك اليوم إلا وصفناه بالمعتوه المجنون ...إلى آخر القائمة، فدعونا نردد مع غيرنا: «مايمدح السوق إلا من ربح فيه»

ودام مجلسكم في المعرفة عامراً بالشورى الصادقة العادلة. ■

تكتل سلبي

ناصر الصراع
حائل

الشلة قد تكون مأخوذة من الثلة: وهي الجماعة من الناس. وقد ورد في القرآن الكريم ﴿ثلة من الأولين. وقليل من الآخرين﴾ وقد انتشر إطلاقنا للفظ «الشلة» كثيراً في هذا الوقت لوصف التجمعات والتكتلات التي تربط بين أفراد تكون لهم -في الغالب- مصالح مشتركة قد تكون إيجابية الطابع متى كان أفرادها متجانسين في الهدف يتطلعون إلى غاية سامية.

غير أننا نلمس أن مجرد كلمة «شلة» وإطلاقنا لها- حالياً- بأنها تدل على التكتل السلبي والتقوقع المريض. لأننا نرى أن أفراد هذه الجماعات تربطهم مصالح مادية بحتة واعتبارات شخصية لا صلة لها بالمصلحة العامة والفائدة المرجوة للمجتمع. إذ تظهر في هذا الوقت بمفهوم سلبي يربط أفراد دائرة من إدارات العمل. بحيث يتملق بعضهم بعضاً لمحسوبيات وأغراض شخصية. ونجد أن هؤلاء الأفراد غير متجانسين في الثقافات والأهداف البعيدة ولكنهم يلتقون لمصالح شخصية ووقتية. وقد يدنو ويقترب من صاحب الصلاحية أو رئيس المصلحة أو مدير الإدارة بعض الأفراد الذين قد يحسنون المجاملة الزائفة لأغراض قد تستر عيوبهم وتحقق مآربهم وقد تبرزهم في نظر البعض بأنهم يتّسمون بالهدوء ورقة الإحساس وخفة الحركة والاستجابة وحب العمل. وهم عكس ذلك إذ هم معول هدم لتقويض العمل وبعثرة الجهود. ومن هنا نصف شلة المحسوبيات والمجاملات الزائفة بأنها تشل العمل وتضعفه أو تبعثره لأشلاء متفرقة

وهناك مثل للمدير أو المسؤول الذي يحرص على إيجاد شلة له لتعزيز بقائه مع عدم تفرغه لعمله أو اجتهاده في الأداء فهو يغطي على سلبيته في هذا الجانب ويحرص على ترابط المجموعة لخدمته مع تسهيل مهماتهم لديه وهو ترابط قد يؤول إلى الضعف مستقبلاً ويتداعى ليصبح أوهى من بيت العنكبوت.

أما المدرسة باعتبارها أصغر سلطة في المجتمع وهي أشبه ما تكون بترابط الأسرة فيجب أن يترابط العاملون بها لتشكيل منظومة محددة قريبة من بعضها بعضاً، فالشلة في المدرسة تقوض العمل وتؤثر سلباً على إنجاح العملية التربوية والتعليمية لأن التلاميذ يتأسون بمعلميهم وإدارة المدرسة. حيث يجب أن يسود التعاون والوئام بين أفراد المجموعة. ■

الشللية = الواسطة

فؤاد أحمد البراهيم
الأحساء

(الشللية) وجه آخر (للواسطة) وبنظرة موضوعية يمكننا معالجتها وبحث أسباب وجودها في المجتمع.

إن المجتمعات الإنسانية تتعرض لتغيرات متلاحقة وإن اختلفت سرعة هذه التغيرات، وبالنظر إلى المجتمع العربي السعودي نجد أنه كان وحتى وقت قريب يتمتع ببناء اجتماعي تقليدي يرتبط فيه ولاء الأفراد بأقاربهم وأصدقائهم الذين يعتمدون عليهم في تحقيق أهدافهم. وفي السنوات القليلة الماضية حدثت تغيرات وخلخلة لهذا البناء الاجتماعي التقليدي وحدوث بناء اجتماعي جديد والذي تمثل في إنشاء المؤسسات الاجتماعية في مجالات الصحة والتعليم، وإقامة المنشآت الصناعية وزيادة الوعي لشغل الوظائف الهامة، وظهور فئة كبيرة من العاملين في قطاعات مختلفة كل ذلك ترك آثاراً كبيرة على حياة المواطن السعودي. ويعتبر مثل هذا التحول السريع اختزالاً لسنوات طويلة قضتها مجتمعات أخرى لتصل إلى المرحلة التي يعيشها المجتمع العربي السعودي.

وقد أدت هذه التغيرات السريعة إلى إفرازات

الشللية.. مطلوبة

علي عبدالله العيسى
الظهران

(الشلة) في العمل على نوعين (شلة) صالحة همها إنجاز العمل بالسرعة القصوى واستخدامها (الشلة) كأداة فاعلة لذلك. و(شلة) طالحة همها المصالح الشخصية على حساب الآخرين. وكل مسؤول يحتاج إلى إنجاز أعماله الخاصة والأعمال الرسمية بأقصى سرعة يلجأ إلى تعزيز العلاقات الإنسانية في مكان العمل. وأعتقد من خلال خبرتي البسيطة في العمل بأن (الشللية) مطلوبة أحياناً وبالذات بين الدوائر المختلفة وعلى الشخص المسؤول أن يكون له (شلة) أو ما نسميه مجموعة عمل؛ بشرط أن تكون شلة صالحة هدفها المصلحة العامة وكسر الروتين الممل. ويفضل أن تكون خارج نطاق إدارته؛ لأن الإدارة الصغيرة كالمدرسة مثلاً أو المكتب الصغير لا تصلح بها (الشللية) لأن ذلك يؤثر على الآخرين ويولد التناحر والتباغض بينهم والمدير مسؤول عن الترابط والتواد في إدارته. أما (الشللية) على مستوى الإدارات فهي مطلوبة لأنها تكون كشرفات تطل على الإدارات الأخرى وتكسر الروتين والإجراءات وتحقق المصالح بأقصى سرعة

أما بالنسبة للميانة فهي أداة من الأدوات العجيبة والمهمة لإنجاز الأعمال بالسرعة الممكنة وعادة ما تتوفر (الميانة) في (الشلة) وأصبحت حالياً نظام عمل متعارفاً عليه في الإدارات المختلفة. ولا شك أن من يكون ضمن إطار (شلة) يكون ذا حظوة كبيرة جداً. ولكن سرعان ما تنقضي تلك (الشلة) أو تتغير تلك الأخرى بتغيرات الظروف المحيطة.

وأخيراً أنصح (الشلة) الصالحة بمراعاة حقوق الآخرين وعدم تأثير شلتهم على المصالح العامة. وقد حثنا ديننا الحنيف على أن نؤثر إخواننا المؤمنين على أنفسنا، وأن نحب الخير لهم كما نحبه لنا، قال تعالى: ﴿ويؤثرون على أنفسهم ولو كان بهم خصاصة ومن يوق شح نفسه فأولئك هم المفلحون﴾. و﴿إن الله مع الذين اتقوا والذين هم محسنون﴾، أما بالنسبة للشلة الطالحة فعليهم أن يخافوا الله في أنفسهم ويعلموا بأن ﴿يد الله فوق أيديهم﴾ ويتذكروا قوله تعالى: ﴿الذين ينقضون عهد الله من بعد ميثاقه ويقطعون ما أمر الله به أن يوصل ويفسدون في الأرض أولئك هم الخاسرون﴾. ■

اجتماعية لمواكبة التحول الاجتماعي والثقافي في المجتمع. من هذه الإفرازات الشللية والواسطة كنمط سلوكي يحاول الأفراد بواسطته التعامل مع المؤسسات الاجتماعية الجديدة في المجتمع،وكذلك كان من الصعب ان يتخلى الأفراد فجاة عن انماط سلوكهم المعتاد والقائمة على العلاقات الأولية.

ويمكننا ان نعدد بعض اسباب وجود الشللية والواسطة كظاهرة اجتماعية:

١- تعقيدات الحياة: ولتذليل بعض إرهاقات الحاضر الذي يعيشه يبدا في البحث عن من (يمون) عليه لمعاونته في حل إشكاليته، وإذا ما فقد العلاقات المباشرة مع الموظف في تعامله مع المؤسسة يلجأ إلى طرف ثالث (الواسطة).

٢- الخوف من تعطل المصالح وضياع الحقوق، لعدم حصوله على حقه من المؤسسات الاجتماعية وتعطل مصالحه لعدم توفر الواسطة، وكثيراً ما نسمع العبارة الاستنكارية التالية: (اللي ما عنده واسطة يضيع؟!).

٣- غياب الوعي الكامل بلوائح المؤسسات من جانب المتعاملين معها وتفاوت إدراك القائمين عليها بطبيعة ادوارهم فيها، فالمراجع يريد أن يخترق الجدران ويخلص معاملته!! والموظف لا يهتم كثيراً به لانه لا يدري تماماً ما هي مسؤولياته؟

٤- القبول الاجتماعي: كل إنسان يبحث عن السمعة الطيبة والاحترام والمكانة بين جماعته واصدقائه واقاربه، وكامتداد للنمط التقليدي لمعاونة الأقارب بعضهم بعضاً، اصبحت (الواسطة) حقاً للاقارب على الفرد، وكان من الضروري تصحيح المعايير الاجتماعية لمفهوم الواسطة الذي اصبح لا يتفق مع البناء الاجتماعي الجديد لمجتمع المملكة العربية السعودية. ■

- «إمسك الباب»؟
- المناهج لا تعد زوجات صالحات..
- مكافأة نهاية خدمة المعلمين المتعاقدين في مدارسنا.
- مدرستي سجن كبير؟

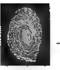

هذه «سبورة» تفتح يديها للجميع.
هي ليست صفحة القراء - كما في المطبوعات الأخرى - مخصصة للصغار فقط!
«سبورة» أسميناها هذا الاسم محاكاة للسبورة إياها..
تلك التي يكتب فيها المعلم والطالب معاً..
يكتب فيها العلم ومحاولات التعلم جنباً إلى جنب.
هكذا هي إذن سبورة المعرفة للكبار والصغار معاً.. هي للجميع بلا استثناء.

المعرفة

«إمسك الباب»!

يوسف صالح الهقاص
عنيزة

صدقوني لولا خجلي من نفسي أولاً ثم من خُلف الوعد ثانياً لأخفيت هذه الحادثة، بل كدت أفعل لكني لم أسطع، والسبب هو بيت من الشعر كنت قد أودعته ذاكرتي أيام الطلب:

وإذا قلت نعم فاصبر لها
بنجاز الوعد إن الخلف ذم

والمصيبة هي أني قلت نعم، وليتني ما قلتها، فكرهت أن أجمع بين سوء الفعل وسوء القصة.

فما القصة؟

باختصار أيها السادة

هذا صديق لي، اسمه.... دعونا من اسمه الآن، المهم أنه تربوي من الطراز الأول حدثني بحديث عجب، ثم طلب مني ما هو أعجب.

قال: انشر هذه الحادثة في مجلة المعرفة.

قلت: وهل ينشرون إلا المهم؟

أردف: هل تعدني.

-أعدك بماذا؟

- بنشرها.

- أعدك أن أفكر.

ثم إني فكرت وكتبت شيئاً منها ولا أدري أتقف عند من بيده النشر أم تتجاوزه إلى المنشار!

والآن.. أخي القارئ:

أرعني سمعك كي أسقيك الحكاية، واطمئن فليس لها أعراض جانبية تذكر سوى صداع عارض وشيء من الغثيان مؤقت.

تنهد صاحبي وقال: كيف أبدأ؟

قلت: لا تقلق سأكفيك مؤونة المقدمة وسأكتب أن المدعو (س) تقدم للالتحاق بأحد برامج الدراسات العليا في (كلية تربية ما) استجابة لرغبة داخلية أكيدة في زيادة نموه المهني وكضرورة ملحة لتطوير عمله. وبعد أن استجمع قواه واستكمل أوراقه توجه إلى الموظف المختص.

أظن أنها مقدمة مناسبة هيا أكمل.. ثم ماذا؟

قال صاحبي: دفعت إليه الملف برمته مصحوباً بابتسامة ثقة.

- تفضل.

- أية كلية؟

- التربية.

- وما تقديرك في البكالوريوس؟

- جيد.

- آسف يا الأخو.. إنهم لا يقبلون أقل من ممتاز (وضعت الملف على طاولة الموظف وهمست).

- أنا بالذات لابد أن يقبلوني.

- ليه يعني، عندك واو؟

- واو ما عندي لكن عندي كاف.

- وما كاف؟
- كاف تعني كفاءة، خذ الملف واكتشف بنفسك.
- ممنوع.
- لقد اجتزت دورة المشرفين التربويين بتقدير امتياز وهذه صورة مصدقة للشهادة.
- لا تفيد في شيء.
- وهذه دورات عدة في الحاسب والإدارة والتدريب وفنونه، بالإضافة إلى الكهرباء والإلكترونيات والخط العربي والتصوير.
- حتى لو كانت في التمثيل والمسرح
- معي.. والله العظيم معي.. انظر.
- لا تحاول.
(أدخلت يدي في الملف وتابعت)
- حسناً هذه خطابات شكر وتقدير تربو على الخمسين الا تشفع لي.
- أبداً.
- إن معي ما يثبت مشاركتي في لجان وندوات وورش عمل محلية وعربية.
- لا تسمن ولا تغني من جوع.
- وماذا عن الزيارات التربوية التي قمت بها وعلى نفقتي الخاصة إلى كل من الأردن ومصر وسوريا والكويت وقطر والبحرين والإمارات العربية وعمان؟!
- كلها لك وليست لنا.
- بالمناسبة أعكف حالياً على تأليف كتاب في طرائق التدريس بأسلوب مبتكر.
- كلامي واضح منذ البداية.
(انفلتت من جوفي زفرة حادة اخترقت طبلة أذنه قبل أن تخترق أسناني)
- يا أخي.. اختبروني أولاً ثم احكموا.
- الظاهر إنك «مروّق» اليوم.
- والحل؟
- ألا تفهم؟ قلنا لك ألف مرة معك ممتاز أهلاً وسهلاً، ما معك ممتاز أمسك الباب.

انتهى كلام صاحبي.

وبقي أن أعلق.. ولكن لن أفعل فلا تعليق حتى العنوان المناسب للمقالة لم أكتبه، فلم يسعفني قلمي في اختياره وحق له، فمازال مرتبكاً بعد أن تجرأ وكتب هذه المسرحية الهزلية. ■

تعقيباً على «الحافظ العلامة»:

العلاّمة حافظ

محمد المحمود

الرياض

قرأت مقالاً بمجلة «المعرفة» في العدد ٥٧ تحت عنوان (الحافظ العلامة) صفحة ٨٦ لكاتبه عبدالله بن علي الشهري الذي انتقد فيه الحافظ وأجلب عليه بخيله ورجله، وأنه سبب في ضياع الأمة وفي كونها أمة تابعة بعد أن كانت متبوعة، وعاب أن يقال (الحافظ العلامة) لأنها عبارة توحي بأن كل حافظ علامة إلى آخر ما كتبه الأخ عبدالله، لكنني أقول للكاتب خاصة ولكل من ظن ظنه عامة إنه لا مفر من الحفظ فبه حفظ تراث الأمة. وإليك موروث الحفاظ الذين حفظوا وفهموا واجتهدوا ولم يقلدوا، الأمر الذي لا يجهله إلا جاهل. وأين موروث من نبذ الحفظ ودعا إلى الفهم والإبداع فقط قد يأتي والمؤمل غيب وقد أتى موروث الحفاظ ومن يقول إن الأئمة كمالك والشافعي وأحمد والبخاري ومسلم وغيرهم ليسوا حفاظاً؟ بل هم أئمة الحفظ والفهم فلا غنى عنهما - أعني الحفظ والفهم - وهما غالباً متلازمان. فقل أن تجد فقيهاً - والفقه هو الفهم - إلا وهو حافظ كأمثال من ذكرت، ثم إن الأمة الإسلامية لم تكن تابعة إلا في هذا العصر عصر دعوة التخلي عن الحفظ. ثم من قال إن الصحابة رضوان الله عليهم لم يسبقونا إلى حفظ القرآن بل هم السباقون حفظاً وفهماً وعملاً. ومن حفظه تعالى لكتابه العظيم أن قيض له من يحفظه عن ظهر قلب، وما قصة جمع المصحف إلا دليل على أهمية الحفظ.

إن قول الإمام مالك رحمه الله ليس فيه دليل على نبذ الحفظ، فالإمام رحمه الله إنما عاب من لا ينتفع بحفظه، كما أن المؤرخ ابن خلدون عاب منهجاً يركز على التحصيل فقط دون فهم ولم يعب مجرد الحفظ فقط. أما طلاب مدارسنا الذين يتخرجون ثم ينسون ما يحفظون بمجرد انتهاء العام فهذا لا يعيب الحفظ، وإنما العيب في هؤلاء الطلاب الذين لم يحفظوا حفظهم ويتعهدوا حفظهم ويقيموه وهذا خلل ليس سببه الحفظ، أما كاتب الحجاج فالعيب في فهمه لا عيب الحفظ.. إني أؤكد ضرورة الفهم مع الحفظ وإلا لما نفع الحفظ، لكني لا أدعو إلى نبذ الحفظ وإبعاده وإن عجزت عن الحفظ.

كما أن الحفظ والفهم مطلوبان في أغلب العلوم لا في بعضها، ومن عجز عنه لا يبرر له عجزه عيب الحفظ وإقصاؤه، وما الضرر في أن يحفظ الطالب ويفهم ويحافظ على حفظه.

إن الحفظ أساس يبنى عليه فهم وإبداع ثابت لا يتأثر، وإن الفهم دون هذا الأساس فهم ما يلبث أن يتبدل ويتأثر، وتتلاعب به الآراء والأهواء وهذا منى الأعداء. ■

مناهجنا لا تؤهل بناتنا للحياة

مها إبراهيم عطار
مكة المكرمة

لقد أثرتم مشكورين في «شورى المعرفة السابقة» قضية هي بالغة الأهمية شغلت عقول وأذهان الأمهات الحريصات على بناتهن، واحتارت لها عقول المخلصين من أبناء هذه الأمة، واحتلت مساحة غير بسيطة من حديثهن في المجالس بتساؤلات وحيرة، يتبعها آهات وآهات فحال بناتنا غير مرض أبداً. تجد إحداهن لا تحسن إدارة المنزل ولا تجيد فن الديكور، بل قد لا تستطيع أن تعالج بقعة على الأثاث، وقد لا تعرف كيف تتعامل مع مشكلات أسرتها. تجدها تقبع هادئة في حجرتها تلتهم الكتب التهاماً، تمضي الساعات الطوال، تقرأ أو تحفظ، تسجل وتلخص حتى تنتهك قواها فتتركها كارهة كي تنام ثم تستيقظ على نمط تلك الحياة. لا يهمها إلا نيل الشهادات العليا التي تحلم أن تزين بها جدار غرفتها، وقد يتفاجأ الجميع بذلك الغريب المنتظر الذي يطرق باب دارهم يريد زوجة وشريكة عمر فتصحو الأم من غفلتها، وتتردد الفتاة بين نداء الفطرة لتكون زوجة وأماً ومربية، وإغراء الشهرة لتنال الشهادات وأعلى الدرجات فيشار إليها بالبنان. فإذا أصر الأب على كون ابنته مناسبة لسن الزواج فلم تفلح التوسلات والأعذار، بدأت الأم وابنتها في تجهيز كل ما تحتاج إليه العروس من أثاث وثياب وحلي وزينة. وهكذا بين فرحة الأهل والأحلام الوردية تنتقل الفتاة إلى بيت مستقل لتجد نفسها حائرة، فهي لا تعرف كيف تتعامل مع هذا الرجل، تفاجأ لماذا يفكر بغير تفكيرها، ويحكم على الأمور بميزان غيرميزانها، يريد حقوقاً ويطلب أشياء متعددة وهي حائرة ومستنكرة في آن واحد، لماذا يفكر هكذا، ولماذا يطلب ذلك. تريد أن تعيش مستقلة بشخصها لا يقحم حياتها، يتركها تكمل مشوار تعليمها وهو يرفض ذلك بشدة، يريد أن تكون حياتهما مشتركة، وقد تستجمع كل ما تعلمته في المراحل الثلاث لتستعين به على هذه الحياة الجديدة فلا تجد إلا القليل القليل.. إذاً ما هو الحل؟

لماذا لم تفلح تلك السنون الطويلة في إيجاد الحل لها، هل عجزت الشهادات عن ذلك، متى نربي بناتنا إذا كانت المدارس تأخذ جل وقتهن بين الدوام المدرسي اليومي وحل الواجبات، ثم الاستذكار والاختبارات الشهرية والنصفية والنهائية وإعداد البحوث. لابد من إعادة النظر وإعمال العقول للوصول إلى حل في حال بناتنا، أمهات المستقبل وأجيال الغد، النصف الثاني من المجتمع، بل كله. لابد من العمل على بناء هذه الفتاة تعليماً لا يكون نظرياً بعيداً عن الواقع الذي تعيشه، نريد وضع برامج تعليمية للفتاة تتعلم كيف تتعامل مع أفراد المجتمع عامة ومع زوج المستقبل وأطفال الغد خاصة، نريد أن تتعلم كيفية إدارة الحياة الزوجية، وكيفية تربية الأطفال وتنشئتهم نشأة سليمة تربوياً ودينياً، نريد أن تتعلم كيفية إدارة المنزل من تغذية، غسل وكي، ديكور، بل وإدارة مالية.

لماذا لا تدرس مادة رعاية الأطفال في المراحل التعليمية الثلاثة بما يتناسب مع المرحلة العمرية، فتتعرف على مراحل نمو الطفل واحتياجات كل مرحلة، لماذا لا تدرس الأمراض الشائعة بين الأطفال، وكيفية الوقاية منها، لماذا لا تدرس الإسعافات الأولية، لماذا لا تدرس فن إدارة المنزل من ميزانية وغيرها، لماذا لا تدرس كيفية التعامل مع المراهقين، لماذا لا تكون تلك المواد أساسية يعقد فيها الاختبارات الشهرية والنهائية وتخصص لها درجات تقيس مدى استيعاب الفتيات مما يؤدي إلى النجاح أو الرسوب مع ملاحظة الجانب النظري والعملي.

من المسؤول؟

أم يحيى
الجبيل الصناعية

متى نربي بناتنا؟!

قد نتفق في السؤال متى نربي بناتنا؟!

ولكن نختلف في الغاية من تربية البنات، إذ ليس الأمر مقصوراً على (مشروع زوجة) ولكنه مشروع ابنة واخت ولبنة في أسرة!

حين تغيب الطالبة بين كتل من الكتب والدفاتر وتمضي خمس ساعات في حل واجبات ومذاكرة متواصلة.

متى ستساعد أمها في أمر من أمور المنزل؟ ومتى ستساعد في تدريس أخ أو أخت لها؟

متى ستتمكن من الجلوس مع أسرتها ومشاركة افرادها الحياة الأسرية؟

بل متى ستجد الوقت لممارسة هواية أو نشاط يحقق الطموح الذاتي؟

كثرة الضغط تولد الانفجار، وبدلاً من أن تكون الدراسة متعة وسبيلاً للمعرفة وتحصيل العلوم، أصبحت مشقة وقيوداً، وكثيراً ما نسمع عبارات مثل ليت الإجازة تمتد طوال العام، أو ليت الخميس والجمعة لا يمضيان.

من المسؤول؟!.. هل هي المناهج وكثرتها؟ .. أم طريقة التدريس وأسلوب التلقين القائم على حفظ المقررات؟

رفقاً ببناتنا ودعونا نستمتع بوجودهن قبل أن يصبحن (زوجات).

لابد من إعادة النظر في مناهج التعليم الخاصة بالفتيات. إذ ليس من الضروري أن تكون متشابهة إلى حد ما مع مناهج البنين. فلا يخفى على أحد أن كل جنس ذكر وأنثى يختلف عن غيره حيث الأهداف والخصائص والمميزات وغيرها، فلا ننسى أن الهدف الأول من تعليم الفتاة هو بناء أم المستقبل من رعاية الأسرة وتكوين جيل الغد الذي يخدم الأمة المسلمة والوطن.

كما أن هناك جانباً آخر لا يقل أهمية عما سبق ألا وهو الإجازات الصيفية التي لابد أن تستغلها الأم المربية بوضع برامج مكثفة لتربية بناتها في هذه الفترة الزمنية. وتستعين ما أمكن بالتجارب المتعددة والرائدة في المجتمع والتي أثبتت نجاحها مثل المراكز الصيفية وما يعقد فيها من دورات ومحاضرات، والتي تركز على الجانب المهم في حياة الفتاة، الجانب الذي لم تستطع المدرسة بمناهجها الضخمة والمتعددة أن تفي به فيصبح فراغاً بحاجة إلى استغلاله والفتاة في هذه المرحلة العمرية طاقة ذهن وشعلة نشاط إذا لم تستغل كل دقيقة من وقتها بكل ما هو مفيد أهدرت وقتها بل عمرها وراء خيالات فارغة وأوهام حمقاء وسراب طويل لا ينتهي من الجري خلفه، فإذا وصلت إليه لم تجده شيئاً، لذا نحن بحاجة إلى تعميم هذه المراكز المفيدة مع دعمها معنوياً ومادياً وفكرياً.

دعوة خاصة إلى الأمهات بفتح العقول والقلوب وعقد علاقة (الزمالة) بينها وبين بناتها لتعطيهن من الحقائق والخبرات عن العلاقات الأسرية والاجتماعية، عن حقوق الزوج وتربية الأبناء وغيرها من الدروس الحياتية التي لم تف كل مناهج التعليم الآن بتعويضها، وعلى الأم أن تتفنن في استغلال الفرص والمناسبات والأوقات لتقديم كل ما فيه مصلحة لهن.

الأخطاء الستة

سعيد عبدالله أبو حادي
جدة

يقع الكثير من الرؤساء (مديرو إدارات - رؤساء أقسام - مديرو مراكز - رؤساء شعب - مديرو مدارس - مشرفون) عندما يتناولون (بطاقة الأداء الوظيفي)، ويبدأون في إصدار الأحكام على مرؤوسيهم يقعون في بعض ما يسمى (الأخطاء الستة). وهذه الأخطاء عبارة عن أربع نزعات، وأثرين. فإن كنت فطناً لماحاً كما عهدتك فاصغ لي بقلبك يرعاك الله:

أولاً: النزعة المركزية:

وهذه لا يقصد بها أحد مفاهيم علم الإحصاء التربوي بل هي ذلك الخطأ الذي يحدث عندما يميل المقيّم إلى تقييم كل العاملين على أنهم متوسطون في أدائهم، ويتردد كثيراً في إعطاء تقدير غير مرض أو ممتاز لبعض العاملين.

وشعار أصحاب هذه النزعة قول شاعرهم:

لا تذهبن في الأمور فرطا
لا تسألن إن سألت شططا
وكن من الناس جميعاً وسطا

ويحصل هذا الخطأ وهو (النزعة المركزية) بسبب نقص المعرفة بسلوك الأشخاص الذين يقوم المقيم بتقييمهم.

ثانياً: النزعة التطرفية:

وهي على حالتين، فقد يكون المقيم يميل إلى اللين، فإنه يتجه إلى إعطاء جميع العاملين تقديرات عالية حتى لو كان أداؤهم أقل من المتوسط.

وأغمض للصديق عن المساوى
مخافة أن أعيش بلا صديق

وقد يكون المقيم يميل إلى التشدد فيكون عكس الميل إلى اللين، فيعطي المقيم تقديرات متوسطة حتى للممتازين في أدائهم.

فقسا ليزدجروا ومن يك راحماً
فليقس أحياناً على من يرحم

ولكني أذكرك بأن:

من غربل الناس نخلوه

ثالثاً: النزعة الشخصية:

لاشك أن المقيم أياً كان موقعة لديه ميل إيجابياً كان أو سلبياً نحو العديد من مرؤوسيه، وسواء كان ذلك الميل لسبب أو لآخر، فإن لذلك تأثيراً كبيراً على تقييمه لهم لأنه سيكون منحازاً لبعضهم ضد بعضهم الآخر.

وهذا يحدث في حال عدم امتلاك المقيم معايير موضوعية لقياس الأداء.

يصيب وما يدري ويخطي وما درى
وكيف يكون الجهل إلا كذلكا

رابعاً: النزعة العشوائية:

وصاحب هذه النزعة لا يهتم بمراعاة الدقة في تقييمه وتقديراته للأفراد الذين يقوم بتقييمهم، بل يكون أكثر

من هموم المعلم العربي

عدنان أحمد كيفي
مكة المكرمة

يواجه المعلم في العالم العربي مجموعة من المعوقات التي تؤثر على أدائه وعلى شخصيته، ويقف المعلمون العرب أمام مجموعة من «التجاذبات» والتناقضات المثيرة للجدل، منها:

* تجاذب بين الاتجاه إلى العولمة، وبين الحاجة إلى تأكيد الذات والهوية والخصوصية لكل بلد بين «المحافظين» و«المتحررين».

* تجاذب بين التقدم التقني واستيعاب التقنية ونقلها وتسخيرها، وبين التركيز على الأخلاقيات والمثاليات، حتى لا تحدث الفجوة.

* تناقض بين دعوات إصلاح أساليب التربية والتعليم وبين ما هو موجود ومتاح من إمكانات مادية وبشرية.

* تناقض بين الأهداف وبين سبل تحقيقها، بين ما هو

اهتمامه أن يقال عنه أنه غير متحين، من ثم فإنه يعطي وبشكل عشوائي تقديرات متفاوتة للعاملين دون أن تعكس هذه التقديرات حقيقة أداء أولئك المرؤوسين.

حب السلامة يثني عزم صاحبه
عن المعالي ويغري المرء بالكسل

خامساً: أثر الهالة:

ويحدث يا صاحبي هذا الأثر عندما يقع المقيم تحت تأثير جانب واحد من أداء المرؤوس الذي يقوم بتقييمه، مما يؤثر على تقديره العام. كأن يتم تقييم أداء عامل ما بأنه مرتفع أو منخفض بسبب أن المقيم يعرف أو يعتقد أن العامل لديه تفوق في تلك الصفة أو ضعف فيها. وتلك الصفةسن الصفات التي يحبها المقيّم ويدندن عليها، أو لا يحبها ويحذر منها دائماً فيقع المسكين ضحية لعدم حب ما يحبه رئيسه، أو لعدم بغض ما يبغض رئيسه!

سادساً: أثر الحداثة:

يا زميلي العزيز، إن معظم عمليات تقدير الأداء الوظيفي تتم عن فترة سابقة، مثل فصل دراسي أو سنة، ولذا فيجب أن يمثل ذلك التقييم متوسط أو حقيقة سلوك الفرد خلال تلك الفترة، ولكن كثيراً ما يحدث أن يتم التقييم لما يمكن تذكره بسهولة، أي تقييم السلوك الحديث للفرد.

لكن ذلك لا يمثل سلوك الشخص خلال الفترة كلها التي يتم التقييم عنها، خصوصاً إذا كان العامل مدركاً للتاريخ الذي سيتم تقييمه فيه.

ممكن وما هو الأفضل، بين ما هو عاجل وبين ما يمكن تأجيله، بين الآمل وبين الواقع، وبين التنافس وتكافؤ الفرص.

ثم تأتي معوقات أخرى منها:

عدم ملاءمة كمية محتوى المناهج مع عدد الحصص، أي كثافة المنهج المقرر، صعوبة عملية تقويم الطلاب لكثافة أعدادهم في الفصل الواحد، ولفروقهم الفردية ولأن زمن الحصة لا يكفي لتحقيق التفاعل والمشاركة وشرح الدرس وتعقب الغائبين والمقصرين في أداء الواجب،

امبراطورية «الورق»

محمد مجيد العادلي

تمكنت كل من شركتي (فيلبس) الهولندية و(سوني) اليابانية في اختراع تقنية بدأ يشيع استعمالها مؤخراً كبديل عن الكتاب التقليدي، وذلك لما توفره من خفة في الوزن وسعة في خزن البيانات وصغر في الحجم، وتدعى هذه التقنية المتداولة عند الكثيرين بالأقراص المدمجة

لكن، هل يعتبر التحول من الورق إلى الأقراص شيئاً ضرورياً أم هو شيء كمالي كحال الكثير من الكماليات التي دخلت حياتنا؟ إنه بالتأكيد ليس كمالياً، بل هو ضروري، لكن ما هو دليلنا على ذلك؟

يحدث في حالات كثيرة أن تقرأ كتاباً (أياً كان تخصصه) وأثناء قراءتك لهذا الكتاب قد ترد كلمة أو مصطلح مبهم أو غير واضح لك كقارئ عام (لأن المستوى الثقافي ومدى الاطلاع والاهتمامات ليست متساوية لدى الجميع) وهنا تبدأ المشكلة إذ يتوجب عليك هنا أن تبحث عن المعنى من مصادر أخرى، وإذا ما تكررت عملية البحث هذه فإنها ستؤدي إلى الحد من رواج الكتاب وانتشاره، ولو أراد مؤلف الكتاب إيضاح كل مفردة أو مصطلح غامض أو تخصصي فإنه سيحتاج إلى عدد صفحات أكثر وذلك يعني زيادة وزن الكتاب وبالتالي زيادة تكاليفه (تكاليف الطباعة والشحن والنقل) وهي أمور تؤثر في رواج الكتاب أيضاً. ولعل أكثر من كان يتعرض لمشكلة البحث عن المعنى هذه ويبحث لها عن حل هو المستشار العلمي للرئيس الأمريكي روزفلت، ففي عام ١٩٤٠م كان هذا المستشار يغرق يومياً بأطنان من الورق المطبوع، كلمات وسطور ووثائق ومحفوظات، بلا توقف، ولقد كان هذا المستشار يحلم آنذاك (بنظام) يمكنه من الإبحار بكل متعلقات الموضوع المطروح ومن ثم يعود به إلى نقطة البداية بسهولة، وقد كتب بحثاً عن هذا الموضوع سماه – اليوتوبيا –.

ويبدو أن هذا الحلم قد تحقق عن طريق الأقراص المدمجة التي تتيح لنا الإحاطة بكل المصطلحات والمفردات الغامضة الواردة في الكتاب بيسر ومن دون عناء بل بكبسة زر كما نفعل الآن. ومن هنا تبرز أهمية وفائدة هذه الأقراص.

وإذا ما علمنا أن القرص المدمج يمكن أن يضم ٢٥٠ ألف صفحة كتاب أو بعبارة أخرى ألف كتاب بحجم ٢٥٠٠ صفحة لكل منها، لتصورنا الفائدة التي سنجنيها من هذا القرص الذي لا يتجاوز سمكه المليمتر الواحد وقطره ثلاثة عشر سنتمتراً.

وعلى ما يبدو فإن ثمار هذه الثورة التكنولوجية قد بدأت تلقي بظلالها في نهاية القرن على رواج الكتاب الورقي. فقد بدأت كثير من دور النشر المشهورة بطباعة مؤلفاتها (الضخمة بشكل خاص) على هذه الأقراص. فقد وزعت في المكتبات العالمية العام الماضي أقراصاً مدمجة تحتوي الموسوعة البريطانية، وكذلك قاموس روبير للغة الفرنسية. وغيرها كثير.

مكافأة نهاية خدمة المدرسين المتعاقدين:

الكفاية والعدالة مفتقدة

أحمد صلاح الوادي
مدرس متعاقد

هل حقاً إنها مكافأة مجزية؟!

هل تحقق العدالة بين مكافأة مدرس وآخر؟!

هل القيمة الشرائية للنقود عند إصدار قرار المكافأة قبل أربعة عقود، يعادل القيمة الشرائية عند صرف هذه المكافأة الآن؟!

هل تتوافق هذه المكافأة مع قرارات منظمة (اليونيسكو)، علماً بأن المملكة هي إحدى أعضاء هذه المنظمة؟!

هل تحديد المكافأة بحد أقصى يعادل ٥٠,٠٠٠ ريال، هل هو ثواب أم عقاب لصاحب الخدمة الأطول في المملكة؟!

هل يتصور أن يجد صاحب الخدمة الطويلة (٣٥ إلى ٤٠ سنة) داخل المملكة عملاً في بلده عند العودة إليها؟!

بادئ ذي بدء، نشكر المسؤولين القائمين على مجلة «المعرفة»، ترحيبهم وقبولهم اقتراح أن توجد زاوية في مجلة «المعرفة» ينشر من خلالها اقتراحات وتظلمات المدرسين المتعاقدين.

ونبدأ في مناقشة مكافأة نهاية الخدمة، ما لها وما عليها؟!

إننا نقر بأن العقد شريعة المتعاقدين، وربما يقول قائل، من لا تعجبه شروط العقد، فليعد راشداً إلى بلده. وردنا على ذلك أن شرط المكافأة في العقد كان مجزياً

راكان أصبح مهندساً

عياد مخلف العنزي
عرعر

ما كنت بجانب أبي راكان وهو يهاجس أحلامه الأبوية وسط إبله الراقصة في أحد رياض الشمال المعشبة، وقد أخذت عيناه الصحراويتان تعانقان أفق الصحراء اللامحدود حينما أطلق حرية التحليق في فضاء تحليل المستقبل واستشرافه.

لقد سمع أحاديث أبي لافي البارحة حين جلب لهم أخباراً سارة من المدينة تفيد أن الحكومة بدأت تحفر الآبار في وادي عرعر وشرعت تبني دور الحكومة والمدارس وتحث المواطنين في إلحاق أبنائهم وبناتهم بها.

وكان أبو راكان من بين الرجال الذين شدهم الموضوع حتى أخذ يسيطر على تفكيره وأصبحت تتقاذفه أفكاره وهو جالس في مرعى إبله هل يترك حياة الرعي أو يرسل زوجته أم حمود برفقة راكان ابن السابعة ويبني لهما خيمة على مشارف المدينة الوليدة في أحضان النهضة وعلى امتدادات خطوط الأنابيب.

وفي أحد المساءات الحالمة عاد أبو حمود من المرعى وسط رغاء النوق ونباح كلاب الحي يحمل قراراً مصيرياً اتخذه لابنه الصغير راكان بعد أن اعتمده من استشرافاته

قبل أربعة عقود من الزمن، ولكنه الآن بعد تغير الظروف الاقتصادية والدولية، وانخفاض القيمة الشرائية للنقود بصفة عامة، وبالتبعية انخفاض القيمة الحقيقية للمكافأة، حيث أصبحت المكافأة الآن غير مجزية، نطالب ونرجو إعادة النظر في هذه المكافأة، كأن تكون بدون حد أقصى، وتكون مكافأة شهر عن كل سنة.

إن شرط تحديد هذه المكافأة بحد أعلى ٥٠,٠٠٠ ريال، لا يحقق العدالة بين مدرس وآخر ولنفرض اثنين من المدرسين ولهما المرتبة نفسها رغم اختلاف مدة خدمتهما داخل المملكة.

الأول: خدمته داخل المملكة ٤٠ سنة وراتبه ٥٠٠٠ ريال، مكافأة نهاية خدمته ٥٠,٠٠٠ بحد أقصى حسب نص العقد.

الثاني: خدمته داخل المملكة ٢٠ سنة وراتبه ٥٠٠٠ ريال، مكافأة نهاية خدمته أيضاً = ٥٠,٠٠٠ حسب نص العقد (٥٠٠٠÷٢×٢٠)= ٥٠,٠٠٠ ريال هذا بالإضافة إلى أن المدرس الأول الذي خدم ٤٠ سنة، لن يجد له عملاً عند العودة إلى بلده لأن عمره قارب الستين، فهلا نوفر له ما يعينه على شيخوخته؟!

أما المدرس الثاني فما زال يتمتع بشبابه - أدامه الله عليه - ولأن فرص العمل أمامه سانحة، وغير مقفلة، ونتمنى له عملاً موفقاً.

إن المملكة العربية السعودية هي إحدى دول منظمة (اليونيسكو) التنظيمية الدولية للتعليم والثقافة، والتي من ضمن قراراتها: أن مكافأة نهاية الخدمة شهر عن كل سنة، لا نصف شهر، مع ملاحظة أن معظم دول الخليج تعطي شهراً عن كل سنة، وبعضها يعطي أكثر من ذلك.

أما إذا نظرنا إلى القيمة الشرائية للمكافأة فقد انخفضت قيمتها الحقيقية إلى الخمس تقريباً وبحساب (مجازي) بسيط نقول: كان سعر سيارة (الكرسيدا البوكس) قبل أربعة عقود ١٢,٠٠٠ تقريباً أما اليوم فيزيد سعرها عن ٦٠,٠٠٠ ريال أي خمسة أضعاف سعرها السابق، ويعني ذلك أنك كنت تستطيع شراء خمس سيارات (كرسيدا) بقيمة المكافأة، وهذا يشكل أسطول نقل أما الآن فلا تستطيع أن تشتري بالمكافأة سيارة واحدة؟!

نرجو من إخواننا المسؤولين في وزارة المعارف، إعادة النظر بدراسة مكافأة نهاية خدمة المدرسين المتعاقدين، ووضعها في الميزان لتحقيق الكفاية، والعدالة، ومراعاة الظروف الاقتصادية.

ولنا فيكم وطيد الأمل، بسعة الصدر أولاً، ومراعاة معاناتنا ثانياً. والله يوفقكم لما يحبه ويرضاه.

الحكيمة للمستقبل حيث قرر إلحاقه بمدرسة البلدة الناشئة بصحبة أمه. وقد قبلت أم حمود هذا القرار على مضض لكن أبا حمود أقنعها بعقله وحكمته حتى وافقت على هذا القرار المصيري.

التحق راكان في المدرسة وكان يمثل الدفعة الأولى من طلاب المدرسة منذ إنشائها، وأخذ يتنقل في فصولها من سنة إلى سنة حتى وفقه الله وحصل على الثانوية العامة والتحق بشركة أرامكو وبها انفتح له المستقبل على مصراعيه حيث بعث إلى إحدى الجامعات الأمريكية لدراسة هندسة النفط، وكان متفوقاً في دراسته حيث حصل على درجة البكالوريوس في هندسة النفط وعاد ليعمل في شركة أرامكو.

وبعد عودته من أمريكا استقر به العمل في الظهران ورجع إلى أهله في البادية وأقنع أباه بتوديع حياة الرحيل والذهاب معه إلى بيته الجميل في مدينة الظهران، وفعلاً اقتنع الوالد الحكيم وذهبوا مع ابنهم راكان إلى فيلاه الجميلة وعاشا معه وسط حياة أسرية سعيدة.

أما أخوه حمود فقد استقرت به الحال في مدينة عرعر حيث بنى له بيتاً بعد حصوله على قرض من بنك التنمية العقارية والتحق في إحدى الوظائف الحكومية وألحق أبناءه في المدارس.

عين أبو حمود مؤذناً لأحد المساجد في أحياء شركة أرامكو وكثيراً ما يشده الحنين فيعطر سماء الحي بصوت أذانه الرخيم في أذان الفجر، واستعذب الموظفون صوته الصحراوي الندي الذي ينساب من حنجرته العذبة. وزملاء راكان يبتهجون عندما يدعون إلى وليمة عنده فرحاً بأحاديث أبي حمود اللذيذة والتي غالباً ما يختمها بعبارات الحمد والشكر لله ثم للحكومة التي نقلت كثيراً من سكان المملكة من حالة الترحال إلى الاستقرار.

كاشف «النوايا»!

سهيل نجيب مشوّح
الرياض

على مشارف الألفية الثالثة، وفي ظل التقدم التقني الذي وصل إليه العالم المتقدم في الميادين كافة، وبعد سلسلة «الكشافين» الموهوبين، مثل: كاشف الطائرات، وكاشف الغواصات، وكاشف الألغام، وكاشف العملات والوثائق المزوَّرة وصولاً إلى.. كاشف رقم المتصل. باتت الحاجة ملحة إلى اختراع فريد، وجديد، ومفيد، الا وهو كاشف النوايا.

وتأتي أهمية الاختراع «المرتقب» بعد تشابك العلاقات الإنسانية.. والدولية في الوقت الراهن، وتداخلها يوماً بعد يوم منذ بدايات عصر النهضة، وانفجار ثورة الاتصالات، وغلبة المصالح الاقتصادية، على ما عداها من العلائق والنظم الأخلاقية التي تحكم المجتمعات البشرية، وسيطرة الميكافيلية على وجدان الدول والأفراد.

ولن نطالب المخترعين أن يذهبوا بعيداً باختراعاتهم رأفة بعقولهم الرزينة، فلن نطلب إليهم أن يسعفونا بكاشف الأسرار، لأن مثل هذا الاختراع سيحظى بكساد عظيم في بلادنا العربية التي تبوح بأسرارها للعدو قبل الصديق، ولا تحفظ سراً مهماً عظم شانه، وبلغت عواقبه، إذ تخرج أحاديث الجلسات المغلقة قبل أن ينفض الاجتماع «الهام».. فالزوجة تبوح بأسرار الزوجية لأمها والصديقات، والموظف يبوح بأسرار عمله. لكل جليس، والمسؤول يبوح بأسرار إدارته لنظرائه، ويبقى مسلسل

البوح جارياً إلى آخر السلم الاجتماعي.

وحتى لا يظن القارئ بأن البوح مقصور على بلداننا، وشعوبنا «المسكينة»، فإن دولاً عظمى تبوح بأسرارها – هي الأخرى – لدول أقل شأناً منها، ولكل منها أسبابها، ووزراؤها يبوحون بأسرار دولهم، ومواطنوها يبوحون بأسرار هامة لوكالات وهيئات ومنظمات أجنبية، ومحطات التلفزة الفضائية «نَدَّابة» تبحث عن مأتم تشبع فيه لطماً.. إذن، فمثل هذا الاختراع محكوم عليه بالفشل الذريع.

وفي عودة لاختراعنا المرتقب «كاشف النيات». نؤكد لصاحب السبق إلى أنه سيثري باختراعه، وسيثري البشرية بنتائجه لأنه سيتيح للجار اختيار جاره، وللمرء اختيار قرينه، وللزوج اختيار زوجه، وللشعب اختيار مرشحهم، وللدول اختيار علاقاتها، وسيتاح للجميع القرار الصائب إذ لا مجال للخطأ أو للكذب، وقد عرف العالم من قبل كاشف الكذب الذي يفضح أي محاولة للتضليل أو التدليس أو الخداع، إلا أن العقبة الأساسية التي سيواجهها المخترع هي القدرة الفائقة على التمثيل التي يمتلكها الفرد الخاضع للاختبار، وفي حالات – أشد تعقيداً – سيواجه المخترع مشكلة الشبيه أو البديل «المستنسخ» في ظل تطور علم الأجنة والموروثات، ولكن تبقى القضية أو الظاهرة أقل انتشاراً، وأخف ضرراً لأن احتمالات الخطأ واردة بنسب ضئيلة، حتى في أكثر النظريات، والمخترعات دقة وانضباطاً.. نسأل الله السلامة إلى أن نقرأ الإعلان عن اختراع كاشف النيات لنجرّبه على ورشنا فنعرف ما هم فاعلون من بعدنا!!

وحتى يرى مثل هذا الاختراع النور فإننا نهتدي بقول الرسول ﷺ: «إنما الأعمال بالنيات، وإنما لكل امرئ ما نوى، فمن كانت هجرته إلى الله ورسوله، فهجرته إلى الله ورسوله....» إلى آخر الحديث

ويقيناً.. بأن مثل هذا الاختراع لن يتم لأن الله جل وعلا هو الذي «يعلم السر وأخفى»، وإن وصل العلم إلى أعلى مراتبه، واجتهد العلماء، ووصلوا إلى ما يشبه ذلك، فلا غرابة أن يبدعوا، و«فوق كل ذي علم عليم»..

التربية الفنية.. لماذا؟

يحيى أحمد النعمي
صبيا

إن الله جميل يحب الجمال وقد قال عز من قائل: ﴿قل من حرم زينة الله التي أخرج لعباده والطيبات من الرزق﴾. ويقول جل شأنه: ﴿يا بني آدم خذوا زينتكم عند كل مسجد﴾.

وقال تعالى: ﴿أفلم ينظروا إلى السماء فوقهم كيف بنيناها وزيناها وما لها من فروج﴾. ويقول جل شأنه: ﴿والخيل والبغال والحمير لتركبوها وزينة ويخلق ما لا تعلمون﴾. ويقول في نفس السياق: ﴿ولكم فيها جمال حين تريحون وحين تسرحون﴾.

ويقول المصطفى محمد ﷺ: «إن الله جميل يحب الجمال» وليست التربية الفنية إلا مادة للتعريف بعناصر الجمال ومكوناته وقيمه وعلاقاته وغرس ذلك في وجدان وسلوك الناشئة من أبنائنا الطلاب ليستمتعوا في حياتهم بمظاهر الجمال التي أوجدها الله جل شأنه في السماء الصافية والسهل الممتد والبحر الهادي والصحراء الساكنة، في الزهرة الندية والبسمة البريئة، في الطائر المحلق والعصفور المغرد، في خرير الماء ونسمة الهواء في خضرة الأشجار وتدفق الأنهار وفي صمت الليل وحركة النهار، كل مظاهر الجمال هذه وغيرها مما لا حصر لها نحبها بالفطرة ولكل منا حسب ثقافته ومنظاره النقدي وسيلته للحكم والتمييز. ولكي توجد قاعدة نقدية موحدة تسري على السلوك والإبداع

الإشراف التربوي وسياسة التعليم

محمد بن صالح العسكر
الخرج

يمثل الإشراف التربوي جانباً مهماً من جوانب العملية التربوية التعليمية، والكتابة عن الإشراف التربوي تتطلب دقة واستيعاباً للأساليب الإشرافية القائمة. وعند ماتكون الكتابة عن الإشراف التربوي تتطلب ذلك فكيف إذا كانت الكتابة عن سياسة التعليم في المملكة العربية السعودية.

بالتأمل في آخر عبارة ختمت بها المادة الأولى وهي أن السياسة التعليمية هي جزء أساس من السياسة العامة للدولة نرى لزاماً أن ينظر المشرف التربوي إلى سياسة التعليم على أنها مرجعية لجميع مكونات المنهج وللقائمين على التعليم والمشتغلين فيه. ولكون هذه السياسة تميزت بالثبات والوضوح والتكامل والمرونة فما الإشارات التي وردت في سياسة التعليم التي تتصل اتصالاً وثيقاً بأداء مهمة المشرف التربوي؟ وما دوره تجاه هذه السياسة؟ لقد حدد دليل المشرف التربوي هذا الدور حيث يتولى الإشراف التربوي مسؤولية المتابعة الميدانية للتأكد من تحقيق غايات التعليم وأهدافه.

بل هو من أهم الأجهزة المشرفة على تحقيق تطلعات السياسة التعليمية كما أن هذه السياسة تعد موجهاً استراتيجياً لعمليات الإشراف التربوي، فتكون خطط

في أجيالنا المتعاقبة فإننا ندرس التربية الفنية في مدارسنا وفق مناهج محددة وأهداف مرسومة يمارس على هديها طلابنا كيف يدربون حواسهم على الاستقبال والتنفيذ فيكتسبون المعرفة إلى جانب الارتقاء بكفاءة تلك الحواس فيصبح الطالب عضواً منتجاً في مجتمعه والفضل في ذلك لله ثم للتربية الفنية في تهيئته وإعداده لهذا الدور الاجتماعي.

وتكون إبداعاته وابتكاراته نوافذ اتصال بينه كمنتج وبين مجتمعه المتلقي فيحظى بتقديرهم لما يتمتع به من مواهب وما اكتسبه من مهارات وخبرات، ومن ثم تنشأ عاطفة الألفة والمحبة بينه وبين المجتمع الذي يعيش فتسمو نفسه وتصفو مشاعره وتتهذب طباعه وتتزن انفعالاته ويصبح قدوة لأقرانه وزملائه، وتتأكد ذاتيته في السياق نفسه أثناء ممارساته للنشاطات الفردية والجماعية التي تسفر عن أعمال محسوسة عالية المستوى فيسري ذكره أيضاً في المحيط المدرسي بين زملائه ومدرسيه فيحس بالطمأنينة والثقة بالنفس ويطرد عن نفسه العزلة والتقوقع وحب الذات، وتتأكد أيضاً اجتماعيته وترتفع معنويته وتزداد رغبته في اقتحام مجالات أخرى وخبرات أكثر رقياً، فيشغل فراغه بتطوير مستويات أدائه الفني ولا يضيع منه زمن دون إنتاج أو عمل الأمر الذي يساعد الطالب على الرقي بمهاراته وإبداعاته وكلما ترقى استطاع أن يكون أسلوباً مستقلاً في الأداء والتنفيذ، فتصبح له مدرسته الفنية المستقلة وأطروحاته الفكرية المميزة مما يؤذن بولادة رمز وطني جديد، ينتشر اسمه إقليمياً وعالمياً ويدخل التاريخ الفني من باب التربية الفنية الواسع الجميل.

وهكذا تسهم مادة التربية الفنية مع غيرها من المواد في صياغة الأجيال وتنشئتهم التنشئة الإسلامية الملائمة لمصلحة الفرد والمجتمع الذي يعيش فيه، فهي ليست مادة للشخبطة كما يتصور الجاهلون بل هي مادة للإبداع والابتكار وتهذيب السلوك والوجدان والارتقاء بالذوق العام في العمل والتعامل والتبصر والإبصار والتخيل والتفكير وغير ذلك مما تستحق.

الإشراف التربوي ونشاطاته تجسيداً حقيقياً لسياسة التعليم، وقد وردت إشارات صريحة للإشراف التربوي في سياسة التعليم منها كلمة (المفتشين، وأساليب التوجيه الفني) قد ورد في الفقرة ١٩٨ : وتجرى بعد إقرار أي منهج دورة توعية توضح معالمه وأسسه وتبرز أهدافه وتبين طرائق تنفيذه ويشترك فيها واضعوه مع المفتشين والمدرسين الأوائل ومن يشارك في تأليف الكتاب المدرسي وكتاب المعلم كما ورد في الفقرة ٢١٤ تقويم العملية التعلمية في مختلف جوانبها من المنهج والمعلم والكتاب وطرائق التدريس وأساليب التوجيه الفني وغيرها وذلك عن طريق دراسة نتائج الامتحانات واستخدام وسائل التقويم.

ووردت إشارات ضمنية تحدد شروط اختيار المشرف التربوي كما في فقرتي ١٦٧ والفقرة ١٩٥ وقد ذكر في الفقرتين ١٧٠، ١٩٧ دور من أدوار المشرف التربوي وهو تدريب المعلمين، وأبرزت بعض أساليب الإشراف مثل إصدار النشرات التثقيفية والتوجيهية والإدارية الفقرة٢٢١ .

كما حددت بعض المهام للإشراف التربوي مثل الإشراف على التعليم الأهلي فنياً ومساعدتها على تحقيق أهداف التربية والتعليم من ناحية الإشراف والدعم الفني فقرة١٧٩، ١٧٥.

كما وضحت أهداف المواد وبعض الطرق التي يستفاد منها في تدريس المواد. يستفيد منها إشراف اللغة العربية وإشراف المواد الاجتماعية وإشراف التربية الرياضية وإشراف الرياضيات والتربية الإسلامية وتوجيه الطلاب وإرشادهم وهذه تظهر في الأهداف العامة الثلاثة والثلاثين (٢٩-٦١).

هذا ما يؤكد أهمية هذه السياسة بالنسبة للمشرف التربوي وأنه ليس له غنى عنها فحري بنا نحن المشرفين أن تكون هذه السياسة رفيقة دربنا في مشوارنا التربوي التعليمي.

مع الإنترنت ووسائل الاتصال:

مدرستي سجن كبير؟!

عبدالحفيظ تركستاني
جدة

«إني أدخل مدرستي كما لو أني أدخل السجن الكبير بأسواره العالية، كيف أقبل نصائح السجانين؟»

«إني أنظر للمعلمين كأعداء داخل وخارج المدرسة، فلن أقبل أي نصيحة منهم».

كانت هذه إجابة أحد الطلاب لسؤال عام كتبته في اختبار مادة الجيولوجيا بالصف الثالث ثانوي بالصيغة التالية:

تعالت الأصوات في أوساط شرائح المثقفين بضرورة إشراك المدرسة في إيجاد الحلول لمشكلات المجتمع والشباب، وضرورة توجيه المعلمين للطلاب خارج أسوارها

السؤال: كيف يتحقق هذا الطلب من وجهة نظرك؛ تلميذي العزيز؟

أسوق لكم نماذج من إجاباتهم التي بلغت ٣٥٥ إجابة. بتصرف؛ مركزاً على أربعة محاور هي:

المحور الأول: المعلم.

- أتمنى من معلمي كسر الحواجز النفسية التي تفصلني عنه في حدود اللياقة والاحترام وتكون المبادرة منه.

- لن يتحقق هذا المطلب إلا إذا نزل المعلم من برجه العاجي إلى مستوانا وتعايش معنا ويتعرف على قضايانا وأسلوب تفكيرنا.

- أتمنى من معلمي أن يزورني في منزلي ومعي رفاقي لنستمع لتوجيهاته.

- أرجو من المعلم أن يعاملنا معاملة إنسانية، وسننفذ توجيهاته خارج المدرسة ما دام لنا قدوة في التعامل.

- إني أمقت المعلم الذي يعمل من أجل مرتبه ولا يراعي الله تعالى في عمله وكل همه أن ينهي منهجه الدراسي، إني محبط يا أستاذ من أغلب معلمينا، إن دورهم محدود في التربية، كيف تنتظر مني أن أستمع لتوجيهاته ونصائحه؟

- إني أؤيد هذه الفكرة يا أستاذ ولكن من يقوم بها؛ هو معلم مثقف محبوب منا، ملم بأمورنا ومشكلاتنا، أين هو؟

المحور الثاني: المناهج الدراسية ووزارة المعارف.

- إن نمط مناهجنا الدراسية هو تجميد القدرات الذهنية والقيادية لنا وتحجير عقولنا، ولا تشجعنا لإيجاد الحلول لمشكلات المجتمع، لأننا نفتقد عنصر القدوة في المعلمين.

- نحن في بداية القرن الحادي والعشرين ومناهجنا مغلقة مفتقرة إلى روح التجديد، الدروس روتينية مركزة للحفظ، كيف تريد منا حل المشكلات؟

- لماذا لا تسمى وزارة المعارف (وزارة التربية والتعليم)؟

المحور الثالث: المدرسة.

- أرجو من المدرسة أن تشارك في أسبوع المرور - الشجرة - المسجد - النظافة... إلخ

- أتمنى من إدارة المدرسة الابتعاد عن البيروقراطية في تعاملها معنا، فنحن كتلة من المشاعر الإنسانية نحترم من يحترمنا، ونكره من يعاملنا بالظلم.

المحور الرابع: الأسرة والإعلام.

- إن آباءنا دكتاتوريون في التعامل، ولا نستطيع أن نتحدث عن مشكلاتنا معهم فكيف نتحدث عن أخطائنا كشباب يخطئ؟

- أتمنى أن توضع برامج تليفزيونية لتعليم آبائنا كيفية التعامل معنا، ومعاملتنا كأصدقاء.

- هناك فجوة بيننا وبين آبائنا وإن لم تسد من خلال معلمينا فسنذهب إلى رفاق السوء حتماً.

– في تصوري أن مطالب المثقفين لن تتحقق والسبب هو القنوات الفضائية، فمهما تعلمونا في المدرسة من مكارم الأخلاق فالتليفزيون يعلمنا نبذ الفضيلة من خلال البرامج الفنية.

اعزائي القراء:

بعد أن سقت لكم بعض النماذج من إجابات طلاب المرحلة الثانوية اتساءل بدوري هل سلخ هذا الجيل منا؟ كيف كنا ننظر لمعلمينا ونحن طلبة، وكيف ينظر أبناؤنا لمعلميهم هذا اليوم؟

نعم هناك فجوة كبيرة بين الآباء والأبناء، بين الطلاب ومعلميهم، هناك فجوة كبيرة بين مناهجنا التعليمية وتطلعاتهم.

إنهم يخوضون تجربة فريدة عبر وسائل الإعلام والإنترنت، وشخصياتهم ونمط تفكيرهم وطريقة تعاملهم تتشكل على النحو المهيأ لهم عبر البرامج الإعلامية والفنية الموجهة.

قد أكون مخطئاً في تصوري هذا، ولكن الا ترون أن هذا نذير بالخطر الثقافي والتعليمي الذي يتهدد أجيالنا الواعدة، هل الإجابة الأولى في صدر المقالة مؤشر على ذلك؟

متى نتحرك لنحقق تطلعات أبنائنا ونعيد حساباتنا التعليمية؟

سؤال أترك إجابته لمراكز القرار.

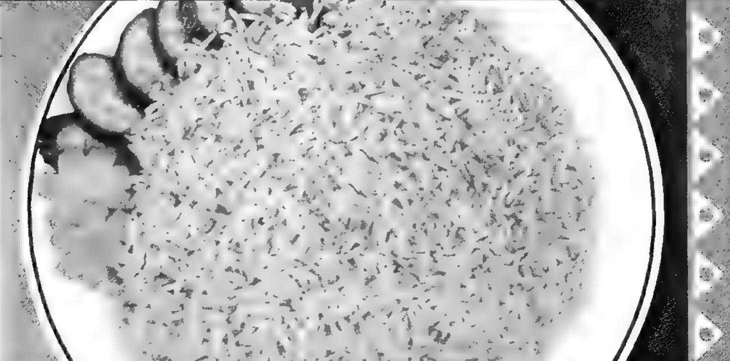

المعرفة ٢

- الانجاب يقوى الذاكرة.
- جمعيات للخريجين.
- كعكة المعرفة.

الواحة
ALWAHA
وحيد ..
فتى
الواحة
الشجاع
شراب
البرتقال الطبيعي
منعشة.. لذيذة.. طبيعية.

.. ما اظن يا أستاذ يبيى
لنا شخصية وانت ما عندك
إلا: انت يا البهيمه!!
أو: انت يا الكميخه!
وإذا بغيت ترفع
معنويات الطالب
تمنحه لقب.. بهلول!!
الطفل؟
الوهيبي

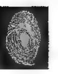

حياة كل واحد منا، جملة من النجاحات والإخفاقات . .
وأجمل شيء أن يترك الواحد منا الحديث عن نفسه، ويدع الآخرين يتحدثون عن إنجازاته ونجاحاته. حسناً . . وعماذا هو يتحدث إذاً، عن إخفاقاته؟ ربما!
الفشل ليس عيباً، فهو وقود الانتصارات . .
«المعرفة» تريد من هذا الباب أن تقول للشباب من الجيل الجديد إنه ليس هناك إنسان لم يذق طعم الفشل في حياته، نريد أن نقول لهم إن الجيل الذي سبقهم هو جيل إنساني يخطيء ويصيب . . ينجح ويفشل، ثم ينجح مع الإصرار.
ف: فرصة تمنحك إياها – المعرفة – لتسجيل اعترافاتك.
ش: شهادة.
ل: ليس عيباً أن تفشل . . ولكن العيب أن تزعم أنك لم تفشل في حياتك!
وضيف هذا العدد هو: د. عبدالله الفوزان، الكاتب المعروف، عميد الدراسات العليا والبحث العلمي بكليات البنات -سابقاً-.

المعرفة

عبدالله الفوزان:

فشلت في العمل مع «البنات»!

عندما استعدت من ذاكرتي ما بقي منها من مشاهد لماضي حياتي لأسجل بعض محطات الفشل فيها استجابة لدعوة مجلة «المعرفة» بديت أمام نفسي مثل صائد الجراد في المواسم الوفيرة. فقد وجدت محطات الفشل تتطاير من حولي بوفرة عجيبة، وما عليَّ سوى أن أمد يدي وأنا مغمض العينين لأصطاد منها ما أشاء وأضعه في (قفة) مجلة «المعرفة» لتزداد نجاحاً على حساب التشهير بمشاهد فشلي!

أنا والجدري

ابتداء فشلت قوى المناعة في بدني الصغير خلال طفولتي المبكرة في صد أخطار أمراض الطفولة ومضارها، فأقعدني مرض «الحصبة» وهد حيلي مرض «الجدري» تاركاً آثار طعناته الغائرة في وجهي، وذبحتني «العصبرة» وزادت من مناعتي مطارق «الكي» في بطني ورأسي، فلم يتجاوز بدني الصغير مرحلة الطفولة المبكرة إلا برصيد قليل من العافية والقوة. ومنذ ذلك وأنا أرعى هذا الرصيد القليل مثل مسافر تعرض لهزة مالية قوية خرج منها بقليل مما كان معه من رصيد فاضطر إلى الاقتصاد في مصاريفه ليتمكن من تدبير أموره بقية أيام الرحلة بما بقي معه من رصيد.

رغبة الوالدة

وفشلت أثناء دراستي في اختيار التخصص المناسب لميولي ومواهبي، إذ مع إدراكي التام أن ميولي علمية ومكرثة، فقد اضطررت إلى الاتجاه نحو التخصص في الأدب العربي تحت تأثير الحاجة المالية لأسرتي. فقد التحقت بعد انتقالي مع عائلتي لمدينة الرياض من بلدي القصب بعد إنهاء المرحلة الابتدائية بالمعهد العلمي التابع لإدارة الكليات والمعاهد العلمية (جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية حالياً) رغبة مني وأسرتي في المكافأة المالية التي كان ينفرد بها المعهد آنذاك، وكلما تذكرت ذلك أدركت حجم الأثر الذي أحدثته تلك المكافأة وفي ذلك الجيل الجاد المثابر، وأدركت كم هي بالغة آثار السياسات التعليمية المادية في الحاضر والمستقبل.

- **فشلت في استثمار «سنوات الطفرة».**
- **فشلت في دخول المجال العلمي.**
- **فشلت في تعليم أبنائي حب القراءة والإنترنت.**

وكانت والدتي رحمها الله تلتفت نحوي كلما انتهت من صلاتها وأنا أذاكر بجانب (السراج الزيتي) وترفع يدها وتقول «إن شاء الله تكون شيخ» وقد فشلت في تحقيق رغبتها فلم أدخل كلية الشريعة لسبب «وجيه»! ودخلت كلية اللغة العربية التي كانت هي الأقرب لواقعي.

الوظيفة

بعد ذلك فشلت في اختيار مجال العمل المناسب لي فقد ظللت لسنوات عديدة وأنا أعمل في كليات البنات التابعة لرئاسة تعليم البنات أحاول بالاجتهاد والسلوك الحسن إقناع المشائخ الذين تعاقبوا على رئاسة تعليم البنات بأن مثلي يمكن أن يكون تقياً منتجاً صالحاً جديراً بتحمل المسؤوليات الكبيرة فلم أحقق النجاح المأمول، حتى إن أحدهم حين كتب عني تقريراً جعلني غير متفهم لـ «أهداف الرئاسة» بسبب اختلاف «شكلي»!

تخطيط

ولقد حاولت عندما توليت مسؤولية التخطيط في كليات البنات أن أرسم الصورة المستقبلية التي في ذهني لكليات البنات، ولكن عوامل كثيرة قاهرة كانت تمسك بيدي قسراً وترسم الصورة الأخرى التي لا تعجبني، ثم لا تسمح لي بعد ذلك حتى بتحقيق ما بقي من خطوط ذاتية واهية منسجمة مع فكري وتطلعي، ولذلك فشلت في رسم الخطط التي ابتغيتها وفي تحقيق الوضع المستقبلي الذي أنشده للكليات.

البنات والدراسات العليا

وفشلت في تحقيق طموحاتي وتطلعي لما ينبغي أن تكون عليه برامج الدراسات العليا في كليات البنات عندما أصبحت عميداً للدراسات العليا والبحث العلمي في تلك الكليات لأسباب كثيرة قاهرة يصعب حصرها، ومن أبرزها هيمنة القرار السياسي «داخل الرئاسة» على القرار التربوي. وكمثال على ذلك فقد (أُمرت) كتابياً في إحدى المرات بإيجاد برنامج للدراسات العليا في إحدى كليات البنات في قسم كل منسوباته من حاملات

الماجستير فما دون، وقد كان الأمر مأساوياً، لكن ألهمني الله بمخرج أنقذ التربية من رغبات السياسة الإدارية.

الطفرة

ودائماً أتذكر ذلك الفشل الذريع الذي منيت به في بدايات عصر الطفرة حين لم أوفق في تصور ما سيكون عليه المستقبل، وكان ذلك بالطبع لصغر سني، فقد أنفقت مبلغ أربعة الاف ريال فوفرت لي أنذاك شراء ثلاجة وغسالة وتلفزيون أشاهد فيه أنا وأسرتي مسلسل (وضحى وابن عجلان) بدلاً من شراء عدة بلكات في حي العليا أو السليمانية بمدينة الرياض، وكلما تصورت تلك النقلة المادية التي ستحصل لي لو اني نجحت في توقع ما سيكون عليه المستقبل ابتسمت وهززت رأسي.

أولادي

وهأنذا أفشل الآن - بعد جهاد طويل في أن أجعل أولادي يحبون القراءة مثلي، فقد واظبت على شراء قصص الأطفال الشيقة لهم، وكنت أشجعهم على القراءة بكل السبل، وقد كدت أنجح مع «فائزة» أكبر أولادي، لكن برامج الفضائيات التي طفت في الآونة الأخيرة قضت على ما حققته من نجاح محدود وقوّضت كل آمالي.

الانترنت

وفشلي يتواصل الآن في جعل ابنائي يستفيدون من المواقع الجيدة في «الإنترنت» ويستخدمونها الاستخدام السليم، فقد شدتهم تلك المنتديات السخيفة وتلك المحادثات الأسخف فاضطررت إلى أن أكون دكتاتوراً في هذا الجانب مفضلاً أهون الشرين.

بعض النجاحات

أرفع يدي الآن من (قفة) مجلة المعرفة بعد وضع الجرادة الأخيرة بعد أن امتلأت ولم تعد تتسع للمزيد، والجراد ما زال يتطاير حولي ويصطدم بوجهي، ولا أدري لو فتحت عيني الآن وأردت اصطياد الحمام وطيور السمان هل أجد أمامي شيئاً منها، ولو وجدت فهل

عبدالله الفوزان

• فشلت في حماية وجهي من الجدري.
• فشلت أن أكون «شيخاً».
• أرجوكم ، ادعوا لي..

أستطيع اصطياده بنفسي أم لابد من استخدام وسائل الآخرين؟!

لقد نجحت في مواصلة دراستي العليا، وفي تكوين أسرة يبدو لي أنها منسجمة ومترابطة فوفقني الله في توفير معيشة كريمة لها، ولكن هل يمكن أن أعزو هذا النجاح لقدراتي ومواهبي، أم لكفاح الآباء والأجداد الذين وجدوا الممكن وغيروا واقعها السابق إلى واقع جديد مكنني من تحقيق ذلك، أم أن الأصح أن أعزو ذلك لأولئك العباقرة الذين اكتشفوا الطاقة وكافة وسائل الحضارة الحديثة، أم أعزوه لأولئك المثابرين الذين اكتشفوا وجود البترول في المملكة، أم لغير ذلك من العوامل الأخرى.

وعلى أي حال فما دام الفشل هو الآخر له ظروفه وأسبابه العديدة الأخرى، فما الذي أستطيع قوله أخيراً إلى مثل غيري ذلك الإنسان الضعيف المفتقد لعونه وتوفيقه ثم عون الآخرين.. فأرجوكم أيها الإخوة ادعوا لي بالتوفيق. ■

المعرفة

من هنا وهناك :

معلومات قديمة

أثبت العلماء مؤخراً فكرة بدائية يعرفها الجميع وهي أن العقل لا يعمل بشكل جيد إذا ما حرمته من النوم في أثناء الليل، ولكنهم قالوا إن الآثار السلبية للحرمان من النوم تتفاوت حسب النشاط المطلوب من العقل أن يؤديه، وقال باحثون من كاليفورنيا إن العقل المحروم من النوم لا يتعامل بكفاءة مع المسائل الرياضية.

المثل الأعلى مهم جداً

وجدت دراسة بريطانية حديثة أن الصبيان المراهقين بدون مثال أعلى لصورة أب قوية معرضون بشكل أكبر للمعاناة من الاكتئاب والتصرف بسلوك مناف للمجتمع وإحراز نتائج تعليمية ضعيفة في المدرسة. وأظهرت الدراسة التي أجرتها إحدى الجمعيات الخيرية بالتعاون مع قسم السياسة الاجتماعية المطبقة في جامعة أكسفورد وشملت ١٤٠٠ صبي بين سن ١٤و١٩ عاماً، أن تواجد مثال أعلى مهم جداً لثقة الطفل بنفسه وبقدرته على الإنجاز.

وأشارت الدراسة إلى أن الرجال مازالوا يلعبون دوراً رئيساً في حياة أبنائهم رغم قيام الأمهات بالعديد من الأدوار أو المهام التي كانت تعود ذات يوم إلى الآباء. وحددت الدراسة ثلاث مواصفات عند الآباء ذات التأثير الأكبر على الصبيان وهي توفير الوقت لقضائه مع الأطفال والاستعداد لمناقشة مشكلاتهم والاستماع إلى آرائهم وإظهار الاهتمام بعملهم.

إدمان

كشف تقرير نشر في لندن ان شبكة المعلومات العالمية «الإنترنت» قد أصابت بعض متابعيها بمشكلة جديدة أطلق عليها اسم «إدمان المعلومات» أكد التقرير الذي شمل استطلاعاً لآراء ألف من مديري الشركات أن أكثر من نصف هؤلاء بدأت تنتابهم رغبة شديدة في جمع أكبر قدر من المعلومات عبر الشبكة العالمية، وقال هؤلاء إنهم يقضون أوقاتاً طويلة في اليوم بحثاً عن المعلومات لكن الأشخاص الذين تم استطلاعهم كشفوا انهم لم يستفيدوا من معظم هذه المعلومات لأنه لم يتبق لهم الوقت الكافي لعمل أي شيء مفيد.

أكد التقرير أيضاً أن النتيجة النهائية لإدمان المعلومات هي انحسار الإنتاجية في المكاتب والشركات وشدة الضغط على العاملين

نقص اليود.. خطر

كشف الخبراء عن خطر جديد يتهدد صحة سكان العالم وهو نقص عنصر اليود في الطعام. وقال الخبراء- أمام مؤتمر صحفي نظمته الأمم المتحدة- إن نقص اليود له عواقب صحية أكثر تدميراً من مرض الغدة الدرقية، باعتبار أن عدم الحصول على نسبة كافية منه في الطعام، يعد من أكبر أسباب تلف المخ في العالم كله، كما أنه يعد سبباً رئيساً في ولادة أطفال موتى، والإجهاض أيضاً.

وأكد خبراء الأمم المتحدة ومنظمة اليونيسيف أن نقص اليود حتى بنسب صغيرة يؤدي إلى إعاقة نمو مخ الأطفال، ويخفض معدل ذكائهم بنسبة ١٥ نقطة ويؤخر قدراتهم على التعلم.

البدانة تكلف أمريكا ١٠٠ مليار دولار

ذكرت دراسة أمريكية أن البدانة تكلف الشعب الأمريكي مائة مليار دولار كل عام. وقال مدير إحدى المنظمات المهتمة بدراسة البدانة إن الأمريكيين ينفقون ٥١ ملياراً سنوياً مصروفات طبية مباشرة لعلاج البدانة مثل الأدوية وأتعاب الأطباء والعمليات الجراحية، وأضاف قائلاً إن ٤٩ مليار دولار إضافية تذهب كتكلفة غير مباشرة مثل انخفاض الإنتاجية، وضياع ساعات العمل، ولذلك فإن مشكلة البدانة تعد ثاني أكبر مشكلة صحية في الولايات المتحدة بعد التدخين، ومن ناحية أخرى ذكر الخبراء الأمريكيون أمام مؤتمر حول البدانة عقدته جمعية شمال أمريكا لدراسة البدانة أن التمرينات الرياضية، وخفض السعرات الحرارية في الطعام، هما السبيل الحقيقي لخفض الوزن.

المليونيرات ليسوا أذكياء!

في كتاب جديد صدر في الولايات المتحدة تحت عنوان «عقل المليونير» كشف مؤلفه توماس ستانلي عن أن معظم المليونيرات كانوا طلبة عاديين يتمتعون بقدر متوسط من الفطنة والحصافة.

وقال ستانلي في كتابه، الذي درس فيه حالات ١٣٠٠٠ مليونير أمريكي، إنه خلافاً للاعتقاد الشائع بأن المليونير كان في الغالب طالباً نابغاً يحصل على درجات عالية تؤهله لدخول الجامعات المرموقة أو ابناً لعائلة ثرية، فإنه وجد أن أغلب هؤلاء المليونيرات كانوا طلبة عاديين، وقد قرر معظم المليونيرات أن الذكاء وحده لم يكن السبب في نجاحهم، وإنما الحماس، والتنظيم الجيد، والزوجة المساندة والعمل الشاق.

في جنوب إفريقيا :

الأطفال يعانون

تشير أحدث الإحصاءات الصادرة عن مركز توجيه الآباء والأبناء في جنوب إفريقيا إلى أن واحداً من كل أربعة أطفال في جنوب إفريقيا وقع أو سيقع ضحية لشكل من أشكال سوء معاملة البالغين بما في ذلك سوء المعاملة جنسياً سواء بشكل جسدي مباشر أو بشكل نفسي، وحذر المركز من أن ٨٩٪ من هؤلاء الأطفال الذين يساء معاملتهم سيمارسون هم أنفسهم هذا السلوك ضد الآخرين. وتشير الدراسة إلى أن المساحة العمرية التي تغطي لفظ طفل تبدأ من ثلاثة شهور إلى ١٨ عاماً. وتقول الدراسة إن هذه السلوكيات المنحرفة تمتد لتشمل جميع الطبقات الاجتماعية والعرقية بغض النظر عن مستواها الاقتصادي.

وأطفال الهند ينتحرون

أظهرت دراسة حديثة أجراها فريق من الأطباء بالمستشفى الجامعي بولاية كيرلا الهندية أن محاولات الانتحار بين الأطفال والمراهقين سجلت تزايداً بالولاية. وأوضحت ورقة بحث قدمت إلى مؤتمر حول أمراض الأطفال في جنوب الهند، أن أسباب ذلك السلوك الانتحاري بين الأطفال والمراهقين تتضمن عوامل نفسية وحيوية وعائلية وبيئية.

وأوضح البحث ضرورة بحث السلوك الانتحاري بين الأطفال المرتبط بالاكتئاب واضطراب الشخصية أو السعي وراء جذب الاهتمام بصورة أكبر لكبح هذا الاتجاه مشيراً كذلك إلى أن الإجهاد العصبي في المدرسة يشكل عاملاً مهماً يجدر أخذه في الاعتبار.

امضغ الـ «دايت» لبان

أوصى الاتحاد الفرنسي لصحة الفم والأسنان بمضغ اللبان منزوع السكر حيث تبين أن هذه العملية تزيد اللعاب مما يحول دون إصابة الأسنان بالتسوس، كما أن اللعاب له فوائد أخرى عديدة أهمها إبطال مفعول الأحماض الناتجة عن الطعام بالإضافة إلى دوره في حماية الغشاء المخاطي للفم وتليينه.

الإنجاب يقوي الذاكرة

أكدت دراسة بريطانية حديثة أن إنجاب الأطفال يقوي الذاكـرة، وأوضـحت الدراسـة التي أجـريت على إناث الفئران أن الهرمـونات التي يتم إفرازها خلال الحمل وبعد الولادة تؤدي إلى تغييرات ذات أثر بعيد المدى على عقولها، وأكدت أن هذا التـأثير كان إيجابياً سـواء من حيث القدرة على التذكر أو التعليم.

العربية في الإنتربول

أفاد بيان صادر عن الأمانة العامة لمجلس وزراء الداخلية العرب في تونس أن اللغة العربية اعتمدت لغـة عـمل رسـمـيـة في منظمـة الشـرطة الدوليـة (الإنتـربول)، لتـصـبح بذلك على قـدم المسـاواة مع اللغات الثلاث الفرنسية والإنجليزية والأسبانية

وأوضح البـيـان أنه تمت الموافـقـة رسـمـيـاً على اعتماد اللغة العربية لغة عمل رسمية في الإنتربول خلال الجلسة الأخيرة للمنظمة في سيول بكوريا الجنوبية.

وأضـاف البـيـان أن قرار الإنتربول جـاء عـقب توقيع بروتوكول تعاون بين المنظمة ومـجلس وزراء الداخلية العرب في شهر سبتمبر عام ١٩٩٩.

دعم الموهوبين

قدم مليونير بريطاني القدوة لما يجب أن يكون عليه رجال الأعمال من تحمل للمسؤولية تجاه وطنهم، وذلك عندمـا قـرر تبني مـئـات الأطفـال الأذكـيـاء والموهوبين من الأسـر مـحدودة الدخل، وإلحـاقـهم بمدارس مستقلة من أجل تنميـة مـهاراتهم وتطوير ذكائهم.

وذكـرت صـحـيـفـة «ديلي تلغراف» البريطانية أن المليونير بيترأ وجدين، حصل على ٣٤٤ مليون جنيه استرليني من عائد بيع حصته في مؤسسة لخدمات الكمبيوتر، وقـرر الإنفاق منها على الأطفال من سن ١١ سنة إلى ١٨ سنة، وقال أوجدين إن المدارس الحكومية الابتدائية سوف تقوم بتصفية المتقدمين للاستفادة من المشروع، الذي تبلغ تكلفته المبدئية مليون جنيه إسترليني.

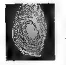

في كل يوم يواجه الواحد منا مواقف متنوعة في منزله، في مكتبه، في الشارع أو السوق. ويتخذ حيال هذه المواقف رد فعل أو إجابة فورية، ويكون هذا الرد أو الإجابة إما عفوياً ينبني عن قناعة هذا الشخص حيال هذا الموقف بكل تلقائية وصدق، وإما أن تكون الإجابة القولية أو الفعلية مصطنعة ومتكلفة يتجمل بها هذا الشخص دون أن تنبني عن حقيقة شعوره وقناعته الداخلية.

هذه الأسئلة القادمة، تحاول «المعرفة» من خلالها أن تضعنا أمام المرآة.. مرآة إجاباتنا التي تعكس الحقيقة، أو نصف الحقيقة فقط!

وضيفنا الآن هو د.محمد سليم العوا، المفكر التربوي المعروف.

المعرفة

محمد سليم العوا:

سأشتكي أصحاب «الكاميرا الخفية» أمام القضاء!

***** وأنت تقف أمام إشارة المرور بصحبة أحد زملائك، تقدم منك شاب صغير ليبيعك منديل ورق، دققت في ملامحه ووجدته أحد أقاربك، كيف تتصرف أمام زميلك مع هذا الفتى؟***

– أعطيه قدراً من المال لا أعطيه عادة لأمثاله، وأقول له كلمتين طيبتين لأرفع معنوياته، ثم أحدث صديقي فور تحرك السيارة في موضوع لا علاقة له بالفتى وما كان بيننا.

***** زوجتك تملي عليك عبر هاتف العمل طلبات المنزل، فجأة يدخل عليك رئيسك، ويسمعك ويراك وأنت تكتب: لبن - حفائظ- صابون.. كيف تبرر؟***

– سأقول له بتلقائية مصطنعة: أقصر في البيت تماماً كما أقصّر في العمل ولذلك ليس لك أن تلومني.

***** جاءتك ابنتك الصغيرة -التي ينقصها جرعة كبيرة من الجمال!- وسألتك: بابا.. أنا حلوة؟.. فماذا تقول لها؟***

–سأقول لها إنها جميلة فعلاً خصوصاً عندما تتحدث في الموضوعات التي تعرفها، وعندما تساعد في الشأن المنزلي، وعندما تخلد إلى النوم فلا تزعجنا في أوقات راحتنا.

***** الساعة الرابعة فجراً، ولا يوجد عند إشارة المرور الحمراء أي سيارة، هل تتوقف عند الإشارة أم تلتفت يميناً وشمالاً وتتأكد من خلو المكان، ثم تنطلق رغم الضوء الأحمر؟***

– سأتوقف قطعاً عند الإشارة الحمراء، فأنا ممن جربوا كيف تنتج المخالفة الصغيرة جداً مصائب كبيرة جداً.

***** تدعو ضيوفاً «فاخرين» إلى عشاء فاخر خارج المنزل، وفي نهاية الدعوة تكتشف أنك لا تحمل أي نقود أو بطاقة ائتمان، ويرفض صاحب المطعم أي محاولة منك لإرجاء الدفع.. ماذا تصنع؟***

– أصارح ضيوفي وأطلب ممن معه بطاقة ائتمان منهم أن يدفع نيابة عني، وأرسل له نقوده مع بطاقة شكر شديدة الرقة في الصباح الباكر. ولكنني سأكون- من

• سأطلب من ضيفي أن يدفع ثمن عشائنا.
• لا أستطيع محادثة الثقلاء.
• سلّمت عليّ في السوق، فدعوتها إلى منزلي!

داخلي- في غاية الحرج والخجل وبالصراحة المفتعلة أداري هذين الشعورين!

**** تجلس أمام التلفاز لمشاهدة مباراة وبجانبك ابنك الذي تحثه دائماً على تجنب الألفاظ البذيئة والشتائم. وفجأة يضيّع لاعب فريقك المفضل هدفاً محققاً فتمطره بوابل من الشتائم، فيلتفت إليك ابنك بدهشة.. فماذا تقول له؟***

-أقول له: لعلك عرفت الآن لماذا أطلب منك عدم استعمال اللفظ الخارج، لئلا يخزن في محصولك اللغوي فيخرج عندما لا تسيطر على نفسك وتفقد احترام الآخرين لك

**** فتحت باب منزلك وهممت بالخروج، ولكنك لمحت جارك وهو ينقل صندوق النفايات المشترك بينك وبينه من أمام منزله ليضعه أمام باب منزلك.. ماذا تفعل، هل تواجهه فوراً، أم تختفي خلف الباب ثم تتصرف لاحقاً؟***

- أختفي خلف الباب، ثم أحكي لأولادي ما رأيته وأنهاهم عن التشبه به، وأحثهم على رعاية هذا الجار بالذات وإظهار المودة والاحترام له.

**** جاء ابنك فرحاً بشهادة نجاحه من مدرسة أهلية، وقد حصل على تقدير ممتاز في مواد تعلم يقيناً أن ابنك ضعيف فيها كالرياضيات والنحو والعلوم.. هل ستفرح مثل ابنك، أم ستؤجل الفرحة إلى حين...؟***

-سأبدأ بإظهار الفرحة، ثم أناقش حقائق الأمور معه بهدوء ثم أصحبه في اليوم التالي إلى مدرسته وأناقش المسؤولين فيها- في غير حضوره- وأطلب منهم الاهتمام الفعلي بتحصيل التلاميذ لا إظهار نتائج خادعة.

**** عند إشارة المرور تشاهد الراكب في السيارة المجاورة يفتح النافذة ويلقي المهملات في الشارع. تراودك نفسك أن توبّخه، لكنك تدرك أن مثل هذا الشخص عادة يكون غير محترم حتى في ردوده، وتخشى أن يستفزك بكلمة ساقطة، فماذا تقرر؟***

– لاأفعل شيئاً قط، ولكن أنبه صديقي في سيارتي إلى سوء هذا السلوك، أو أحكي الواقعة في البيت وأناقش أبعادها تربيةً لأولادي.

***** دُعيت إلى حفل زفاف، وبالفعل ذهبت ودخلت صالة الحفل بكامل زينتك واحتفى بك الداعون كلٌ يظن أنك مدعوٌّ من لدن الطرف الآخر، لكنك اكتشفت بعد جلوسك ضمن كبار الضيوف، أنك قد أخطأت العنوان، وأن الزفاف الذي دعيت إليه في موقع آخر غير هذه الصالة، كيف تتصرف.. هل تخرج لتدرك دعوتك أم تكمل السهرة مع هؤلاء منعاً للإحراج؟*

–أنسحب بهدوء لأحاول إدراك دعوتي الأخرى.

***** في السوق التفتت زوجتك فجأة لتشير إلى أحد مشاهير الفن، وتنبهك – بزهو- لوجوده.. ماذا تقول لها؟*

– أنادي على هذا الفنان وأقول له: زوجتي نبهتني إلى وجودك وهي وأنا نحييك ونقدر أعمالك الفنية الراقية.. ثم نسلم عليه وننصرف..

***** في السوق ومعك زوجتك أيضاً، استوقفتك إحدى النساء وقالت لك: أنت الكاتب الفلاني؟، ثم بدأت تبدي إعجابها بكتاباتك، وزوجتك تتابع تفاصيل الحوار، هل تستطرد في الحديث مع هذه المرأة أم تحاول أن تنهي الحوار بسرعة؟*

–حدث هذا فعلاً، وأخذت المرأة تناقشني في بعض ما قرأته لي، فعرفتها على زوجتي ودعوتها إلى زيارتنا في المنزل، وأعطيتها هاتفنا، ولكنها لم تفعل.. حتى الآن على الأقل!

***** أحدهم يستفزك إلى حد بعيد، فتبدو عليك مؤشرات الانفعال والغضب الشديد، وفي قمة التوتر يخبرك الشخص المستفز أنك أمام «الكاميرا الخفية»، ماذا ستصنع، وهل ستسمح بعرض المشهد؟*

– أنصرف محذراً إياه من عرض هذا المنظر، وقد أهدده أن أقاضيه إن فعل، وفي أول فرصة أكتب ما حدث وأنشره فيعرف أن عاقبته معي كانت خسراً.

***** وأنت في منزلك، دق جرس الهاتف فرفع ابنك السماعة، وإذا به أحد الثقلاء الذين لا ترغب التحدث معهم، ماذا تقول لابنك؟*

محمد سليم العوا

– أقول له، وهذا يحدث كثيراً، قل له: إنني الآن متعب أو جالس مع أولادي ولا أستطيع محادثته. وكثير من هؤلاء كفوا تماماً عن الاتصال بعد مرتين أو ثلاث.

***** في البيت تشاجرت مع زوجتك كأي زوجين يتشاجران، ولكن ابنك الذي تحذره دائماً من الشجار مع إخوانه وأن الشجار صفة دميمة، حضر فجأة وأنتما على هذه الحال، ماذا تفعل؟ هل تؤجل استكمال الشجار أم تشرح له الأسباب؟*

– أسكت ثم أطلب منه الانصراف عنا. ثم أجلس إليه في أقرب وقت وأذكره أننا كلنا خطاؤون وخير الخطائين التوابون، وأننا تصالحنا وانتهى الأمر فلا يحتاج إلى ذكره أو التفكير فيه.

***** دُعيت إلى عقد قران أحد الزملاء، ولكنك لست متأكداً من عنوان منزله، أخذت تدور في الحارة حتى وجدت منزلاً محاطاً بسيارات عديدة فأيقنت أنه هو، حملت باقة الورد ودخلت المنزل، فإذا بك قد أخطأت العنوان، وأن أهل هذا المنزل لديهم عزاء، فماذا تفعل بباقة وردك ونفسك؟*

–أعتذر فوراً وأخبرهم بالحقيقة، وأجلس قليلاً جداً مواسياً ثم أنصرف إلى بيت الفرح وأعيد حكاية القصة كلها.

***** والآن.. خذ نفساً عميقاً، ثم أعد النظر في إجاباتك من أولها إلى آخرها، ثم احكم بنفسك على نفسك: هل قلت كل الحقيقة.. أم نصف الحقيقة.. أم...؟! حكم نفسك (اختياري):*

–قلت الحقيقة حسبما هي بينة الآن في نفسي.. والله أعلم وأحكم. ■

الحياة صور وشخصيات و.. أحداث..
الحياة قصص صغيرة تصب في روايات طويلة..
نحن نرى.. نسمع.. نتكلم و.. نسجل..
حروف مبعثرة تكوّن فيما بينها مفردات واقع يصافحنا كل يوم.. ونحياه.

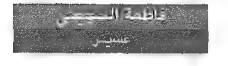

نقص

استلم الوثيقة من الجامعة.. تلقى التهاني. وعندما اختلى بنفسه شعر أن هناك شيئاً (ما) ينقصه.. فكر طويلاً وكثيراً عندما شعر أنه اقترب من معرفته، أغمض عينيه ونام.

غداء

اصطحب صديق عمره - في نهاية الدوام - إلى منزله «لقد حان الوقت لتتناول غداءك في منزلي». صمت الصديق على مضض، فهو يشعر بالجوع ويعلم ماذا سيحدث. بعد فترة عاد ناكس الرأس: آسف يا صديقي لقد نسيت أنني لم أحضر زوجتي بعد من المدرسة. ابتسم الصديق مواسياً: لا بأس يا صديقي فلنذهب إلى بيتي فالغداء هناك جاهز منذ الثانية عشرة.

شكوى

تمدد الأب ليأخذ غفوة صغيرة قبل أذان العصر، لكن طفله الصغير حرمه هذا الحق بكثرة حركته. قام الأب غاضباً وضربه. لم ينتظر الصغير طويلاً. أخذ ورقة صغيرة كتب فيها اسم والده كاملاً وارتدى ثوبه وتقلد حقيبته وانطلق بسرعة نحو المدرسة قائلاً: سأشكوك، سأقدم اسمك للمعلم لكي يقتص لي منك!

ملل

قال: أنت مملة.. لا حديث عندك سوى مشكلات الطالبات وضغط الحصص وشجار المعلمات وتزمت المديرة..! علمت أن دوره قد حان فصمتت. عندها انطلق يحدثها عن وعورة الطريق إلى مدرسته ورداءة المبنى وغياب الكهرباء وانقطاع الماء... و.....

أمنية

قرر مدرس التعبير أن يخصص درس اليوم للطلاب ليتحدثوا عن أحلامهم وأمنياتهم لأنفسهم وللوطن والأمة. قام الطالب الأول من اليمين فقال وهو يحك رأسه: أتمنى أن يحين موعد الانصراف بسرعة!

مديرة

وضعت المديرة رأسها بين كفيها وأسندت ذراعيها على مكتبها الفخم فتساءلت طالبة كانت تراقب الموقف من بعيد: كل هذه الراحة والفخامة وتشعر بالحزن؟!

تحضير

تسللت خفية لغرفة المعلمات. خطفت دفتر تحضير إحداهن ودسته في حقيبتها. عادت مسرورة لمنزلها. قدمته لأمها كبديل لدفترها الذي مزقه والدها ليلة البارحة على مرأى ومشهد من عينيها الصغيرتين بعد مشادة حامية بينهما!

وظيفة

هجم على حقيبتها يفتش عن الراتب. نظرت إليه ببؤس، وقالت: حلمت بك رجلاً! فرد: حلمت بك وظيفة!

إملاء

قال المعلم بلهجة صارمة: أكتب - علماً بأنك لن تنجح حتى ولو منحوك دوراً عاشراً، وليس ثانياً فقط: أكتب: تفاحٌ أخضر، كتب: جرّاحٌ أحمر.. ورسب!

تاريخ

في تاريخ اليوم لقيتك قبل شهور.. قلت: أين الفعل العذب الحلو «أعطي أبذل» دون حدود؟! عبر الأحرف والطباشير ففي ساعات درس فيه قصور. فحضارة وقفتك الكبرى تبني قصور. لا يتذمر منك بنان.. أضناه التصحيح، وفقرات ظهر قوسها فعل معتل وصحيح. أحيلي وقتاً ممزوجاً بالآلام.. أحيلي درساً ممجوجاً.. عزف ضمير.

أمل

غداً يأتي.. يحمل في سلته ثمراً. ■

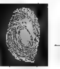

كثيراً ما نردد في مجالسنا: لو كنت مكان فلان لعملت كذا، ولو كنت مكان علان لما عملت كذا! والأمثال تقول: «ليس من رأى كمن سمع»، و «وما يوجس النار إلا واطيها»!
نحن - هنا في المعرفة - نحاول أن نوجد مقاربة سوريالية بين الخيال والواقع.
نصدر «قراراً معرفياً» بتعيين فلان في المنصب الفلاني لمدة ٧ ايام، لننظر هل ستكون هذه الأيام سبعاً سماناً ام عجافاً، أم غير ذلك؟
ها هو صاحب المنصب الخرافي يتحدث إليكم . .

نذير العظمة:

الربيع لا تلبسه الأرض إلا إذا استحمت بدموع السماء

المنصب: أمين المجلس الأعلى للشعر.

المرشح: د. نذير العظمة

أستاذ الأدب الحديث والمقارن - جامعة الملك سعود بالرياض

- **كل الشعراء أمراء للشعر!**
- **المنصب حرمني وردة الخدين وابتسامة الشفتين وتألق العينين.**
- **إذا أردت أن يعود إليك وجهك فالجأ إلى الفعل.. أيها الشاعر!**

حالي

تلقيت هاتفاً من «مجلة المعرفة» بانني عينت «اميناً عاماً لمجلس الشعر» والمركز طبعاً مركز وهمي، اغتبطت، ومن قال إن الوهم لا يفرح الإنسان، أليس الوهم هو الاخ المنبوذ للحلم؟! الحلم كالحياة يبقى، ولكن الوهم يزول، كذلك المراكز والكراسي. فيا أيها الشعراء لوذوا بالحلم الذي يجنح الحقيقة فتشمخ إلى الأعلى وتجنبوا الوهم.

السبت

تساءلت صبيحة هذا اليوم كم أميراً للشعراء عندنا، ألسنا كلنا أمراء؟ وبلغة أخرى ألسنا كلنا شعراء؟! وبصفتي أميناً عاماً للشعر بالوهم، أطلب من هؤلاء الشعراء أن يثقبوا مرآته المراوغة ببصيرتهم، ففي الجانب الآخر تتهيأ الحقيقة للزفاف، ولكنها تنتظر الفكر المناسب على هيئة فارس للحلم

الأحد

استيقظت هذا الصباح متوعكاً وجررت أقدامي إلى المغسلة. نظرت في المرآة فلم أر وجهي، بل إنني رأيت وجهي ممسوخاً، لا عينان يتألق فيهما الفرح، ولا خدود موردة، ولا شفاه تنفرج عن ابتسام، والأنف أفطس إلى الداخل. أين ذهب التقويم الحسن؟! ألم يقل الله في محكم كتابه الكريم ﴿لقد خلقنا الإنسان في أحسن تقويم﴾؟!

لماذا فقدت الوجه الإنساني وأصبحت على هذه الشاكلة بلا هوية؟! فهتف «أمين عام مجلس الشعر» الذي يتربع في المخيلة: إنك تناولت في الأمس على العشاء جرعة كبيرة من الوهم.

الاثنين:

خطر لي خاطر لو تحقق لما أحس أمثالي من المبدعين من البشر العاديين بهذا المغص الذي يلف وجوهنا وعقلنا بسحابة من الدخان. فلا نكاد نرى، تختلط علينا الأشياء!! فلا نميز الوهم من الحقيقة والحقيقة من الوهم. فهأنذا أمين عام لمجلس الشعر، لكنني وجدت نفسي أكثر جدارة لأن أكون أميناً عاماً لمجلس الجامعة العربية، لكن هل من المعقول أن أقايض مركزاً بمركز؟!

أليست بضاعتي كأمين عام للشعر هي الوهم عبر صناعة القول الذي لا يستند إلى فعل؟! فلذلك مركزي لا يخيف أحداً وكذلك هي مراكز الوهم لا تخيف أحداً. إذا أردت أن يعود إليك وجهك وتتضح هويتك فالجأ إلى الفعل.. الفعل أيها الأمين العام هو ما نحتاج إليه، إنه هو الذي يعيد إليك القدس ويعيدك إلى كرامتك وهويتك.

نذير العظمة

- **رفعت اللحاف عن صدري فطارت منه عنقاء القصيدة.**
- **صحوت، فخلعت الوهم ولبست الحلم.**

الثلاثاء:

في هذا اليوم فتحت عيني ورفعت اللحاف عن صدري فطارت منه عنقاء القصيدة. وأخذت نجومٌ فوق رأسي مشكلة هالة للنار. فصار وجهي كما الشمس، وهي تقول اخلع ثوب الرماد أيها الغافل، والبس ثياب النار لتلد من جديد، انهض وافتح شبابيك للريح، الحياة ليست ركوداً لا يتحرك. وبما أنها فصول تتعاقب، فإن خريفك لن يدوم، لكن ليأتي الربيع إليك لابد لغضبك لا لنومك أن يستحيل إلى سحاب ومطر، فإن الربيع لا تلبسه الأرض إلا إذا استحمت بدموع السماء!

الأربعاء

نمت وصحوت، نمت «أميناً عاماً للشعر».. وصحوت بشراً سوياً، بعينين أرى وبأذنين أسمع وبفكر في الداخل يتحرك لأنني خلعت الوهم، ولبست الحلم. الحلم الذي ينبض في رحم الحقيقة، أو الحقيقة التي تنبض في رحم الحلم. إذا أردتم أيها الناس هوية الفجر فحولوا مراكز الوهم إلى انبثاقات ولادة تصيح بين غبش الليل وألق الفجر. ليس هناك أكرم من الحياة فعاملوها بكرامة الحق وجمال الحلم. ■

احتفالا بعددها التطويري:

المعرفة تقطع كعكة التطوير

الإعلاميون الذين تناولوا كعكة مجلة المعرفة احتفالاً بعددها التطويري أكدوا الخطوة المتقدمة التي خطتها المعرفة في سنتها الرابعة بعد إعادة إصدارها.

المدعوون الذين يشملون معظم الصحف المحلية كانوا محل احتفاء «المعرفة»،حيث التقى الجميع في بهو المجلة الأنيق وتبادلوا الأحاديث الودية، وطرح في اللقاء الذي

ينظمها برنامج الخليج العربي

٣٠٠,٠٠٠ دولار جائزة المشروعات التنموية الرائدة

طرح برنامج الخليج العربي للمشروعات التنموية الرائدة جائزة مالية عالية ضخمة قدرها (٣٠٠,٠٠٠ دولار) للمشروعات التنموية الرائدة المنفذة من قبل المنظمات الأممية والدولية والإقليمية أو المنفذة من قبل الجمعيات الأهلية أو المنفذة من قبل الأفراد.

وتتكون جائزة البرنامج من ثلاثة فروع تبعاً للجهات المنفذة للمشروعات المرشحة وهي:

١- جائزة البرنامج المخصصة للمشروعات التنموية الرائدة المنفذة عن طريق المنظمات الأممية والدولية والإقليمية (١٥٠,٠٠٠ دولار) وموضوعها: مكافحة الإيدز والحد من انتشاره في المجتمعات النامية.

٢- جائزة البرنامج المخصصة للمشروعات التنموية الرائدة المنفذة عن طريق الجمعيات الأهلية وقيمتها (١٠٠,٠٠٠ دولار) وموضوعها: تدريب الشباب لزيادة قدراتهم الإنتاجية.

٣- جائزة البرنامج المخصصة للمشروعات التنموية الرائدة المنفذة عن طريق الأفراد وقيمتها (٥٠,٠٠٠ دولار).

وموضوعها: ترشيد استخدام المياه ودوره في حماية البيئة.

- وتهدف الجائزة إلى دعم الجهود المتميزة الهادفة إلى

استمر قرابة الساعتين عدد من الموضوعات الإعلامية والثقافية، منها المأزق الذي يواجه انتشار المجلات الجادة وكيفية الحد من الإعلام السطحي الذي يؤثر سلباً على ثقافة المجتمع.

وكانت مجلة المعرفة قد تلقت بُعيد صدور عددها التطويري الذي استهلت به شهر محرم الماضي - والذي طبع منه ١٠٠,٠٠٠ نسخة، عدداً من ردود الفعل الإيجابية من داخل المملكة وخارجها تشيد بالنقلة الجديدة التي شهدها الشكل والمضمون وتبارك «للمعرفيين» هذا النفس المتجدد الذي جعل من المعرفة كائناً لا يشيخ.

«المعرفة» استقبلت هذه الاستجابات بمزيد من العمل ومضاعفة الجهد بوصفها الوقود الذي يبعث على العمل والتواصل والتفاعل. ■

تنمية وتطوير مفاهيم التنمية البشرية وإبراز وتعزيز الجهود الرائدة في الدول النامية.

واشترط «البرنامج العربي» للمشروعات المرشحة الآتي:

- تقدم جميع وثائق الترشيح بما فيها الاستمارة والمرفقات المطلوبة من أربع نسخ مطبوعة.
- لا يجوز لأي جهة أن ترشح المشروع الذي نفذته أو ساهمت في تنفيذه
- لا تقبل المشروعات التي نفذتها مشروعات حكومية.
- لا ينظر في الترشيحات التي تكون خارج موضوعات الجائزة المحددة للعام.
- ترسل وثائق الترشيح بالبريد على عوان البرنامج مع إمكانية إرسال استمارة الترشيح بالفاكس أو بالبريد الإلكتروني وتعبئة الاستمارة من موقع البرنامج على شبكة الإنترنت على أن ترسل النسخ الأصلية بالبريد.

ويشرف على الجائزة لجنة متخصصة برئاسة رئيس برنامج الخليج العربي لدعم منظمات الأمم المتحدة الإنمائية «أجفند» الأمير طلال بن عبدالعزيز وعضوية عدد من الشخصيات العالمية المتميزة المتخصصة في مجالات الجائزة. ويراعى في اختيارهم التمثيل الجغرافي للعالم.

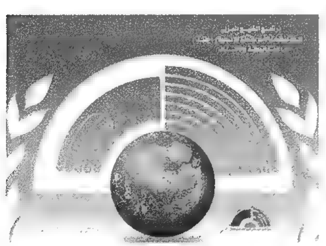

ولمزيد من المعلومات يمكن الاتصال بإدارة الإعلام والعلاقات العامة هاتف ٤٤١٨٨٨٨-١-٩٦٦ فاكس ١٤٤٢٩٦٢-١-٩٦٦

بريد إلكتروني (Prmedia@Agrund.org)

مع البرنامج على الإنترنت (WWW..agfund.org)

لمزيد من التفاعل بين المدرسة والمجتمع:

«جمعية خريجين».. لكل مدرسة ثانوية

تسعى وزارة المعارف إلى التوفيق بين المدرسة والمجتمع لمزيد من التعاون والتفاعل فيما بينهما من خلال كثير من البرامج والأنشطة كان آخرها فكرة «جمعية الخريجين» التي تسمح بأن تشكل كل مدرسة ثانوية جمعية من خريجيها تحقق الاتصال المباشر وتقوي الروابط بين المدرسة وخريجيها من أجل الاستفادة من كفاءات وخبرات الخريجين، خصوصاً العاملين منهم في المجال الأكاديمي.

وتأتي الفكرة التي عممتها وزارة المعارف على جميع المدارس على غرار فكرة «جمعية الخريجين» بمعهد العاصمة النموذجي التي أنشئت مؤخراً برئاسة صاحب السمو الملكي الأمير أحمد بن عبدالعزيز نائب وزير الداخلية.

وجاء في اللائحة المنظمة للجمعية أن المدرسة هي المقر الدائم لجمعية الخريجين، وأن العضوية حق لكل من أنهى المرحلة الثانوية في المدرسة منذ تأسيسها.

وتضم اللائحة ثلاث هيئات رئيسة هي:

- الجمعية العمومية الدائمة. ويعقد لقاؤها العام مرة واحدة في السنة.
- مجلس الإدارة الذي يشكل عن طريق الانتخاب المباشر.
- اللجنة الدائمة للتنسيق والمتابعة.

وأبانت اللائحة أن من صلاحيات الجمعية العمومية الاطلاع على قرارات مجلس الإدارة وتقديم الاقتراحات والآراء لمجلس الإدارة وتقويم أداء المدرسة ودراسة المشكلات الطارئة، وتقويم الحلول المناسبة، وتقديم الدعم

لماذا يقتل الصحفي؟!

تتابع باستمرار منظمة حماية الصحفيين - وهي منظمة مستقلة مقرها نيويورك -أحوال الصحفيين في العالم. وتكتب عنهم تقارير سنوية تبثها للعالم أجمع، وكشف آخر تقرير لها أن ٢٤ صحافياً قتلوا العام ١٩٩٩م، وأن عدد الصحفيين المسجونين في العام ١٩٩٩م بلغ ٨٧ صحافياً ٣٤ منهم في الشرق الأوسط و١٨ من هؤلاء في دولة تركيا وحدها، في حين كان العدد قبل سنتين ١١٨ سجيناً.

وأظهر التقرير أنه للسنة الثانية على التوالي التي لم يقتل فيها صحفي عربي.

ولكن لماذا لم يقتل أحد منهم؟

يقول جهاد الخازن معلقاً على ذلك في مقاله اليومي بجريدة الحياة. ربما يعود السبب إلى أن المناضلين من الصحافيين قتلوا فاستراحوا وأراحوا وبقينا نحن طلاب الحل السلمي في الحب والحرب ومع الحكومة.

ولماذا يقتل الصحفي؟!

نظن أن إجابات كثيرة سيكتبها كثيرون عن هذا السؤال قد تصل إلى حجم المجلد. يقول أحد المهتمين بهذه المسائل: «أظن أن كل ما يكتبونه حول قتل الصحفي صحيح بنسبة ١٠٠٪». ■

المادي والمعنوي للمدرسة، ومتابعة تطوراتها. ويتولى مدير المدرسة مهام الأمين العام للجمعية. وأوضحت اللائحة أن أعضاء مجلس الإدارة يتم اختيارهم من أعضاء الجمعية العمومية وألا يتجاوز عدد الأعضاء عشرين عضواً، وحددت اللائحة سنتين لمدة مجلس الإدارة.

ومن مهام مجلس الإدارة وضع التصورات والمقترحات الهادفة لرفع كفاءة المدرسة وأداء العاملين فيها من جميع الجوانب العلمية والتربوية والثقافية والإنشائية، ووضع ميزانية مساندة للمدرسة لتنفيذ الخطط والبرامج المختلفة المستقبلية بما في ذلك التجهيزات والإصلاحات والارتقاء بالمدرسة، والعمل على تحصيل الموارد التي تتطلبها الميزانية.

كما أن من مهام مجلس الإدارة إقرار الضوابط المتعلقة بالشؤون التعليمية والإنشائية والإعلامية.ومناقشة الاقتراحات والآراء وإقرار المناسب منها ومتابعة تطبيقه على أرض الواقع.

ومن مهام اللجنة الدائمة للتنسيق والمتابعة: متابعة أعمال مجلس الإدارة والتخطيط لها وكتابة التقارير بهذا الخصوص، وتنظيم الاجتماعات واللقاءات الدورية للجمعية ولمجلس الإدارة، وحفظ سجل الخريجين ومعلوماتهم، وإصدار نشرات ومطويات تعريفية بنشاطات الجمعية ولقاءاتها وأعضائها. ■

جودي.. ولدت للفضيلة فقط

«ليست فقط محاولة للتذكير بأهمية الفضيلة وثقافتها الجميلة المتحضرة، إنها من أجل الفضيلة ولدت». بهذه الرسالة النبيلة صدر العدد الأول من مجلة جودي التي تعبر عن القيم العليا والثقافة الإسلامية بالطرائق الصحفية الحديثة.

المجلة ضمت بين دفتيها جملة من الموضوعات المتنوعة التي تهدف إلى تأسيس ثقافة أصيلة خالية من الشوائب.

فقد استهلت المجلة موضوعاتها بلقاء قصير مع الأمير تركي بن سلطان وكيل وزارة الإعلام للإعلام الخارجي تحدث فيه عن الإعلام والاتصال.

كما تطرقت إلى دور الأم في حياة الناجحين وبؤس حياة هوليود بشهادة أهلها. وكتبت تقريراً عن علماء الأمة الإسلامية الذين انتقلوا إلى رحمة الله في فترات متقاربة.

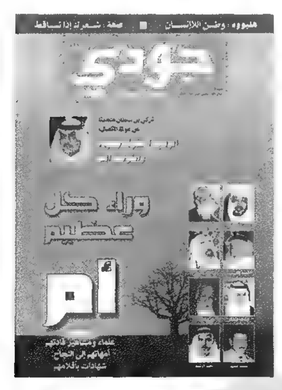

المجلة جاءت بثوب جديد وموضوعات منتقاة بعناية ليست مستغربة على رئيس تحريرها د. أحمد بن سعيِّد. ■

الشهر الماضي قالوا

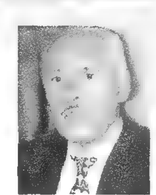
صابر فلحوط

تركي الحمد

جمال البنا

أبو تراب الظاهري

• محاكمة الأدب محاكمة أخلاقية معيق لتطور الأدب والإبداع.

الروائي السعودي تركي الحمد

** هل يعني ذلك أن نفك متلازمة «لا حياء ولا أدب» فنكتفي بـ «الأدب» بلا «حياء»؟

• هدفي أن يكون لكل صحفي منزل وهاتف وسيارة.

صابر فلحوط، رئيس اتحاد الصحفيين في سوريا

•• يكون «صحفي كويس» ويبشر بالخير!

• فقه النساء في حاجة إلى تغيير.

«جمال البنا»

•• عسى أن نلحق منافع التغيير!!

• أتوقع أن يقوم رجال الأزهر بحرق كتاب «جمال البنا» (نحو فقه جديد).

رجاء جارودي

•• أكيد إنه «مصرقع».

• لابد من مقاطعة المنتجات الأمريكية بدءاً من الكوكا كولا وانتهاء بالأفلام الأمريكية.

رجاء جارودي -أيضاً-

•• أنا، عن نفسي لا أشرب إلا البيبسي كولا.

• الكويت تعتزم إنشاء قناة فضائية مستقلة يديرها القطاع الخاص.

خبر صحفي

•• معاكسة لـ(الاتجاه المعاكس).

• لا توجد أزمة حوار عربي.. لأن الحوار غائب أساساً!

جهاد الخازن

•• الحاضر هو «الخوار».

• النادي الأدبي في ..... هرطقة يتلوها عشاء.

أبو تراب الظاهري

** وفي قول آخر : هو عشاء يسبقه هرطقة!

• ضرورات الحكومات «نحو التطبيع» مفهومة أما المثقفون فلا عذر لهم؟

فهمي هويدي

•• الذي اضطر الحكومات يضطر المثقفين.. «دول غلابة حيكونوا أفهم من الحكومة يعني»!

فسحة